المركز القومى للترجمة



المركز القومى للترجمة

كارول شيلدز

إلا إذا

ترجمة

كريم هشام

2245

سلسلة الإبداع القصصى

إلا إذا

(رواية)

تأليف : كارول شيلدز

ترجمة : كريم هشام



2013

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور

إشراف: كاميليا صبحى

سلسلة الإبداع القصصى
المشرف على السلسلة: خيرى دومة

- العدد: 2245
- إلا إذا
- كارول شيلدز
- كريم هشام
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2013

هذه ترجمة:
UNLESS
By: Carol Shields (1935 – 2003)

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 Fax: 27354554

شيلدز، كارول.

إلا إذا: رواية/ تأليف: كارول شيلدز؛ ترجمة:
كريم هشام. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ٢٠١٣.

٢٧٢ ص ؛ ٢٠ سم. ـ (المركز القومى للترجمة)

تدمك ٥ ٣٤٥ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ القصص الإنجليزية.

أ ـ هشام، كريم. (مترجم)

ب ـ العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٢٠٧/ ٢٠١٣

I. S. B. N 978 - 977 - 448 -345 - 5

ديوى٨٢٢

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى، وتعريفه بها. والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

إلى عذرى وجاى

لو كانت لدينا رؤية ثاقبة عن الحياة الإنسانية العادية، فكأنما نستمع إلى العشب وهو ينمو، ونبضات قلب السنجاب، ولابد أن نموت من ذلك الصراخ الذى يكمن على الناحية الأخرى من الصمت.

جورج إليوت

ها نحن نبدأ

يتصادف أننى أمر الآن بفترة من عدم الرضا والإحساس بالضياع، وطوال حياتى كنت أسمع الناس يتحدثون عن كونهم يعيشون فى ألم شديد، وإفلاس من الناحية الروحانية والجسدية، ولكننى لم أفهم قط ما يعنونه بكلمة أن تخسر أو أن تكون قد خسرت. اعتقدت أن لحظات اليأس والظلام التى تزورنا، لم تكن تستغرق سوى بضع دقائق أو ساعات، وبين نوبات الحزن ينشغل هؤلاء التعساء بالسعادة مثلنا تماما. ولكن ليست السعادة كما تصورتها، فالسعادة هى ذلك اللوح الزجاجى الذى تحمله فى رأسك ويستنفد كل براعتك كى تظل ممسكا به، وحينما يتحطم يتوجب عليك الانتقال إلى نوع آخر من الحياة.

لقد عزمت فى حياتى الجديدة، وفى صيف عام ٢٠٠٠، أن "أحصى النعم التى أمتلكها". نصحنى الجميع أن أبدأ باستخدام تلك الاستراتيجية الطاردة، كما لو كانوا يعتقدون أن الخسارة

الفادحة، يمكن حقا تعويضها بتجديد التقدير لقيمة ما تملكه. لدى زوج يدعى توم، يمنحنى الحب والإخلاص، كما أنه أيضا مقبول الشكل بدرجة كبيرة، فهو طويل إلى حد ما ونحيف، يفقد شعره ولا يزال يبدو جيدا. نعيش فى منزل ذى رهن عقارى مدفوع، ويقع منزلنا فى التلال المتموجة المزدهرة بمدينة أونتاريو، وهى تبعد ساعة بالسيارة شمال مدينة تورونتو. تعيش اثنتان من بناتنا الثلاث فى المنزل، وهما ناتالى: ١٥ عاما وكريستين: ١٦ عاما؛ تعيشان فى البيت، ذكيتان ومليئتان بالحيوية وجذابتان وعطوفتان، رغم أنهما قد شاركتا أيضا فى الخسارة، وكذلك فعل توم.

وأنا لدى الكتابة.

يقول الأصدقاء: "لديك الكتابة!". وتتردد الكلمة وكأن كورالاً يهمهم: "ولكنك لديك كتاباتك يا ريتا". ليس هناك من لديه القسوة الكافية ليقول إن حزنى سوف يصبح مادة للكتابة فى نهاية المطاف، وعلى الرغم من أنهم لم يقولوا ذلك صراحة، فإنهم فى الأغلب يعتقدون ذلك.

وهذا صحيح، حيث ينتابنى شعور غريب بالراحة الكريهة، حينما أتأمل فى سنى هذه، الثالثة والأربعين، أو الرابعة والأربعين فى سبتمبر القادم، ما قد قمت بكتابته ونشره خلال فترة الصبا والإشراق، قبل أن أفهم معنى الحزن. "كتاباتى"... كتاباتى مهدئ

ضعيف يجعلنى أصمد ضد نفسى الخربة، ولكنى اقتنعت أخيرا أنها أفضل من عدم وجود سلوى على الإطلاق.

نحن الآن فى يونيو، وفى السنة الأولى من القرن الجديد، وهذا هو ما كتبته حتى الآن فى حياتى. لم أضمّن فيه السوناتات التى كتبتها وأنا تلميذة فى المدرسة فى السبعينيات، أو حتى عشرات المقالات النقدية المتملقة التى كتبتها عن الكتب فى بداية الثمانينيات. وأنا لا أضع هذه القائمة على الكمبيوتر ولكن فى وعيى، فهو جهاز أكثر أمنا وأسهل فى الوصول إليه:

١ ـ ترجمة وتقديم لديوان الشعر الذى كتبه دانيال وسترمان باسم **الانعزال** فى أبريل ١٩٨١. قبل أن تولد ابنتنا نورا بشهر واحد، ولدت ولادة طبيعية فى المنزل عن طريق القابلة، كان من الممكن أن تسمع صوت القيثارات فى الخلفية، عدا أننا لم نكن نتغذى على المشيمة، كما كان يفعل بعض أصدقائنا فى ذلك الوقت. اكتسبت لغتى الفرنسية من أمى التى كانت من إقليم كويبيك، ومن معرفتى بدانيال من جامعة تورنتو، حيث كانت تدرس الحضارة الفرنسية وقت أن كنت طالبة. كانت معلمة فقيرة ومترددة، ولديها رهبة من الطلاب الأصحاء الذين كانوا يجلسون فى صفها، والذين كانوا يدونون الملاحظات فى تبجيل، ويعمقون فكرتهم القروية البسيطة عما يمكن أن تعنيه كلمة "الحضارة". كانت بالفعل كاتبة معروفة بنثرها الحركى شديد اللهجة، المسلى والخطير فى الوقت

نفسه، وكان أسلوبها هو أن تأخذ القارئ على حين غرة؛ فبينما أنت تقرأ فى منتصف فقرة عادية وطويلة، ومخدوع بوابل من الأفكار الحميمية، تقابلك جملة صعبة الفهم.

لا أشعر بالارتياح التام عند الادعاء أن ديوان **الانعزال** من كتاباتى، ولكن الدكتورة وسترمان، فى واحدة من إيماءاتها المتعجلة، أصرت على أن الترجمة، وخاصة ترجمة الشعر، عمل إبداعى، وقالت إن الكتابة والترجمة شيئان مبهجان، ولا يتعارض أحدهما مع الآخر، ولا يعلو أى منهما فوق الآخر. ومن المؤكد أنها كانت لتقول أن ترجمتى لديوانها عمل إبداعى، على الرغم من أننى لم يكن لدى أدنى فكرة عما كنت أتحدث عنه.

لقد استحوذت عليه مؤخرا، وبينما كنت أراه انتابتنى نوبة من الخجل، كما كانت تسميها إحدى صديقاتى وتدعى لين كيلى، إن ما أراه الآن هو الطموح، حول الجزء الذى يتحدث عن "الفن الذى يغير اليأس من الحياة إلى "كسر طفيف"، ومحاولات الشعر كى يصلح الفجوة بين ما هو واجب وما هو لا شىء"، ما الذى كنت أعنيه؟ قد يكون الإكثار من دريدا(*) هو المشكلة. لقد كنت منخرطة فى كل هذا بشكل كبير فى بداية الثمانينيات.

٢ ـ أتى بعد ذلك "سطوع نجم" وهى قصة قصيرة ظهرت فى مختارات من أصوات شباب أونتاريو (دار بينك أونيون للنشر، ١٩٨٥)،

(*) دريدا: فيلسوف وناقد فرنسى معروف بصعوبته.

من الصعب أن أصدق أننى كنت "صوتا شابا" فى عام ١٩٨٥، ولكن فى الواقع كان عمرى حينها ٢٩ عاما فقط، وكنت أما لنورا التى كانت فى الرابعة من عمرها، وأختها كريستين التى كانت فى الثانية، وكنت فى طريقى لإنجاب ناتالى، ولكن هذه المرة فى المستشفى. لدى ثلاث بنات ولم أبلغ من العمر العقد الثالث. اعتاد الناس أن يكرروا سؤالا وهو "كيف وجدتِ الوقت؟" وفى السؤال كنت أرى تلميحا باللوم: هل كنت أهمل صغيراتى من أجل مهنة الكتابة؟ حسنا، الإجابة هى "لا"، حيث إننى لم أفكر فى موضوع الكتابة من المنطلق المهنى، وإنما كنت أمارس هوايتى التى هى كالكروشيه بالنسبة لأخريات. ولم يمض وقت طويل حتى بدأت أهتم بالموضوع بجدية، وانضممت لورشة محلية "للكاتبات"، تجتمع مرة كل أسبوعين لمدة ساعتين، كنا نشرب القهوة ونقضى وقتا طيبا، وكنا نقدر صحبتنا بشدة، مما أدى إلى:

٣ - "الأيقونة"، وهى قصة قصيرة لها طابع قصص هنرى چيمس، و نشرت فى ١٩٨٦. جوين ريدمان وهو المؤلف الوحيد فى مجموعة الورشة الذى له أعمال منشورة، وكان قائدنا. كنا نسمى أنفسنا مجموعة جلينمار (وهو اختصار لأسمائنا الأولى: اسم ليس غاية فى الإبداع). قالت جوين يوما وهى تأكل قطعة من الفطير، إنها قد تأثرت بقسوة القصة القصيرة التى كتبتها، وكانت تلك القصة رد فعل على عرض الأيقونة الروسية، التى عرضت فى

معرض الفنون فى أونتاريو. صنفت جوين قصتى الخيالية على أنها حالة فنية من "الاحتضان / إنكار الفن"، ثم ذكرتنا بعد ذلك بالكتاب الشهير "On First Looking Into Chapman's Homer" وحدثتنا عن فلسفة الفن الذى يولد الفن، والفن الذى يعبد الفن، والتى لم أعد أؤمن بها، فإنك إما أن تفعل أو لا تفعل. وقامت مجموعتى ـ التى تتكون منا نحن الأفراد السبعة هم: جوين، ولورنا، وإيما ألين، ونان، مرسيليا، وأنيتا وأنا، واسمى هو اسمى ريتا وينترز، وينطق اسمى رى، تا ـ بنشر ما كتبناه فى مجلد بعنوان الغزو والمقاطعة، ودفع كل منا خمسين دولارا من أجل الطباعة، بيعت الـ ٥٠٠ نسخة بسرعة فى المكتبات المحلية وكان معظمها لأصدقائنا وأسرنا، ثم اكتشفنا بعد ذلك أن النشر كان رخيصا ويا لها من مفاجأة. بعد تلك الواقعة أطلقنا على أنفسنا اسم "Stepping Stone Press"، وما نريد أن نعبر عنه، هو احتضاننا المعتدل لفكرة النشر لأنفسنا، بالإضافة إلى فكرة أن يكون لدينا أمل فى أننا "سنخطو" إلى عالم النشر الحقيقى فى المستقبل القريب جدا، عدا اثنتين منا لم تكونا تنتظران هذه الخطوة وهما جوين، التى قد دخلت عالم النشر بالفعل، وإيما التى كانت قد بدأت نشر مقالات افتتاحية فى جلوب آند ميل.

٤ ـ على قيد الحياة (راندوم هاوس، ١٩٨٧)، كانت هذه ترجمة للمجلد الأول من مذكرات دانييل لسترمان بعنوان "Pour Vivre". قد يبدو أنى أدعى أن الترجمة عمل أصيل، لكن كما قلت من قبل

فإن دانيال هى التى قد حثتنى بطريقة جيدة وهى تجعد جبينها، أن أعتقد أن تحويل لغة فرنسية أنيقة، إلى إنجليزية سهلة القراءة ومستقرة هو عمل جمالى. لقى الكتاب استقبالا حسنا من قبل النقاد وبيع بنسبة معقولة، ورغم أنه كان كتابا كثيفا، فإنه نال شعبية جيدة، وقدم بلا أى خجل ولم يكن به ملحوظة هامشية واحدة. لم تلق الترجمة هذا النجاح فى تورنتو ستار؛ حيث كان هناك من يحاول أن يفشلها، وهو هوارد هارولد ستانلى، ولكن دانييل ويسترمان قالت لى ألا أهتم وأن هذا الرجل كان Un maquereau وهى كلمة تعنى قوادا.

٥ ـ ثم كتبت كتيبا صغيرا لمتتالية، أطلقتها جريدة تطلق على نفسها اسم، موسوعة الفن، وأصدرت الصحافة كتيبات صغيرة جدا، وخصصت كلا منها لموضوع واحد فى الفن، وكانت تغطى كل شىء من براك إلى كالدر إلى كلى إلى موندريان حتى فيلون. تعثر المحرر فى نيويورك ـ والذى يعمل عن طريق الهاتف وبدا لى أنه لا يعرف أى شىء عن جهلى ـ فى قصتى القصيرة "الرمز" وأعتقد أنى خبيرة فى هذا الموضوع. طلب منى المحرر أن أكتب ٣٠٠٠ كلمة لمجلد سيسميه الرموز الروسية، نشر أخيرا فى عام ١٩٨٩. استغرق منى هذا العمل عاما كاملا لكتابته، حيث إننى كنت منشغلة أيضا بتوم والثلاث بنات والمنزل والحديقة والطعام وغسل الملابس والكثير من الانطوائية، وقد نشروا نصى بالفعل، وكانت الكلمات باردة

وهلامية، إلى جانب سلسلة من اللوحات الملونة باللغتين الإنجليزية والفرنسية (لقد كتبت النسخة الفرنسية أيضا) ودفعوا لى ٤٠٠ دولار. تعلمت كل شىء عن مدارس سوزدال وفلاديمير وما جرى فى نوفجورود وهو كثير، وتعلمت كيف أن صور القديسين كانت تجعل الناس فى العصور الوسطى يرتجفون من الخوف، وعلى حد علمى لم يتم استعراض الكتاب، ولكن أستطيع قراءته اليوم دون خجل. لا يمكن أبدا أن تزيف الأشياء عند الكتابة عن لوحات ساذجة، لا تخضع لأى قواعد تخص المنظور، وهى لوحات رسمت أيضا على ألواح من الخشب العادى.

٦ ـ مر عام بعدها دون فعل أى شىء، وهو ما لم أفهم له سببا، فمنذ أن دخلت بناتى الثلاث مدارسهن، كانت ناتالى تذهب للروضة فى الصباح، أعتقد أننى كنت مشغولة بالتفكير فى عملى بوصفى كاتبة، وكنت أيضا مشغولة ما إذا كان غرور توم قد تعرض للتهديد وأنه أصبح فى ظل دانيال، وناهيك عن دريدا فقد كنت أحتاج إلى مساحة لكتابتى الخاصة، وكنت على مشارف عامى الـ ٣٥ وانتابنى شعور لم أشعر به من قبل وهو أننى كبرت فى السن. كانت سنواتى الخمس والثلاثون تروح وتجىء أمامى طوال الوقت، ولم تكن فكرة أنى كبرت فى السن تفارق رأسى أبدا، بل كانت هذه الفكرة تقف حائلا أمام ما تمنحه لى حياتى. ولكن لابد أن تأتى السنوات الخمس والثلاثون بشىء ما، حيث إن هذه السنوات لا هدوء فيها.

دائما ما كانت تصدر صوتا كالأزيز، وإيقاعات مقتضبة على قطعة من مادة السيلوفان المطوية. (قال جون كوينسى آدامز على فراش الموت "......"، إنه لشىء يفوق الخيال وأنا أحبه لذلك.)

لم يكن للألم الذى أشعر به أى داع؛ لم يواجه غرور توم منشوراتى الضئيلة. لقد أصبح واحدا من هؤلاء الرجال الذين كنا نشعر بالقلق تجاههم فى السبعينيات والثمانينيات، حيث إنه قد يشعر بالضعف عندما يعترف أنه بلا معنى. لم يكن يطلب الكثير ولكن ما كان يطلبه هو الشىء العادى؛ أن يكون رجلا عاديا فى أسرة يحبها. وضعنا كوة للإنارة فى غرفة مربعة، واشترينا منضدة مكتب مستخدمة، وجهاز فاكس وكمبيوتر، ثم جلست على الكرسى الخاص بى، ماركة Freedom Chair الذى اشتريته من الكاتالوج, وترجمت كتاب دانييل ايسترمان العظيم بعنوان "Les femmes et le pouvoir"، نشرت النسخة الانجليزيه فى عام ١٩٩٢، وهو المجلد الثانى من مذكراتها، وعندما ترجمته إلى الإنجليزية أسميت الكتاب «النساء المنَتظِرات»، ولن تفهم هذا العنوان إلا إذا كنت قد قرأت الكتاب. (تمتلك النساء القوة، وهى القوة التى يجب استغلالها وإشعالها وتحريرها وما إلى ذلك.) لم يعلق أى شخص تعليقا سيئا على الترجمة هذه المرة، ولكن على العكس فقد قالت عنها الجلوب إنها "متألقة وسهلة"، وكتبت النيويورك تايمز وصفا أفضل قائلة بأنها "إنجاز".

قالت لى دانييل ويسترمان وقت نشر مقال "Ma vraie soeur "أنتِ أختى الحقيقية"، فاحتضنتها. ولم تخمد قط رغبتها فى لمسة رقيقة حتى فى الثمانينيات من عمرها، ومع ذلك فإن أكثر من يلمسها هذه الأيام، هو طبيبها أو أنا، عندما أحتضنها بشكل أسبوعى أو مدرم الأظافر. إن الدكتورة دانيال ويسترمان هى الشخصية الوحيدة التى أعرفها تقلم أظافرها مرتين فى الأسبوع؛ يومى الثلاثاء والسبت (متابعة فقط) وبعدها تحصل على أظافر جميلة وطويلة تتماشى مع عينيها المتسائلتين.

٧ ـ كنت مصابة بالدوار، وكانت عروض الترجمة تأتينى عبر البريد. وعلى الرغم من أن مجموعة جلينمار كانت تتضاءل، فإننى ظللت أفكر أنى قد أكتب قصصا قصيرة. هذا هو ما حدث لبعض الصديقات: حصلت إيما على وظيفة فى نيوفاوندلاند، أما أنيتا فحصلت على الطلاق، وانتقلت جوين إلى الولايات المتحدة، وكانت المشكلة أنى كرهت قصصى القصيرة، وكانت لدى الرغبة فى أن أكتب عن النميمة والتلميحات، ولكن هذا النوع من الاضمحلال وضعنى فى حالة من الغرابة، ورغم ذلك أعتقد أن الغرابة قد تكون دليلا على شخصية الإنسان. لقد كنت فى حرج مما كنت أدخله فى جهاز الكمبيوتر الآبل الجديد الخاص بى، وأنا أجلس هناك تحت ضوء الكوة النظيف. كانت لحظات اعترافى خبيثة وثمينة أيضا - وأدركت بعد ذلك ـ لقد كنت مفتونة بالجملة التى كتبتها وأقول فيها

"كانت إلين تضع الجدول وعرفت أن هذه الليلة ستكون مختلفة".
كانت هناك حشرة صغيرة تطن فى أذنى: من يهتم بإلين ومفارشها المنسوجة وآمالها للمستقبل؟

أنا فعليا لا أهتم.

أخبرنى الجميع أنه بما أن لدى ثلاثة أطفال، فيجب علىّ أن أكتب عن أدب الأطفال، ولكنى لم أستطع. ظلت هذه الفكرة تأتى إلى ذهنى وما يتبعها من أفكار، مثل البط الذى يتحدث، والضفادع التى تقهقه. كنت أريد شيئا أكثر صرامة ومحتواه أكثر جدية، ولهذا كتبت شكسبير والزهور (سان فرانسيسكو: سيكلون للنشر، ١٩٩٤). تم التفاوض على العقد قبل كتابة كلمة واحدة، ولم يطل الوقت حتى جاءتنى حزمة صغيرة من النقود لتجعلنى أبدأ العمل، ووعدونى أنى سأستلم بقية المبلغ عند النشر. اعتقدت أنها ستكون محاولة علمية جيدة، ولكن انتهى الأمر بإنتاج كتيب صغير جدا كهدية، يمكنك إرسال هذا الكتاب إلى أى شخص فى القائمة الخاصة بك، تعرف أن مستواه العلمى ضعيف أو متوسط أو شخصا لا تعرفه جيدا. بيعت "شكسبير والزهور" كبطاقات معايدة وفى شكل هدايا من الدببة. قمت بعمل مسح بسيط للأمر والتقطت بعض المراجع لنبات نسرين الكلاب (حلم ليلة منتصف الصيف) أو التوت (ترويلوس وكريسيدا) ثم كتبت وصفا صغيرا عن الزهور وتحدثت عبر الهاتف مرتين مع الرسام فى بيركلى، وكتبت الكثير من كلمات شكسبير

ليعمل عليها. كان كتابا حلوا وصغيرا، وكانت تكلفته ١٢,٩٥ دولارا أمريكيا. كانت الصفحات الثمانى والستون تتناسب مع إرسالها فى بريد صغير. بيع من الكتيب مائتا ألف نسخة، ومازال يبيع على الرغم من أن معدل العائدات أمر مشين، وكانوا يريدون منى أن أكتب شيئا عن شكسبير والحيوانات، وقد بدأت لتوى.

٨ ـ إيروس: وهى مقالات كتبتها دانيال ويسترمان وترجمتها ريتا وينترز فى عجالة، كان كل شىء يتم على عجل فى تلك الأيام ومازال، ونشرت هذه المقالات فى ١٩٩٥، وقد لقيت نجاحا كبيرا بعد دفع مبلغ صغير مقدما. وضعنا الكلب فى بيت لتربية الكلاب، وذهب توم وأنا والبنات إلى فرنسا لمدة شهر، بأول دفعة من مبلغ الترجمة، ذهبنا تحديدا إلى برجندى الجنوبية فى قرية تدعى لاروش فينيس، حيث ترعرعت دانيال وهى فى منتصف الطريق بين كلونى وماكون، وتتميز بالأسقف المبنية من الطوب الأحمر وسط الكروم المتموجة، وهوائها المتوهج. كان بيتنا الذى استأجرناه مبنيا حول فناء متهدم ملىء بالزهور والكوبية القديمة، وسألنا الجيران الذين دعونا إلى وجبة فاتحة للشهية عن عمر هذا البيت، وقالوا أنه "قديم جدا" وهذا كل ما استطعنا معرفته. كانت أحجار الحوائط بسمك قدمين. أخذت البنات الثلاث دروسا فى التنس فى L'ecole d'ete، وذهب توم للبحث عن ترايلوبيت (حيوان غير فقارى منقرض) بسعادة تحت الشمس الفرنسية، بينما جلست أنا على

كرسى مصنوع من قصب السلال فى الفناء الملىء بالورود، وكنت أرتدى سروالا قصيرا وصديرية نسائية، وكنت حافية وعلى رأسى قبعة من القش المرن وأنا أقرأ روايات يوما بعد يوم، وكنت أفكر: أريد أن أكتب رواية عن شىء يحدث، عن شخصيات تتحرك عكس "هناك"، كان هذا حقا ما أريد فعله. .

عندما أنظر للوراء بالكاد يمكننى أن أؤمن بوجود مثل هذه البراءة، لم أكن أفكر فى أن بناتنا يكبرن ويتركن المنزل ويبتعدن عنا. كانت نورا دائما طفلة جيدة وسهلة الانقياد، ثم أصبحت فتاة جيدة ومطيعة. تبلغ نورا من العمر الآن تسعة عشر عاما وهى مليئة بالطيبة، حتى إنها فى ركن بأحد شوارع تورنتو ومعها نصوصها الخاصة بالآثار القديمة، ومع ذلك فمن المحتمل أنها لا تعرف شيئا عن هذا، وتجلس نورا تحت عمود إضاءة فى الشارع وهو نفس المكان الذى شنق فيه الشاعر إيد لوينسكى نفسه عام ١٩٩٥، وهو أيضا نفس المكان الذى خرجت منه مارجريتا توليس من نفق مظلم إلى ضوء الشمس فى الدولة التى تبنتها، وقررت كتابة مسرحية عظيمة. تجلس نورا وقدماها متقاطعان وهى تحتضن سلطانية للشحاذة ولا ترغب فى أى شىء على الإطلاق من هذا العالم، وفى نهاية اليوم توزع تسعة أعشار ما جمعته على آخرين ممن يعيشون فى الشارع، وتعلق نورا على صدرها ورقة مقواة (ورق كرتون) كتبت عليها بقلم أسود كلمة واحدة ـ الخير.

على الرغم من أن الكلمات هى مهنتى، فإننى لا أعرف حقا ما تعنيه هذه الكلمة. اكتشفت فى اليوم التالى وأنا أبحث فى الإنترنت أن الكلمة القديمة wearth تعنى "منبوذ"، وأن الكلمة الأخرى التى تشبهها والتى تختلف معها فى المعنى هى "ذو قيمة" - إننا نعرف ما يعنيه هذا ونعرف كيف نشكك فى الأمر. لقد فهمت نورا كلمة wearth، هذا هو العالم الذى استحقته، عالم كامل قائم على السكون، وقف سهل للغاية، هكذا قالت الأم المفجوعة، من السهل أن تجد هذا المكان، وأن تحافظ عليه مع بعض التدريب الكافى. يمكن الوصول لأعلى نقطة تركيز عن طريق المناقشة والمرونة اللاذعة والصلصة الحارة والسخرية والثورة والوشم واللسان البذىء والشعر الأرجوانى الثابت، ولكن لا، فإن نورا تجسد عدم الظهور والخير معا، أو على الأقل هى فى الطريق لذلك، كما أخبرتنى فى آخر حوار بيننا والذى كان منذ ثمانية أسابيع، وتحديدا فى الحادى عشر من أبريل. لقد ارتدت نورا بنطالا من الجينز البالى فى هذا اليوم، وشالا خشنا منقوشا عليه مربعات ملونة، وكان يبدو كأنه غطاء سيارة وكان شعرها الطويل الضعيف متلبدا. لقد رفضت أن تنظر فى أعيننا، ولكن عينيها ومضتا بالشكر، وهذا ما أنا متأكدة منه، عندما ناولتها كيسا به ساندويتشات جبنة، وعندما أسقط توم ورقة بقيمة عشرين دولارا فى حجرها، ثم تكلمت بعد ذلك على طريقتها الخاصة، ولكن كان كلامها خاليا من التواصل. لم يكن بإمكانها

العودة للمنزل حيث كانت فى طريقها للخير. وفى هذه اللحظة، كنت أنا أمها غائبة عن ذاتى أكثر مما كانت هى، وهذا ما شعرت به. لقد كانت مخلصة، ولم يكن من الممكن أن تنحرف عن طريقها، ولم يكن بإمكانها أن تكون "معنا".

كيف حدث هذا الجزء من حياتنا؟ نحن نعرف تماما أنه لم يحدث، بسبب سير الأحداث العادى فى حياتنا. فتاة ذكية وجميلة ترعرعت وسط أسرة متحابة فى أورانج تاون بمدينة أونتاريو، وأمها تعمل كاتبة ووالدها طبيبا، ثم فجأة تخرج عن هذا الإطار بالكامل. لا يوجد ما هو طبيعى حول نشوء حبها للخير، ويبدو أنه حدث بشكل مفاجئ وقاس، وهذا الإحساس يقتلنا. ما سيقتلنا حقا هو أن يأتى اليوم الذى لا نجدها فيه تجلس على الرصيف فى المربع الذى اختارته لنفسها.

لم أكن أعرف أيا من هذا، عندما جلست فى حديقة بورجوندى أحلم بكتابة رواية، ظننت أنى فهمت شيئا عن أسلوب بناء الرواية، المنحدر اللطيف للمأزق، الخصال الناعمة للتفصيلة السطحية، حساب صعود المنحنى بشكل لا يمكن تجنبه، ثم بعد ذلك النهاية وهى تغير السبب والنتيجة وتجميع كل الشخصيات معا فى إطار دائرة أوبرالية من العزاء والنشوة، وخلفية من ألياف ضوئية ذهبية، فقط من أجل لحظة من الصفحة الثانية للأخيرة، فقط من أجل جزء لا يكاد نشعر به من الزمان.

لدى فكرة من أجل روايتى، بذرة ولا شىء أكثر من ذلك، تقدم شخصيتان جذابتان نفسيهما؛ رجل وامرأة واسمهما أليسيا ورومان يعيشان فى ويشوود، وهى مدينة بحجم مدينة تورونتو، وهما يحدثان صخبا ومرحا ويتشبثان بالجزيرة التى تعد معضلة حياتهما، فهما يتوقان إلى الحب، ولكنهما يسعيان بأنانية للحفاظ على نفسيهما. يفتخر رومان بأنه سريع الغضب والتقلب، وتعتقد أليسيا أنها مولعة بالتأمل، ولكن عملها كمحرر مساعد فى مجلة أزياء يجعلها مشغولة عن موضوع التأمل.

٩ ـ لدى عنوان وهو My Thyme Is Up وهو تورية بالطبع، وقد تذكرته من نكتة قديمة، وكنت أتعمد أن أكتب رواية مضحكة وخفيفة الظل، رواية تقرأ فى الصيف، رواية تقرأها أثناء جلوسك على مقعد مصنوع من الخوص ماركة إيكيا، وأشعة الشمس تتهادى برقة على الصفحات وكأن الشمس تتنفس مثلنا. من الطبيعى أن تنتهى الرواية نهاية سعيدة، لم أكن أشك مطلقا فى قدرتى على كتابة هذه الرواية وهو ما فعلته عام ١٩٩٧، وقد كتبت هذه الرواية بسرعة وبهدوء خلال ثلاثة أشهر مظلمة فى فصل الشتاء عندما كانت البنات تذهبن إلى المدرسة طوال اليوم.

١٠ ـ السنوات الوسطى، وهى ترجمة المجلد الثالث من مذكرات ويسترمان وستصدر هذا الخريف. يكشف المجلد الثالث علاقات الحب الكثيرة لويسترمان مع كل من الرجال والنساء، ولن يكون أى

من هذا صادما أو مدهشا لقرائها، ولكن الجديد هذه المرة هو الليونة والقوة الموجودة فى جملها. كانت دائما فنانة تكتب بإيجاز ونكران للذات، وقد وصلت فى سنها الكبيرة إلى مستوى رائع من الانسياب والتطور فى كتابة الجملة. لم تبدأ ترجمتى فى التعبير عما وصلت إليه. كان الكتاب قويا وعاطفيا، وهذا يؤدى لوجود التوازن، وكل صفة منهما تنقذ الأخرى، وهذا شىء فى غاية الغرابة. يمكننى تصور أن حبوب الكالسيوم التى كانت تتناولها دانيال كل صباح بكثرة وفيتامين (هـ) والحبوب المصنوعة من زيت طائر الإيمو، قد أثرت بشكل مباشر على لغتها، وبذلك فإن ما تكتبه على الورق يكون أكبر وأكثر جاذبية وأكثر إنكارا للذات عن أى شىء كتبته قبل ذلك، وكل ذلك ينمو ويكون قصيرا، مع القليل من نشوة الاستسلام لخبرتها الشخصية، وهى تدعو قراءها للإيمان بكلية تخليها عن حماستها.

إما هذا، أو إنها كبرت فى السن بشكل أصبح له تأثير جيد عليها، مما أعطاها حرية كبيرة فى اللغة فى سنها الكبيرة، وقد راودتنى هذه الفكرة أكثر من مرة.

طرأت على ذهنى فكرة أخرى، وكانت ناعمة مثل النسيم أمام نافذة شبكية. أفتقد شيئا ما فى هذه المذكرات، أو هذا ما أظنه من نظرتى الأنوية، أو النابعة من حب الذات. لقد عانت دانيال ويسترمان، فقد شعرت بوجودها وحيدة فجأة، وغاب عنها الحب

الجنسى وخيانة جسدها الأنثوى، لم يكن لها شريك، لم يكن لديها شخص يعتبرها أهم شخص فى الحياة بالنسبة له، ولم يكن لها من تعتمد عليه كما أعتمد أنا على توم، لم يكن لديها طفل أو أى صلة دم مازالت على قيد الحياة. من أجل هذا الأمر، وربما هذا هو السبب الذى يجعل مذكراتها طفولية، فهى تناسب مثل الحليب الطازج الملىء بالرغوة والذى ينساب على الزجاج.

١١ ـ لم يكن على أن أذكر الكتاب الحادى عشر، لأنه لم يكن أمرا واقعا، ولكنى سأذكره. سأكتب رواية ثانية وستكون تكملة لرواية My Thyme Is Up، وقد نويت أن أبدأ اليوم كتبت الجملة الأولى على الكمبيوتر الخاص بى: "لم تكن أليسيا سعيدة كما تستحق أن تكون".

ليس لدى أدنى فكرة عما سيحدث فى هذا الكتاب، فهذا تجريد تام للحظة، شىء ظهر من تحت الأرض مثل أنف دائرية الشكل لزعفران على عشب بارد. لقد تعثرت فى هذه الفكرة بطريقتى الخرقاء. ولن تخفت رغبتى الشديدة فى كتابته، سيكون هذا الكتاب عن الأطفال الضائعين، وعن الخير وأن تذهب للبيت وأن تكون سعيدا، وتحاول أن تبقى رسم الصفحات المطبوعة أمام عينيك، وأنا متلهفة لأعرف كيف ستنتهى القصة.

تقريبا

مر من عام ٢٠٠٠ أكثر من نصفه حتى الآن، وعندما اقترب شهر أغسطس أتى صديق توم القديم، كولين جلاس، ليتناول معنا العشاء ذات ليلة وقد أتى من تورنتو، حاول أثناء شرب القهوة أن يشرح لى نظرية النسبية.

كنت أنا من دعوته للبدء فى هذا الموضوع، فالنسبية هى جزء من المعرفة، لطالما أردت فهمه وهى جزء كبير من المعرفة، ولكن من كانوا يشرحونها لى كانوا يميلون إلى السرعة، أو إلى تجاوز خطوة يفترضون أن المستمع إليهم استوعبها بالفعل. ويبدو أن هناك من فهم النسبية لمرة واحدة فقط فى العالم وهو أينشتين، ثم تلاه شخصان ثم ثلاثة أو أربعة، وفى الأغلب لدى من يدرسون الفيزياء بالمدارس الثانوية فكرة على الأقل عن النسبية، أو هكذا قالوا لى، ما هو مدى صعوبتها؟ وطبقا لما قاله كولين فقد تطورت الفكرة من تكهنات مجنونة إلى حقيقة مؤكدة، مما جعل فهمها أمرًا أكثر

أهمية. لقد حاولت أن أفهمها ولكن يبدو أن استيعابى كان ضعيفا. حسنا، إن سرعة الضوء ثابتة، هل هذا هو كل شىء؟

كعادتى فأنا أحب هذه الأمسيات الطويلة فى أغسطس، وتدفق الضوء الكهرمانى الذى يسقط على حوائط غرفة الطعام البيضاء مباشرة، قبل تدفق الظلال المنفصلة للشفق، مع الأوراق الدائرية التى تخفق ظلالها الدائرية وهى تبدو كالأشباح. استمعت طوال اليوم إلى أصوات الطيور الصغيرة فى الغابة التى تكمن خلف بيتنا، وتشبه أصواتها النشيد الوطنى لكندا، على الأقل فى الفاصل الموسيقى. كان الصيف يتلاشى ولكن على مهل، كنا لنتناول الطعام بالخارج لولا أن هناك دبابير، ما الذى يمكن أن يشتهيه المرء أكثر من وجبة طعام جيدة مع صحبة جيدة؟ ولكنى ظللت أفكر فى نورا وهى جالسة فى مربعها على الرصيف وهى تمسك بالورقة الكرتونية المكتوب عليها "الخير"، ثم تهت من كولين ولم أدر ما الذى كان يقوله.

الطاقة = الحجم × السرعة^{2} ، وأثارت دقة المعادلة شكوكى على الفور، فكيف للحجم ـ طاولة الطعام من البلوط على سبيل المثال ـ أن يكون لها أى علاقة بسرعة الضوء؟ فهما شيئان مختلفان تماما. كان كولين الفيزيائى صبورا على اعتراضاتى، فأخذ منديله المصنوع من الكتان وفرده بقوة على فنجان قهوته، ثم أخذ كريزا من صحن الفاكهة، ووضعه على المنديل لأجد نقرة صغيرة، ثم أمال الكأس

قليلا لأجد قطعة الكرز تدور حول سطح المنديل. تحدث كولين عن الطاقة والحجم، ولكنى كنت قد فقدت بالفعل خيطا هاما فى النقاش. كنت قلقة بعض الشىء على قهوته من أن تنسكب على المنديل وتلطخه، وفكرت كم عانيت وحدى فى السنوات الأخيرة مع المناديل القماشية، فلم يعد هناك من يقوم بعمل مناديل حقيقية باستثناء دانيال ويسترمان، وكان السائد أن النساء المهنيات حديثا لديهن أشياء أفضل يقمن بها بدلا من غسل الكتان.

قد كنت نسيت تماما من الآن ما كان يمثله الكرز (أكثر من أربعة دولارات للنصف كيلو)، وما كان من المفترض أن تعنيه الغمازة الصغيرة. تحدث كولن بشكل مستمر وبدا توم ـ وهو طبيب العائلة ولديه خلفية علمية كبيرة ـ وكأنه يتابع الحديث، على الأقل كان يومئ برأسه بشكل لائق. استأذنت حماتى "لويس"، وبأدب جم أن تعود إلى بيتها فى المسكن المجاور، ولم تكن لتفوت أبدا أخبار الساعة العاشرة، حيث إن مشاهدتها لأخبار الساعة العاشرة تساعد كندا على التقدم للأمام. تركت كل من كريستين وناتالى طاولة الطعام منذ وقت طويل، ويمكننى أن أسمع من هنا صوت التلفاز العالى وضجيجه فى الغرفة الصغيرة التى نجلس بها.

جلس حيواننا الأليف "بيت" ـ وهو كلب صيد رائع ـ بشعره الأشعث تحت الطاولة وهو يتثاءب عند قدمى ويتحرك بكامل جسده، وأجده فى بعض الأحيان أثناء حلمه يتأوه وأحيانا يضحك

فى سعادة. وجدت نفسى أفكر فى ماريتا زوجة كولن، التى كانت قد حزمت أمتعتها منذ عدة أشهر، وانتقلت إلى كالجارى لتعيش مع رجل آخر، وكانت تدعى أن كولن منشغل بشدة فى أبحاثه والتدريس "كيف تكون شريكا حقيقيا". ماريتا امرأة جميلة ولها عنق مثل ساق النبات، ودائما ما كانت تلمح إلىّ أن هناك مشاكل عاطفية فى زواجهما. لقد رحلت بشكل مفاجئ وببرود، وقد صدم هذا كولن ولم يكن لديه أدنى فكرة عن الأمر؛ وكان قد أخبرنا فى أيام سابقة أنها لم تكن سعيدة طوال هذه السنوات، ولكنه وجد مذكراتها فى درج المكتب وقرأها، وقد وجدها مليئة بالسأم وعلم أن هناك فجوة كبيرة من سوء التفاهم تفصل بينهما.

لماذا تترك امرأة مذكراتها اليومية وراءها؟ بالطبع كى تعاقب وتجرح. إن كولن بنسبة كبيرة رجل مهذب وطيب القلب، وقد اعتاد أن يخاطبها بطريقة جافة وفيها نوع من التوجيه، وكأنها طالبة فى الدراسات العليا وليست زوجته. وسألها ذات مرة أثناء تناولنا العشاء فى منزلهم قائلا: "لا تقولوا لى أن هذه جبن معالجة". وقال لها فى مرة أخرى: "هذه القهوة غير صالحة للشرب". لقد كان من نوع الرجال الذين يحبون المتعة، وكان يعتبرها أمرا مسلما به، ولم يكن يحتمل الصرخات القليلة النابعة من الغضب، عندما لا تتواجد المتعة. يمكن أن تدعوه بريئا فى توقعاته، وفى الأغلب فقد كان ساذجا فى هذه الأمسية من شهر أغسطس بالتحديد، بدا كما لو

كان وحيدا فى غرفة مثل القبو ويتردد صداه بداخله، فى حين وقف توم وأنا خارج الباب، نلتقط فيض مشاعره، واللمحة الغريبة لذكائه الغريب والهادئ، حتى أن المنطقة الصغيرة تحت عينيه كانت فاترة قليلا. لم يكن شخصا سطحيا، ولكن ربما شك أننا نحن السطحيون. واضطررت أن أمنع نفسى من مقاطعته بنكتة أو مزحة، فغالبا ما أفعل ذلك، إنى خائفة: أطلب تفسيرا للأشياء ثم أهيم وحدى مع أفكارى.

كيف يتمكن من الجلوس بهذا الهدوء على الطاولة، ويلعب بحبات الكرز وأكواب القهوة، ويلفلف طرف الطبق المصنوع من القش ويعطينا هذا الكم الهائل من المعلومات؟ كان الوقت قد اقترب من منتصف الليل وعليه أن يقود السيارة لمدة ساعة قادمة. أتساءل فيما ستفيده نظرية النسبية فى حياته الحالية؟ إن كولن بمواصفاته الدقيقة وشاربه المهذب، كان يتعامل بسهولة مع الأفكار الكبيرة مثل النسبية. إن النسبية كنظرية تحمل جميع أنواع "المفاهيم" الهامة معا بكل دقتها وأناقتها، ثم قال لى محاولا شرح النسبية، فكرى فى كيفية وضع الصمغ بكثرة، وفكرى فى قوة التخمين الصائب والذكى، فمثل هذا المنظور المسيطر كان واضحا وجليا فى البداية، ولكن تم تقييمه وتدعيمه أيضا، وعلاوة على ذلك أصر كولن على أنه مفيد. يمكن افتراض أهمية نظرية النسبية فى مواجهة الشكوك الموجودة فى الحياة، ثم وضعها جانبا كجزء من مجموعة الوعى.

أنهى حديثه بشكل غير ملائم، وجلس فى مقعده فاردا ذراعيه الطويلتين، ويبدو أنه أراد قول: "إذا"، وبدا وكأنه سيقول أن هذا هو كل ما فى الأمر، أو أن هذا أقصى ما يمكننى فعله لتبسيط وشرح مثل هذه الفكرة العبقرية، نظر إلى ساعته ثم جلس مرة أخرى، كان يبدو عليه الإنهاك، ولكنه كان سعيدا بنفسه. كان يرتدى قميصا من القطن المضغوط بقوة وبه خطوط زرقاء وصفراء، وكان القميص موضوعا داخل البنطال الجينز الأسود بعناية. لم يكن يهتم إطلاقا بالملابس، وأزعم أن هذا القميص معه منذ أيام زواجه، وقد اختارته ماريتا بنفسها وكوته ثم علقته على شماعة، ربما كان هذا منذ الصيف الماضى.

إن نظرية النسبية لن تعيد زوجة كولن مرة أخرى إلى البيت الحجرى القديم على طريق أوريول باركواى، ولن تعيد ابنتى نورا للمنزل من الركن الذى تجلس فيه بشارعى باثورست وبلور أو فندق "بروميس" الذى تبيت فيه ليلا. تبعتها أنا وتوم فى أحد الأيام فكان لابد لنا أن نعرف كيف تدبر أمورها وإذا ما كانت فى مأمن، وكان الجو يميل للبرودة، فكيف ستتحمل البرد؟ إنها فتاة محصنة ضد البرد ومتسخة وشعرها غير ممشط.

قلت لكولن بعد صمت دام لعدة دقائق: "هل يمكن أن تقول إن نظرية النسبية قللت من أهمية الصلاح والفسوق فى العالم؟"

فحدق إلى وقال "إن النسبية ليس لها موقف أخلاقى، ولن يكون لها". ("هذه القهوة غير صالحة للشرب").

نظرت لتوم كى يدعمنى فى هذا الموقف، ولكنه كان يحدق فى السقف مبتسما بعينيه الرقيقتين، أعرف تلك الابتسامة.

ثم التفت إلى كولن وقلت: "أليس ممكنا أن نظن أن الصلاح أو الفضيلة إذا كنت تحب أن تسميها هكذا، يمكن أن يصبح موجة أو جزءًا من الطاقة؟

فقال: "لا، ليس ممكنا".

فقمت بحركة مفاجئة لتنظيف الطاولة، فقد شعرت فجأة بالإنهاك.

مازلت ممتنة للصداقة والفكر الإنسانى، لرجل متواضع مثل كولن جلاس الذى بالرغم من معاناته وإحراجه، أرادنى حقا أن أفهم مفهوما أساسيا للقرن العشرين، أم كان ببساطة يحول نفسه لمدة ساعة؟ هذا ما يجب على أن أتعلمه: فن التحويل. لم يقل كلمة عن ماريتا طوال الليل، وفهم توم وأنا أنه يعيد بناء حياته بدونها، ولكن الابنة شىء مختلف، فلا يمكن بأى حال من الأحوال نسيان ابنة فى التاسعة عشرة من عمرها.

فى إحدى المرات

كان معروفا أنى من سأقوم بالدعاية للمجلد الثالث من مذكرات دانيال ويسترمان كما أفعل دوما، فقد أصبحت عجوزا فى سن الثامنة والخمسين، ولكن مميزة للغاية، كى تقضى يوما فى تورنتو فى إجراء المقابلات بالرغم من أنها تقيم هناك، ويمكننى كمترجمة وبكل سهولة تلقى أسئلة من الصحافة. ثم نظم الناشر جدولا زمنيا خفيفا لأن الدكتورة ويسترمان تمتلك بالفعل جمهورا عريضا مخلصا لها.

قدت السيارة إلى أورانج تاون فى بداية سبتمبر، وكانت هادئة فشوارعها الرئيسية على الطراز القديم وتميل لأن تكون جزءا من الريف، أما مدينة تورنتو فهى أثرية وتبدو وحيدة وتتوهج أمامى، تبدو ضواحيها وكأنها مرهقة، وعلى الرغم من ذلك تبدو مخارجها المرقمة وكأنها منظمة بشكل معين. لم يكن هناك تكدس مرورى، وقدت السيارة ببطء حول ركن بلور وباثورست لعلى ألمح نورا، ها

هى تجلس كعادتها فى الركن الشمالى الشرقى على الأرض بالقرب من مدخل النفق، ومعها وعاء والعلامة ذات الورق المقوى، بالرغم من أن الساعة لم تكن قد بلغت التاسعة، هل تناولت إفطارها؟ هل يوجد فى شعرها قمل؟ فيم تفكر، أم أن عقلها عاجز عن التفكير؟

ركنت سيارتى وسرت إلى حيث تجلس وقلت "مرحبا يا عزيزتى نورا"، ثم وضعت كيسا بلاستيكيا به بعض الخبز والجبن والفاكهة والخضروات الطازجة، وتركت ظرفا به صورة حديثة للبيت بقبته المستقيمة والمليئة بالفرو، فكانت نورا دون باقى البنات تعامل البيت بحنان بالغ، والآن كأنى أحاول أن أعطيها رشوة بلا حياء. كانت البرودة قارصة فى ذلك اليوم، وتجمد قلبى من رؤيتها وهى ساكنة بشكل غير مفهوم، ولكنى سعدت فى الوقت نفسه، لأنى لاحظت أنها كانت ترتدى قفازا بدون أصابع للتدفئة. هل أنا سعيدة؟ أنا سعيدة؟ إن أقل إشارة ستسعد قلبى هذه الأيام، فلم تنظر إلى اليوم مباشرة وأومأت، حيث إنها قد أوضحت موقفها وهو أنها لا تريد أن ترانا.

يبدو الأمر وكأنى أراها من خلال لوح زجاجى، وسأتكلف ثمنا باهظا كل أسبوع كى أسترق النظر إليها للحظة، وفى نفس الوقت أحاول أن أمحو هذا المشهد، الذى به صور لنورا وهى تركب دراجتها، وتذاكر لامتحاناتها على طاولة المطبخ، وهى تصل إلى

معطفها ذى اللون الأخضر، أو تجرب حذاء المدرسة الجديد أو صورتها وهى نائمة بأمان.

بعد فترة ذهبت كى أقوس حاجبىّ، وأضفى عليهما لونا فى مركز سيلفيا والذى تطلق عليه اسم "الراحة الروحانية"، وبينما كانت مدام سيلفيا تمرر فرشاة الصبغة على جبينى، كانت تغمغم وتغنى فى أذنى. كانت الساعة التاسعة والنصف صباحا وأنا أستلقى فوق طاولة ضيقة فى غرفة صغيرة بيضاء، ثم قالت لى محذرة "أنت فى سن يجب أن تحمى فيه الجلد الرقيق حول عينيك، فوجه المرأة يتساقط وهذا أمر لا مفر منه، ولكن العين هى التى تستمر لوقت أطول وهى التى تشع الضوء، وستبلغين سن الثمانين والتسعين وستبقى عيناك ساحرتين".

إنها لا تعرف أى شىء عن حياتى، لم آت إلى هنا من قبل ولم أفكر أبدا فى أن أصبغ حاجبىّ، فلدى حاجبان جميلات الشكل ومنتظمان، ولكنى نظرت فى المرآة منذ أسبوع أو أكثر، ولاحظت أن الشعر الصغير فى الزوايا الخارجية قد بدأ يصبح رمادى اللون وكان هناك بعض الشعر الرمادى على الصدغ أيضا، لكن هذا ليس بالمفاجأة بالنسبة لامرأة اقتربت من الرابعة والأربعين، وامرأة لم تفكر قط فى نفسها على أساس أنها تمتلك صدغا ومثل هذه الأجزاء الموقرة من الجسد.

سألتنى مدام سيلفيا بود "هل أنت من مواليد برج الجوزاء؟" كانت فرشاة الصباغة تصدر حفيفا، ثم توقفت ونظرت إلى عن قرب، ثم أكملت عملها مرة أخرى بحركة قليلة منتظمة ودقيقة.

فأجبتها "لا، ولكن عيد ميلادى فى سبتمبر، الأسبوع القادم"، فأنا أخجل من الاعتراف بعالم الأبراج.

قالت وكأنها امرأة عجوز تتحدث: "يمكننى القول أنك برج الجوزاء، أستطيع دائما أن أقول".

ماذا يمكنها أن تقول؟

فقالت: "أربعة وعشرون دولارا، سأعطيك الكارت الخاص بى للمرة القادمة".

أعتقد أنها متعجرفة بعض الشىء، نعم ستكون هناك مرة قادمة فقد حسبتها بسرعة، سيظل وجهى جيدا خلال بضعة أسابيع آتية، ولكن بحلول نوفمبر قد آتى مرة أخرى لمدام سيلفيا لأجلس فى خليتها البيضاء، وربما أكون زبونة دائما لديها: فقد أحتاج لعمل الحاجبين أو الرموش أو معالجة الوجه بالكامل أو تدليك للرقبة. عشت حياة تأملية، حياة مليئة بالفكر، عشت كاتبة ومترجمة، ولكن كل هذا على وشك أن يتغير. كان الجلد الحساس حول عينى يستدعى أن أهتم به، هل لاحظ توم؟ لا أظنه لاحظ ما قمت به، وكريستين وناتالى لا ينظران إلى بهذه الطريقة، فهما لا تريان إلا

الفقاعات المائية الملونة التى تعنى أننى أم، وهى نفس الطريقة التى أرى بها نفسى.

قالت لى مدام سيلفيا: "إن سحر المرأة يدوم معها لآخر عمرها، ولكن عليك أن تنتبهى".

بعد ساعة من التفكير قلت "لا"، عذرا فليست لدى خطط لأكون ساحرة على أساس منتظم، يمكن لأى شخص أن يكون ساحرا فهذه خدعة رخيصة، من السهل جدا أن يصير أحدهم مجرد ساحر عن طريق شد الوجه مثل أشعة الشمس ثم رميها بعيدا، مع رفع المعصم والذقن ووضع الإبهام والسبابة معا لتشكيل حلقة أنثوية صغيرة، فهذه الخدعة التى تجعلك تتظاهرين بأنك تجلسين فوق كرسى زجاجى صغير وهذا التركيز كى تتألقى، هناك القليل من العقل والتفكير فى كل شىء وكل مكان، وهو يملأ الهواء مثل رائحة غير محببة، أو كما تسميها إيما آلين Ingenue Spritz.

أعرف هذا النوع من الرخص جيدا، إنها الطريقة التى يتلون بها هذا السحر بأن يكون جميلا ومحتفظا برونقه، مثل قطعة الحلوى التى تدخل الفم وتحتك بالضرس وتلتصق به كالحشو الناعم مما يزيد من قرحة الفم أو أيا كان، هو كناية عن كره الذات، فمن بين جميع الفضائل الاجتماعية السحر، هو ما يحصل على أقل اهتمام فى النهاية، وبمقارنته مع الخير الحقيقى أو بنكران الذات الذى لا

يتزحزح والذى تمارسه ابنتى نورا، نجد أن السحر لا شىء إلا ورقة مناديل مطوية متسخة بسبب الاستخدام السابق.

الصدق؟ لا، فقد انتهى وفقد أيضا أى أفضلية له، إن الصدق لا بأس به، وهو مسألة جيدة ولكنه أهدر على يد الصحافة التى نشأت إثر محرقة الهولوكوست، وأهدرت أيضا على يد القراء المخلصين لمجلة Mad Magazine، والذين لن يتعرفوا على جزء بسيط من هذا الصدق، حتى وإن كان أمامهم بشكل جميل (كقطعة مغلفة من الحلوى).

لن اكون بلا هدف مرة أخرى أو مهذبة بهذه الدرجة الكبيرة، فقد تجاوزت هذا منذ سنتين عندما قمت بجولتى كمؤلفة، ويبدو أننى فقدت هذا النوع من التحمل الذى تتطلبه المجاملة المهنية، مثل تيار من الحصى يترك يدى: خذ نفسك ودع وجهك يتخدر، واستمع لأسئلة من يجرى معك المقابلة، وأتمم التسجيل على النحو الأمثل ودع نفسك يخرج وقيم مشاعر من يعتمدون عليك (الوكيل والناشر والمحرر والشخص الذى يقوم بالدعاية وبالطبع دانيال ويسترمان) وقم بالأمر مرة تلو الأخرى؛ ومثل الرياضى الذى يتمرن حتى تصل إلى اللياقة البدنية المناسبة التى يتطلبها كل كتاب جديد، ثم انتقل للخطة التالية.

السيدة وينترز، هى من ترجمت كتاب **السنوات الوسطى**، وهى مذكرات الناجية من محرقة الهولوكوست السيدة دانيال ويسترمان

وهى امرأة ذات مال وجمال، وتقوم بعمل شعرها البنى الكثيف على شكل كعكة، وهى تضع فنجان القهوة ولا تبالى كثيرا بمعطفها الواقى من المطر و...

لقد دخلت فى بدايات منتصف العمر ولدى ابنة فى سن التاسعة عشرة تعيش فى الشارع، لم أعد أحتاج إلى أن أكون ساحرة، وأن يعرف عنى هذا بعد الآن، هذه الظلال الأرجوانية والأشكال الخارجية التى تحمينى، وربما لم أكن قد فعلت ذلك من قبل. لن أنهى بعد الآن جملى بكلام ولو قليل من أجل البعض. وفى المرة القادمة التى سيسألنى فيها الصحفى عن شىء شخصى ليستخرج بعض المعلومات قائلا: "أخبرينى يا سيدة وينترز، كيف تتمكنين من التوفيق بين حياتك الأسرية والعملية"، حينها سأحدق بقسوة بالطريقة الجديدة التى تعلمت بها كيف أحدق، كيف أوفق بين كلتا الحياتين؟ ثم أرفع حاجبى المصبوغين وأقول، أى نوع من الأسئلة هذا؟ ثم سيسألنى: "ألا تفضلين أن تنشرى كتاباتك الخاصة بدلا من ترجمة أعمال الدكتور ويسترمان؟ وسأقول: من فضلك لا تسألنى عن هذا مجددا. وسيقول: كيف تتقابلين أنت وزوجك؟ وما رأيه فى كتاباتك؟

فى المرة القادمة سوف أنظر إلى من يجرى معى المقابلة فى عينه وأقول بحزم: "انتهى اللقاء"، فلا يوجد ما أخسره، فمن الأفضل أن نواجه وبكل جدية الشخص الفظ وصعب المراس، وقد

لاحظت أن الشخص الفظ محبوب بشكل غريب، وينال احتراما رائعا وغير واضح فى نفس الوقت.

وعندما أقرأ فى الصحف غدا أن "مدام وينترز بدت وكأنها فى الثالثة والأربعين، و"أن السيدة وينترز كانت مترددة فى أن تتحدث عن جدول عملها مع وجود تراكب العضة فى فمها"، وحينها سأتصل بالمحرر وسأشتكى بمرارة، وسأقول أن من كتب هذا رجل صغير وغير جذاب وشفاهه غريبة الشكل وأنفه كبيرة، وليس لديه غير القليل من الطموح ورأسه تميل مثل شىء ما مأخوذ من الشمع الأصفر.

قام بعمل المقابلة معى فى بار لشرب الكابوتشينو فى وسط تورونتو، وهو رجل فاتر ومستسلم وفى الثلاثينيات أو الأربعينيات من عمره ويبتسم ببطء، وهو مثير للشفقة لأنه يحتاج إلى رعاية إنسانية ويظن أن أفكاره لا مثيل لها. كانت الأكمام التى على ذراعه تتوسل له كى ينزعها، وعلى الناحية الأخرى كنت أرتدى سترة ناعمة من الكشمير مبطنة بالحرير والتى كانت تقول إنى أنفق ببذخ ولكن هذا نادرا ما يحدث، ولكنى متأكدة أن هذا الرجل لن ينظر إلى هذا الثوب بأزراره البلورية وياقته التى بلون الماندرين، وبدلا من ذلك سيركز على معطفى الواقى من المطر الباهت وليس على أساور القميص القديمة، وعندما يأتى وقت الطباعة سيتأكد من أنه أشار

إلى أن تصفيفة شعرى مثل الكعكة؛ لقد اتخذ منى الأمر سنوات كى أتعلم كيفية عمل تصفيفة شعر مبهرة، ويمكننى أن أسرح شعرى للخلف وأن أثبته بشكل جيد كل صباح فى دقيقتين ونصف فقط ولذلك أعتبر الكوافير الخاص بى أحد الإنجازات الرئيسية فى حياتى، وأنا أعنى هذا حرفيا.

تحدثت معى شيلا من قسم الدعاية قبل عمل المقابلة وشعرت أن المعلومات تثقلنى: ماذا سأفعل بها؟ كان هذا الشاب الجديد هو من سيكتب العمود الخاص بالكتب فى بوكتايمز، وهو معروف بآرائه الجديرة بالثناء عن الأدب الخاص بالشمال الأعظم، وعن دوره كمدافع عن التدفق الجديد والمتنوع للأصوات الكندية، وهى الأصوات التى تندب حالة ما بعد الاستعمار، ويحاول تيار الأدب الخيالى الحالى عن الطبقة المتوسطة التى تعيش فى المدينة أن يضعف من الصوت الوطنى الحقيقى الذى ينبع من الطبيعة نفسها و...

لا لا، اصمت ... اصمت

كانت نقاط الكابوتشينو على جوانب فمه غير المنمق، هناك سؤال آخر يا سيدة وينترز، بالطبع لم ينادنى بريتا، على الرغم من أن فارق السن بيننا سنة أو سنتان، ولكن كلمة "سيدة" كانت تعطيه اليد العليا فى الحوار بسبب حرف ال "س" المستفز الذى يخلط

الأمور فى الوسط، ويجعل الشخص يفكر فى هذا التخبط كما ينظر لحبل الغسيل وحلل عمل الكعك، كان وكأنه كلب ينبح ويحتك بكاحل السيدة وينترز وهو يهز فروه، ويطلب منها أن تبرر تصرفاتها وهو يريدنى أن أشرح الشعلة المتخبطة والميتة والحزينة فى حياتى والتى قد لا أحلم بأن أتشاركها مع أى شخص، ويبدو أنه نسى أن مقابلته معى أصلا عن كتاب دانيال ويسترمان الجديد.

ثم قال: لقد فهمت أنك تعملين على رواية جديدة. فقلت: حسنا، هذا صحيح.

إنه يرهقك

آها، نعم

فى الواقع ـ فى الواقع، لديه رواية تخصه ليتحدث عنها

حقا، يا لها من مفاجأة!

لم يسأل عن الفاتورة فى نهاية هذه الساعة، ولكنى سألت وبعد صمت دام لفترة قصيرة قلت: "سوف أضيفها على كارت الفيزا الخاص بى"، كى أكسر هذا الصمت، قلت هذه الكلمة بكل الوقار الذى استجمعته من داخلى ونحن جالسين على طاولة بلاستيكية، مثل سيدة عظيمة، مضيفة إلى عمرى عشرين سنة أخرى، وأنا أشعر بتحول حروف العلة فى حنجرتى المصنوعة بجمال فائق، ما هذه الوقار! لقد فاجأت نفسى بنبرتى، وربما أكون قد رسمت على

وجهى ابتسامة ألم، ومما لا شك فيه أنى أظهرت تراكب العظمة، ولكنه كان قد أغلق شريط التسجيل عن كلمة "كارت الفيزا".

قال لى إن لديه طفلين فى المنزل، وأنهما مسئولية كبيرة للغاية إلا إنه يحب هذين الشقيين كثيرا. قال إن أحدهما موهوب جدا، وإن كلا منهما يسير فى طريق مختلفة عن الآخر، ولكنه اشتكى من أن تربية الأطفال لا تعطيه أبدا الوقت الكافى لقراءة الكتب التى عليه مراجعتها، وإن بيته ملئ بالكتب التى يوجد بداخلها علامات صغيرة وهى كتب لن ينتهى منها أبدا، كنت أتوقع الكثير، وبالطبع فهو لا يتقاضى أجرا كافيا مثل جميع الصحفيين.

يا إلهى أصمت.

ويتوقعون منه أيضا أن يقوم بعمل شىء مميز فى نهاية الأسبوع.

آها؟

وفى الأسبوع الماضى أنهى قصة ماكبونا

حقا؟ ماكبونا؟ ماريمبا؟

ثم قالت السيدة ريتا وينترز من أورانج تاون: تهانينا

أشكرك.

ثم قلت: على أن أذهب الآن بسبب عداد موقف السيارات وموعد الغداء، ولأنى سأقود مسافة طويلة حتى المنزل.

أنا أعرف أنك تعيشين مع عائلتك فى بيت جميل وقديم بالقرب من أورانج تاون...

ثم قال بمكر، وأعرف أن إحدى بناتك تعيش الآن فى تورنتو و...

لقد جئت إلى هنا من قبل، هناك شىء غريب فى أن تكون لك عائلة، وزواج يدوم لفترة طويلة وثلاث بنات فى عمر المراهقة، وبيت فى الريف واحتمالية لعدم الانتشار، وهذا يثير فضول الآخرين بالطبع، وبالتالى سيعبثون بحياتى كما قال لى توم.

ولكن لا، لن يتغذى هذا الرجل الجالس على الطاولة على لحمى ولا حتى زملاؤه، ومع ذلك يمكن للواحد أن يقول إنه ليس له زملاء، وأنه لا توجد احتمالية لحدوث زمالة، فليس لديه سياق ما يقابل فيه أصدقاء أو زملاء عمل، إلا أن هناك أطفالا وزوجة، وقد أشار إليها ثلاث مرات حتى الآن، اسمها نيكولا، ولها حياتها العملية أيضا كما أخبرنى وإن كانت المسألة محل خلاف.

لم أقاوم السؤال بداخلى فقلت له "هل تعمل نيكولا صحفية أيضا؟"

"صحفية؟"

"أعنى مثلك"

قفزت يداه مرة واحدة، وللحظة ظننت أنه سيعيد تشغيل الشريط مرة أخرى، ولكن لا، لقد أدخل يده فى جيبه وأخرج

قطعتين من النقود ووضعهما على الطاولة كبقشيش، وضعهما وكانت العملات رطبة بسبب يديه، كانتا عملتين، حدقت فيهما بنظرة تمنيت أن تكون باردة وقاسية.

لكنه لم ينظر إلى، كان ينظر ناحية الغرفة، حيث يجلس رجل ذو شعر رمادى بشكل أنيق على الطاولة، وقال محاورى بصوت شغوف "لست متأكدا ولكنى أظن أنه جور فيدال". إنه هنا من أجل مهرجان الكُتاب كما تعلمين".

قمت وخرجت وتتبعنى مقطوعة لآلات نفخ نحاسية.

ينزلق السيد وينترز الساحر على معطفها الصوفى الواقى من المطر.

أين؟

كنا فى وقت متأخر بعد الظهر فى أوائل شهر أكتوبر، وكانت السماء مظلمة والأضواء مضاءة فى المكتبة القديمة بمدينة أورانج تاون، رائحة سائل تنظيف الأرض قوية للغاية الآن ومن المؤكد أن نظام التدفئة هو الذى أثارها.

اليوم، كانت كل من تيزا ساندس وشيريل باتيرسون المسئولتين عن المكتبة فى قمة التعاون كعادتهما دوما، وقد ذهبت إلى هناك كى أحصل على كتاب The Goodness Gap لدينيس فورد هيلبيرن،

فأنا لست غافلة عن السخف فى الإيمان بأن الشخص يمكنه تعلم الخير عن طريق الكتب المطبوعة، فالأشخاص الذين يعشقون الكتب والذين غالبا ما يكونون حمقى، يصرون على التفكير فى أن بإمكانهم إتقان أى منهج، طالما أنه وضع فى قالب نثرى مقبول وواضح.

كان بإمكانى شراء كتاب فورد هيلبيرن، عندما كنت فى تورنتو الأسبوع الماضى، ولكنى لم أفعل لأنى إن كنت صادقة فى رغبتى بأن أصل إلى الخير الحقيقى فى حياتى، وبالتالى يمكننى أن أتواصل مرة أخرى مع ابنتى نورا عن طريقه، فهذا يعنى أن أتعامل مع مواضيع كبيرة وصغيرة، أو أن أغير تشتتى اللانهائى حول الخير إلى مكان جيد مثل المكتبة العامة؛ أما فى اللحظة الحالية أحاول أن أكون مواطنة صالحة تدعم المكتبة المحلية، والتى لا تستخدم للأسف ومعرضة لأن يتم إغلاقها.

وبعيدا عن حارس المكتبة الذى يعمل بدوام جزئى، فإن تيزا وشيريل هما المسئولتان الوحيدتان اللتان تعملان بدوام كامل مثل الموظفين فى مكتبة أوارنج تاون، فقد ترك الجميع العمل فى المكتبة عندما أعلن مجلس المدينة أن تمويل المكتبة سيقل. إن تيزا وشيريل يعرفان عائلتى منذ عدة أعوام، فأنا عضو دائم فى مجلس إدارة المكتبة، وتتذكر تيزا نورا منذ أن كان عمرها أربع سنوات، فقد كانت تحضر ساعة قراءة القصة القصيرة صباح يوم السبت، وكانت

تجلس متربعة وساكنة ولم تكن تحمل غير بطاقة عليها اسمها وليست علامة مكتوب عليها "الخير"، وفى هذه السن كانت قادرة على أن يقشعر جسدها عندما تستمع لمغامرات بلوبيرد، وكانت على استعداد أن تبكى على مصير الاثنتى عشرة أميرة الراقصة، وهى قصة دائما ما كانت تعيد تيزا صياغتها لمستمعيها الصغار، فهى بارعة فى النهايات السعيدة.

تزوجت تيزا فى العقد الخامس من عمرها عازف جيتار كلاسيكيا، وهى أم لفتى فى سن المراهقة، وهى ممتلئة وحازمة ذات طابع تربوى وتزداد طباعها هذه كل عام، ولديها ذقن ممتلئة تتحرك كلما تحدثت وهى تتحرك فى ميلى ثانية من الزمن مع حركة فمها الصغير الفجائية، وقد كانت إحيائية قبل أن تقرر أن تحصل على مؤهلات لتعمل كمسئولة مكتبة، وصوتها لا يزال نقيا وبليغا.

طُلقت شيريل فى أواخر الثلاثينيات واليوم أراها تمِيل نحوى بكلا كوعيها، وهى تستند إلى الطاولة وذقنها فى يديها، نظراتها محيرة وأنيقة بشكل مدهش، واليوم تضع على جبهتها نقاطا حمراء تزينها، وكان من الصعب أن أتجنب التحديق فى هذه النقاط الملونة، وأعتقد أنها وضعتها على شرف الرجل الذى تواعده هذه الأيام، وهو طبيب أسنان تدرب فى مومباى وقد بدأ عمله كطبيب فى مول بأورانج تاون، فهو شاب خجول ويرتدى نظارة، هو رجل هندى لا

تستطيع زوجته الهندية التعامل مع مدينة أونتاريو الصغيرة وتريد العودة لوالديها بعد ستة أشهر.

إنهما صديقتان مقربتان وزميلتان أيضا، وهما فخورتان للغاية بالرابط الذى صنعاه بجيلهما، وفى بعض الأحيان يشعران بنوع غريب من الكبر ينتابهما، وهو شعور بالأنوثة ذات الطابع القديم يتحد مع نفس الشعور ذات الطابع الجديد الذى اخترعاه، إنه شىء مثل الحب، فكل منهما فخورة بالأخرى، وهما يحبان أن يعربا عن هذا الاعتزاز المتبادل علنا. إنها تعرف بالتحديد أين تجد الأشياء وهى أفضل من يمكن الاعتماد عليه عندما يتعلق الأمر بالمتابعة على الإنترنت، إن ما يتشاركانه سويا يسيطر على هذا المبنى المصنوع من الجرانيت، والذى تشير حجارته البنية للون الأرض من تحته، هذه الأرض الزراعية الجيدة والغنية والتى تمت تنحيتها جانبا من أجل الصالح العام، وبعد خفض الميزانية سيصبح هذا المكان صالحا لتناول الشاى وكمحل هدايا.

يعد حب الكتب أحد العوامل المشتركة بين تيزا وشيريل مثل كتب فورد هيلبيرن والتى يسعدان كثيرا بأن يوفرانها لمن يحتاجها، ولكنهما يحبان الروايات بشكل خاص، الروايات التى تصف الرجال والنساء الذين لا يمكنهم التعبير عن أنفسهم بالكتابة والأشخاص العاديين، وهدفهم هو أن يحافظوا على أن تتدفق هذه الكتب تجاه من فقدوا صلتهم "بالعالم الحقيقى"، وبالنسبة لى فأنا المشروع رقم

واحد بالنسبة لهما هذه الأيام، وقالت لى تيزا اليوم "ها هى رواية أتود الجديدة"، ثم ربتت بيدها على غلاف الكتاب وقالت "لقد أتى البارحة ونقلت اسمك على رأس قائمة الانتظار" "وكان قد جاء لمن حجزه أصلا"

فقلت بنبرة واضحة "أشكركما"

فابتسمتا ابتسامة عريضة، وانتظرتا المزيد

"كيف حال نورا؟ هل من جديد؟ وهل ستعود إلى المنزل قريبا؟"

لا لن تأتى للمنزل قريبا وهذا واضح للغاية، "لست متأكدة من هذا، فلم يحدث الكثير".

الحق يقال، لم يعد توم وأنا نستخدم المكتبة كثيرا كما اعتدنا أن نفعل، فتوم يطلب الكتب التى يريدها من موقع Amazon.com ومعظمها عن ترايلوبيت، وبالنسبة لى فأنا أفضل أن أشترى ما أحتاجه من تورنتو.

ثم سألت شيريل "كيف حالها؟"

فقلت: "بخير، على حد علمى"

أه، لقد تبادلتا النظرات، ثم جاءت تيزا والتى لديها بعض التصرفات العنيفة وغير المروضة التى يمتلكها حيواننا الأليف، وجلست على الطاولة وقالت: "سوف تتجاوز كل هذا الهراء"،

وثبتتنى بنظرة قوية وثابتة مزقتنى من الداخل، وقد جعلتنى هذه النظرة التى تعنى "استمر" على وشك البكاء.

لقد كانت تيزا أول من نبهنا لمكان نورا فى أبريل الماضى، ولم نكن قد سمعنا عنها لمدة أسبوع، وكان توم قد ظن أن نورا تشاجرت مع صديقها، ولكنى أعرف أكثر منه، وعندما حاولنا العثور عليها عبر الهاتف، لم نتمكن من ذلك، فآخر زيارة لها للمنزل فى نهاية مارس كانت مقلقة للغاية، وفكرت عدة مرات فى التواصل مع الجامعة ولكن بدت الفكرة سخيفة أن يسأل أبوان عن ابنتهما البالغة، لقد كنا فى غاية القلق، فربما يكون قد أصابها اكتئاب الربيع أو فكرت فى الانتحار، فقد قرأت فى الجرائد مؤخرا عن امرأة مسلمة أشعلت النيران فى نفسها بتورنتو، وكانت تيزا تزور والدتها المسنة ولمحت نورا بالصدفة، عندما كانت خرجت من النفق، وكانت نورا جالسة على جانب الطريق، وتتسول.

فنادتها تيزا: "نورا؟"

فنظرت نورا إليها وعرفت على الفور أنها تيزا ولكنها لم تقل شيئا، ولكنها أحكمت قبضتها على المربع الكرتونى الذى تحمله ودفعته أمام تيزا، وتتذكر تيزا أن اليوم كان باردا، لأن نورا كانت ترتدى قفازين من قفازات العمل فى الحدائق، وكانا كبيرين للغاية على يديها الصغيرتين.

ثم سألتها تيزا برقة: "نورا، هل يعرف والداك أنك هنا"؟

فهزت نورا رأسها.

وعند هذا الركن أخرجت تيزا هاتفها الجوال من حقيبتها واتصلت بى فى أورانج تاون، ولحسن الحظ كان توم فى المنزل فأخذنا السيارة وذهبنا بسرعة إلى تورنتو، وكان الألم يعتصر صدرى طوال الطريق، وكان الهواء الذى نتنفسه يرتجف بداخلى مثل شراع كبير.

يفترض أننى ريتا يونترز، تلك المرأة المشرقة، ولكن حدث شىء ما عندما انحنى ظهرها، لقد أسقطت ريتا كرة فى فناء المدرسة، وفقدت تلك الصدفة المنحنية والنظيفة التى كانت تحملها من الشاطئ للمنزل، وتعرف كل من تيزا وشيريل ما أنا عليه، وأنا أقف هنا أتلاعب بالصور المتتالية فى مخيلتى قبل وبعد هذه الواقعة، وقد اختفت عطرى فى هذه الحياة لأن ابنتى الكبرى ذهبت لتعيش حياة الفضيلة، وقد جعلها نكران الذات تختار العيش فى ركن بمدينة تورنتو حيث تتضاءل الاختيارات، وكان حتما على أن أشرح الوضع لابنتىّ وكيف أن أختهما تسعى فى الخير، وأذكر أنى رسمت الصورة سريعا باستخدام أبسط وأقصر الكلمات، حتى لو كنت سأعبر عن هذا باختصار غريب ومؤلم، نعم لقد اختارت حياة الخير.

لقد كانوا بانتظار قدومى إلى المكتبة، فدائما ما أتصل بهم قبل أن آتى، لديهم ستة كتب موضوعة على الطاولة، وعلى رأسها كتاب The Goodness Gap ثم كتاب The Atwood، ثم سيرة ذاتية ثم بعض الكتب الصغيرة عن الألغاز الجديدة لحماتى لويس، ونسخة من كتاب The Waves لكريستين التى قرأت مؤخرا لفيرجينيا وولف، وقد تم اختيار هذه الكتب بعناية شديدة، بحيث تتناسب مع مستوى الحكى الذى أريده، فلا شىء قاتما للغاية أو حديثا للغاية، فمثلا آتى بروايات أدبية ولكنها ليست روايات ما بعد الحداثة، وبالتالى فلا توجد بينها روايات "شعرية"، ولا أى شىء به إهانة، ودائما ما يكون المكان غريب الأطوار لطيفا، ولكن ليس بينها شىء عن الأغنياء، أو من يذهبون لتناول الغداء بالخارج، أو الأشخاص الذين يعرفون إلى أين سيذهبون لتناول الغداء، هؤلاء المحترفون الأذكياء الذى "يريدون حياة" وكأنهم لا يملكون واحدة، ولا شىء عن الموسيقى أو التلاحم العائلى أو ارتباط الرجال بالطبيعة، وكذلك لا أحصنة ولا شعر ولا قصص قصيرة، على الأقل للوقت الحالى حيث أنها غير مجدية.

دفعت شيريل هذا البرج من الكتب تجاهى، وكأنها قد جمعت الكنز ووضعته على متن مركب شراعى، كانت أغطيتها الجديدة اللامعة تبرق فى العلب البلاستيكية للمكتبة، وهى تلتقط أشعة الضوء الدافئة من الأعلى، ثم وضعت يدى فى حقيبتى لأخرج كارت المكتبة الخاص بى وأنا ممتنة لهما.

يوجد فى غرفة القراءة اليوم ربات بيوت وأشخاص كبار وعدد قليل من الطلاب أعرف بعضهم وشخص أو اثنان غرباء، ويتحركون جميعا بين أرفف المكتبات أو يجلسون بهدوء على طاولة قديمة من خشب البلوط، وهم يتنقلون بين صفحات المراجع وينكبون على الصحف ويلقون نظرة عابرة عندما يفتح أو يغلق الباب وينظرون حولهم ويراقبون النشاط الهادئ، ثم يعودون مرة أخرى للكتب؛ ربما يكون هذا أشبه بالنادى الخاص حيث يجلس الجميع فى هدوء تام وبأدب جم والجميع يتبع القوانين.

لا يوجد من يحدق بى ولكنهم يعرفون من أنا، فأنا ريتا وينترز زوجة الدكتور (هذا الرجل اللطيف)، وأم لثلاث بنات وكاتبة، وأننى أعيش على بعد خمسة أميال من المدينة فيما يسمونه هنا بالريف، ولكنه أصبح جزءا من أورانج تاون بشكل أكبر وهو يشبه الضاحية بنسبة كبيرة، وهذا إن افترضنا أن مدينة من خمسة آلاف نسمة يمكن تسميتها بالضاحية؛ نعيش فى بيتنا الحياة التى اخترناها منذ زمن بعيد: حولنا الكثير من الناس وحياتنا مزدحمة يتخللها بعض الفترات من الهدوء، ولدينا الكثير من الأثاث والكتب والموسيقى ووسائد ناعمة للاتكاء عليها، ولدينا طعام فى ثلاجتنا والكثير منه فى الفريزر. أنا أعمل كاتبة ومترجمة (من الفرنسية للإنجليزية) وأنا أم لنورا وينترز، إن أمرها محزن. يتذكر الناس أنهم رأوها حول المدينة، فتاة رائعة ذات ملامح لطيفة وهى طويلة مثل توم، وفى بعض الأحيان تركب دراجتها على الشارع الرئيسى، أو تجلس مع

صديقاتها أمام المدرسة الثانوية، لديها شعر أشقر طويل وتلك القدم القوية النحيلة التى تدل على رشاقتها، ولديها ابتسامة تبدو وكأنها مثل الهلال من خلال جسدها بأكمله. لقد ذهبت للجامعة فى تورنتو حيث كان لديها حبيب فى الجامعة، ثم تاهت لعدة أيام فى الربيع الماضى وبعدها انتقلت إلى ركن فى شارع تورنتو، إن الكلمات لا تسعفنى فى هذا الموقف.

إنهم يومئون تجاهى أو يلقون التحيات بصوت منخفض "مساء الخير"، وهى تحية أرد عليها بإمالة رأسى بود كأننى أشم باقة من الورد، وتحرجنى الهدايا المتكررة التى أتلقاها ودائما ما يذكروننى ما أنا فى انتظاره، وما ننتظره جميعا وهى تلك اللحظة من التقدير والمفاجأة التى تركتنا ولكنها حتما ستعود، ودائما ما تعود، أو هذا ما أؤمن به على الأقل.

بعد نصف ساعة ستضرب شيريل الجرس الصغير وسأكون قد رحلت، وستتنقل من طاولة لأخرى معلنة بصوتها الحنون أن المكتبة ستغلق أبوابها بعد خمس دقائق، وستقول هذا بلهجة اعتذار، وفى الحقيقة تكون آسفة لقطع حبل أفكار زبائنها، ونادمة لأنها شوشت تركيزهم وكسرت الصمت الذى يسود المكتبة واعتاد عليه زوارها طوال فترة ما بعد الظهر، ولا يوجد المال الكافى كى تظل المكتبة مفتوحة بالمساء، وهذه ليست غلطة شيريل ولكنها تشعر بالأسف على هذا الحال وتتمنى أن يتفهم الناس هذا.

أنظر لمن حولى وأنا أضع الكتاب فى حقيبتى، وأنا أشعر بتدفق مفاجئ من مشاعر الحب بسبب ترتيباتنا، وهى أننا يجب أن نتقابل هنا سويا فى هذا المكان وهذا الوقت المحدد لنتشارك فى هذا المكان العام. حاجتنا جميعا لاستعادة كلماتنا المطبوعة؛ فهنا توجد السيدة جريناواى ذات قصبة الأنف الضيقة وهى تبتسم باستمرار وهى امرأة ذكية أيضا ليس لها مكان معين يمكن أن ترجع إليه أصولها؛ أما السيد أتكينسون فهو مدرس متقاعد وتغرق ربطة عنقه داخل رقبته السمينة، وهو يفتح أمامه موسوعة بريتانيكا كى يبحث فى الخرائط؛ وهناك يوجد رجل بلحية لا أعرف اسمه، ولكن يبدو أنه يكتب رواية أو مذكرة بغير عناية فى حلقات فى دفتره الحلزونى؛ وهناك هال سكوت (ذو القدم السريعة) والذى يضخ الغاز ويلعب الهوكى، أو على الأقل كان يفعل ذلك قبل أن يتم القبض عليه فى قضية مخدرات العام الماضى، وهو الآن يقرأ مجلة ماكلين وربما يتصفح القسم الرياضى.

بالرغم من أن هذا المشهد مألوف، إلا أنه أيضا متفرد بذاته، إن هذا الشكل لا يحدث إلا مرة واحدة، هؤلاء الأشخاص وهذا المكان وهذه اللحظة التى تنطبع فى الذاكرة، إن هذا التفكير يثير الدهشة بداخلى.

تنتابنى هذه الأحاسيس بسهولة هذه الأيام، وأنا أعرف جيدا ألا أثق بنفسى عندما تحدث لى هذه التحولات الغريبة، هذه الجواهر

الزائفة، وأجد أن الأقسام تمر خلف عينى، يوجد إحساس بأننى أطفو فوق هذا العالم، كما لو كانت تحملنى موجة قوية من الأحاسيس وتحملنى للأمام، وبداخلى رغبة ثمينة وغير ثابتة ومتحولة وخفية تعلن عن نفسها بقوة غريبة، يتبعها التهاب فى الحلق وبكاء وذهول من جمال الحياة التى تدور من حولنا، وهلم جرا، يا إلهى إن هذا جنون؛ هذه المهام وهذه الرؤى ودخولى فى فضاء كابولى، وأن أسمح لنفسى بأن أتحول من الشك لليقين. أرى توأمين رضيعين فى ملابس الشتاء وأشخاصا يتعانقون فى المطار وحيوانى الأليف "بيت" بفروه الذهبى وعينيه البنيتين المجوفتين وهو يتشمم زوايا المنزل بحب، وهو يعرف أن هناك شيئا خاطئا وأن هناك شيئا ما ناقصا، يا إلهى.

سمعت رجلا يقول ذات مرة "إنها امرأة ثرثارة" وكان يقولها بازدراء عن أخته، ربما كان يتحدث عنى فى وجودى، ولكن هذه هى أنا، أنا ريتا وينترز، وأنا أحاول أن أواجه ما يبدو واضحا أنه إخلاص تام لعادتى بأن أظل حزينة، وسواء كان هذا غباء أم دهاء، فإن هذه الحالة مؤقتة، وهى إحساس غير مكتمل بالابتهاج، أو تشوه كما تسميه دانيل ويسترمان ولكنه حقيقى إلى حد كبير، وها نحن نتواجد هنا سويا فى هذه الغرفة بالمكتبة العامة بخشبها القديم وأرضيتها المستهلكة، ونحن داخل لحظة معينة من الزمن.

ولكل منا حياته التى سيعود إليها، وسيكون العشاء فى انتظارنا، يا لها من فكرة غريبة ومريحة، يوجد عندى أطباق من طعام كرافت أو السلطة اليونانية من سيف واى، ولدى دجاجتان فى الفرن حاليا وبقايا طعام كافية للغد، وهناك بطاطس لا تحتاج إلا للتسخين وأن أقوم بعمل السلطة، يا لى من امرأة جيدة ومنظمة للغاية أيضا.

يكفى هذا!

يجب علىّ الذهاب للمنزل، يا له من يوم طويل والجو سيمطر، أو هكذا تقول التوقعات الجوية، وداعا، يا إلهى كدت أنسى مظلتى، نعم إنى مشغولة للغاية، لقد ركنت السيارة بالخارج، لا حاجة لهذا، يجب أن آخذ الكلب فى تمشية نعم سأفعل هذا، شكرا مرة أخرى، شكرا لكما، يجب أن تكونا سعيدتين برؤية نهاية يوم طويل.

أريد، أريد، أريد

لا أقول فعليا تلك الكلمات الأخيرة: أنا فقط أمر بين أجزائها القصيرة وبين مقاطعها الصغيرة الواضحة، بينما أرتدى معطفى سريعا لأتقى البرد وأتجه إلى منزلى.

مع ذلك

نعيش فوق مرتفع عال، وهذه البلدة بشكل عام دائرية الشكل، ولذلك فإن الطبيعة الصخرية لموقعنا الجغرافى بها بعض الخلل، ومما لا شك فيه أنه أُختير لأنه يوفر أرضا صلبة، بالإضافة إلى المنظر الجميل، عمر هذا المنزل مئات السنين؛ وهو منزل ريفى بسيط من الطوب فى أونتاريو وقد أضاف ساكنوه السابقون الكثير إليه، وقد أضفنا نحن أيضا إليه، ويتميز المنزل بالأصالة الحقيقية وهو يقاوم الجو البارد والجليد الذى يميز مناخ أونتاريو.

كثيرا ما سألنى الناس عن عدد الغرف الموجودة فى بيتى ولا أعرف مغزى السؤال، وفى كل مرة يسألوننى أدخل فى حالة من عدم الفهم، ومن الطبيعى أن أعرف عدد الغرف فى بيتى ولكنى فعليا لا أعرفه، فهذا يعتمد على تعريفك أو فهمك لكلمة غرفة، فهل يسمى الرواق غرفة؟ فالرواق لدينا به سجادة هندية زاهية ومقعد ونقوش على الحائط وعدد من الشماعات للمعاطف، ويوجد

فى المدخل صالة مربعة الشكل، بها موقد خشبى سويدى الصنع على الجانب الأيسر، وقد ركبنا هذا الفرن خلال الشتاء القارص الذى حل بنا عام ١٩٨٦، وهو يوفر حرارة جيدة ومتوهجة وهى المطلوبة فى مناخنا هذا، وهناك مساحة فى الصالة لعدد من الكراسى وطاولة عليها التليفون والأرضية المصنوعة من خشب البلوط عليها كليم ناعم وباهت، ويوجد فى الركن مكتب كبير يستخدمه توم للمراسلات الشخصية، ولكن لا يمكننى فعليا أن أسمى هذه بالغرفة، فالصالة ليست غرفة وهذا ما سيخبرك به أى وكيل عقارات. أما بالنسبة لغرفة الطعام فهى على اليمين قليلا وبها غرفة تشميس مجاورة لها وهى مثل الخزانة أكثر منها كغرفة ويوجد أريكة من الخوص وطاولة صغيرة وبعض النباتات المعلقة ومقعد عثمانى لين وكبير ويوجد شعور بالبريق والراحة. أما بالنسبة لغرفة المعيشة الموجودة على اليسار، فبها نافذة عميقة وهى غرفة فى حد ذاتها، وكل شىء به لون أخضر أو أبيض أو ظلال اللون الأزرق الضارب إلى الخضرة مع لمعان وبريق أو هكذا أراها، وهناك شرفة مغطاة خارج الحجرة الصغيرة وفوقها شرفة مغطاة أخرى اعتدنا أن نطلق عليها اسم شرفة النوم، أما الغرفة التى أعمل بها، فهى الغرفة المربعة القديمة فى العلية وهى ليست غرفة بالشكل المتعارف عليه، إلا أن أرفف الكتب الجديدة التى علقت بشكل جيد تجعلها تبدو وكأنها غرفة، أما هذا المكان الفارغ فأسميه

مكتبى أو حجيرتى أو فى الأغلب أسميها الغرفة المغلقة. إن حياتى ككاتبة ومترجمة هى قصتى الأساسية كما يقولون فى الأفلام التجارية، أما حياتى الظاهرة فهى تلك التى أعيشها فى هذا المنزل القائم على المرتفع مع توم والبنات مع كلب الصيد البالغ من العمر ٧ سنوات ذى الفرو الذهبى.

لكل من بناتنا الثلاث غرفة خاصة بها، فالغرفة الجنوبية لناتالى، بينما غرفة كريستين هى ما نسميها غرفة التوت، ليس بسبب لون الحيطان، ولكن لأن شباكها يطل على رقعة التوت المزدهرة. أما غرفة ابنتى الكبرى نورا فتوجد فى نهاية الصالة (إنها ليست موجودة بالمنزل حاليا منذ شهور) وأفضل رائحة تجدها هنا فى هذه الغرفة وهى نابعة من اللحاف المرسوم عليه زهرة الزنبق أو الستائر الدافئة البيضاء المصنوعة من الكتان، أما الغرفة الشمالية فهى غرفة توم وأنا، والتى يمكن القول أنها غرفتان بسبب شكل حرف ال L الصغير فى مدخل الغرفة، حيث يحتفظ توم بفصوصه الثمينة فى خزينة زجاجية مغلقة. عندما كانت البنات فى سن الرضاعة كن ينمن فى سرير الأطفال هنا كى يكن بجوارنا أثناء الليل، ويحتل هذا السرير فى الطابق السفلى الآن زاوية فى غرفة أخرى ليست بغرفة فعليا، فهى مساحة نصف مشطبة ذات جدران من خشب الصنوبر مليئة بالعقد ومغطاة بالغبار وأرضية أسمنتية مدهونة، وعلى الأرجح أن عائلة ماكجين هى التى شيدتها فى نهاية الخمسينيات.

بيت ماكجين، هذا هو الاسم المعروف به بيتنا محليا، حتى الآن وسكن هذا المنزل بيننا وبينهم حوالى ثلاثة أو أربعة ساكنين آخرين، وهم مستأجرون على مدى قصير ولم يتركوا أى أثر يذكر عنهم، وفى الحقيقة تركوا المنزل نصف مدمر.

كانت عائلة ماكجين هى أول عائلة غير زراعية تعيش هنا، وكان السيد ماكجين يدير مخزنا مستعملا لبيع الأثاث فى المدينة ولم يكن ناجحا بجميع المقاييس، وقد باع فى فترة امتلاكه للمنزل مساحة من الحقل ولم يترك لنا إلا أربعة فدادين ومعظمها من الأشجار؛ شجر القيقب والجميز وبعض شجر البلوط القديم وبستان تفاح صغير، وقد قرأت مؤخرا أن شجرة البلوط الانجليزية تستغرق ثلاثمائة سنة كى تنمو ثم تعيش لثلاثمائة سنة أخرى ثم تموت فى ثلاثمائة سنة، وجعلتنى هذه الفكرة أتوقف قليلا لأفكر أو على الأقل أدخل فى حالة من السكون الوجدانى التى لم تكن قد تطورت لفكرة بعد، وكانت الفكرة هى الاندهاش من أن أنسجة شجرة البلوط يمكن أن تكون صابرة ومطيعة تجاه الإيقاع الثلاثى بداخلها وأن تستجيب للتشوهات الصغيرة فى خلاياها الضخمة، وهل يهم الأمر عندما يقرر قلب تلك الشجرة أن يموت وينهى مسيرته الطويلة؟

كثيرا ما أفكر بعائلة ماكجين، لم أقابلهم قط، ومع ذلك فمازالوا باقين، فقد تركوا آثارا لهم وقد سألت لويس عن العائلة ولكن لم

يكن لديها الكثير من المعلومات عنهم، فهى ليست من النوع الذى يحب الجوار، وهى من أكبر المؤمنين بفكرة "عدم التدخل"، وكان توم فى ذلك الوقت فتى صغير السن، وكان صغيرا على اللعب مع أطفال عائلة ماكجين، وكان المنزلان منفصلين تماما فى تلك الأيام بنبات الليلك القديم والباهت وبعض الأشجار المزهرة خفيفة الحركة.

عندما انتقلنا إلى هنا كان يوجد فى الطابق الأرضى لوح غير مثبت بدعائم فى إحدى جوانبه مع قطعة من الصخر الغامق فى الأعلى، ويمكن القول أنهم تركوها خلفهم لأنها كانت ثقيلة كى ينقلوها، فلم تكن تستحق حتى مجهود النقل، ووجدنا فى درج عميق خلف اللوح حبة كبير من الكاكاو مشمعة وجميلة وبها رائحة غبار زيتى غريبة، ولقد احتفظنا بها لسنين ولكن يبدو أنها تلاشت الآن، وكان هناك أيضا صندوق قديم من الكرتون لـ Dance Dust، وإذا رششت منها القليل على الأرض تجعلها زلقة لتكون مناسبة تماما لرقصة الفوكسرتوت الانزلاقية، ويبدو أن ماكجين الأم والأب كانا يقيمان حفلات ونعتقد أن هناك أزواجا آخرين كانوا يرقصون على طريقة Victoral، وقد تركوا خلفهم شيئا آخر، لابد أن الناس كانوا سعداء فى هذا المنزل.

كان هناك العديد من الأطفال فى سن المراهقة فى هذه العائلة، وكنت أتساءل فى بعض الأحيان إذا ما كان هؤلاء الأطفال قد تأثروا

بالاضطراب السياسى الذى حدث فى الستينيات، وإذا ما كانوا ورطوا أنفسهم فى مشاكل وجعلوا آباءهم قلقين عليهم، لابد أن هؤلاء الأطفال اقتربوا من منتصف العمر الآن، وأنهم يهتمون بصحتهم التى تتآكل، وبزواجهم الذى شاخ وبما يفعله أحفادهم، ويبدو الأمر لى وكأن أفكارهم تتجه أحيانا إلى المنزل الذى نشأوا فيه، وربما يتذكرون دولاب الاحتفاظ بالبندقية فى الصالة بالطابق الأعلى (خياطة الأخدود واللسان) والذى لم نستخدمه إطلاقا، وربما كانوا يتذكرون فى الاجتماعات الأسرية المساحة الصغيرة تحت الشرفة والتى دخلت عبر باب مختف فى الحائط والتى أصبحت ناديا سريا لأطفالى.

ترك أحد أفراد عائلة ماكجين مظروفا مختوما خلف مبرد الحمام، وهو من طراز قديم وبه الكثير من معدات تسخين المياه المضلعة مع بعض البروزات المزينة، واكتشفت المظروف عندما كنت أدهن الغرفة ووصلت بفرشتى إلى ما خلف المبرد، حيث اصطدمت بشىء ورقى، كان على أن أكون حذرة ألا أمزقه أثناء نقله، وضعت فرشتى وبحثت حولى عن قطعة سلك على شكل خطاف يمكننى إدخالها فى لسان المبرد، ولا يزال المظروف بعد كل هذا الوقت سليما ومختوما، إلا أنه اتسخ قليلا وكان مكتوبا عليه اسم "السيدة ليلى ماكجين"، كان مكتوبا بالحبر الأزرق ولكنه تلاشى وشعرت بالهشاشة فى يدى، وحتى بعد أن ظل مخبأ طوال فصول الشتاء التى مضت ولا يمكن حصرها مع وجود صوت خشخشة الفرن

والحرارة الآتية عبر الأنابيب التى مرت عليه طوال تلك الفترة، وتساءلت إذا ما كان يجب على أن أفتحه؟ بالطبع سأفعل، يمكننى فقط التظاهر بالتحلى بالوازع الأخلاقى فى تلك المواقف، إلا أن لمسى لهذا المظروف جعلنى أشعر بحزن جميل نابع من الدين، بالطبع سوف أفتحه.

راودتنى فكرة أن يكون هذا الجواب خبرا بالانتحار، أو طفلا يرسل بطاقة عتاب أو اعترافا من نوع ما، يؤسفنى أن أخبرك أنى وقعت فى حب...، عندما انتقلنا إلى هنا تحدث الجيران الذين يسكنون خلفنا عن مأساة حدثت لعائلة ماكجين، وهى مأساة عجلت بأن ينتقلوا من هنا، فبعد سنوات من السعادة تلتها أوقات من الحزن (لم يكن لدى حماتى أى معلومات يمكن أن تشاركنى بها، ولم تكن تحب عائلة ماكجين)، لم أهتم كثيرا بهذه الشائعات ولكنى أدركت أن أى عائلة تتخلى عن منزل مثل هذا يجب أن يكون لديها دافع قوى.

ما وجدته داخل المظروف كانت دعوة بسيطة ورخيصة، حيث سيعقد استحمام طفل فى ١٣ مارس ١٩٦١ (كان عمرى أربعة أعوام حينها) وكانت الأزهار الوردية والزرقاء تتدلى على سيقانها القصيرة من سرير طفل بسيط معلق فى فرع شجرة، "يرجى إحضار لعبة صغيرة أو قطعة ملابس" كانت الدعوة مكتوبة بخط رقيق وهو نفس الخط على المظروف، "على ألا تتعدى ٣ دولارات، ويرجى إحضار شىء ما للأم جورجيا".

ما الذى حدث لجورجيا الحامل التى كانت ستُكرم فى الحفلة؟ وما الذى حدث لطفلها عندما ولدته، وهل تم استحمام الرضيع بنجاح؟ تفتحت هذه الأسئلة فى رأسى مثل غرف بطول ممر مظلم، وهذه الغرف بها أبواب أخرى تؤدى لغرف أخرى، أتذكر أن دانيال ويسترمان سألتنى ذات مرة عن ماهية هذا الاستحمام، وكان طبيعيا أن تجد صعوبة فى فهم المصطلح، لأنها امرأة فرنسية وفى منتصف الثمانينيات من عمرها، ولكنى حضرت الكثير من هذه الفعاليات، ولم أجد فيها أى صعوبة فى تخيل غرفة معيشة فى بداية الثمانينيات تمتلئ بضحكات النسوة التى تبدو أنها لن تتوقف، ورغم ذلك يوجد خلف هذه الضحكات العالية دائما صوت عميق لامرأة بعينها وهى تصرخ، وتكون هذه المرأة معروفة بين معارفها بضحكتها التى يقدسونها كثيرا والتى تثير ضحكهم، وستكون هذه المرأة متألقة فى أى تجمع بثوبها الواضح أنه تم تخييطه فى المنزل بلونين، وأتخيل أنه مصمم بشكل هندسى من الأسود والأحمر ، وستكون أيضا مرحبا بها دائما فى أى اجتماع، وعلى الناحية الأخرى كانت السيدة ماكجين تضحك بهدوء وبهمس وكانت كثيرا ما تضع يدها على فمها.

هل كان السيد ماكجين هو من يملك مجموعة البنادق الموجودة فى الدولاب المبنى خصيصا لها، وهل انفجرت إحدى هذه البنادق عن طريق الخطأ؟ وهل كان هو من حاول أن يعزل العلية ثم خرقها

بشدة؟ وكيف لم تقدم السيدة ماكجين ـ والتى لم أعرف اسمها الأول أبدا ـ ولويس أى مساعدة، ولكنى أعتقد أنها ربما تكون ليليان أو دوروثى أو روث، ربما أراد أحدهم أن يشغل نفسه، وهل كانت هى من قررت أن تركب حوض المطبخ الأخضر الصلب ذا الوعاء المطلى باللون الأخضر؟ أصبح الوعاء الآن فى حالة يرثى لها، ولكن من الصعب جدا التخلى عنه وفى كل الأحوال لا يزال يعمل بشكل ممتاز. يمكننى أن أتخيل ليليان ودوروثى وروث وهن يقفن عند الحوض يقطعن الفاصوليا لقطع صغيرة ويغمرنها بالماء ويتنهدن وينظرن للساعة، فقد حان وقت العشاء، وأتخيل الساعة البلاستيكية التى يعود عمرها لما بعد الحرب على شكل إبريق شاى أو ضفدع. إنها امرأة بحجمى تقريبا وفى نفس سنى ومتوسطة وهى ضئيلة بعض الشىء وعريضة من عند الوركين ولها جسد على شكل ثمرة الكمثرى، وهى فى منتصف الأربعينات ولديها شفاه بارزة تضع عليها أحمر الشفاه، وقد فقدت بعض مميزاتها الأساسية، وقد نحل جسدها ولم يعد هناك تساؤل إلا حول منطقة الصدر ولم يكن ليشك أى شخص أنها قد تكون قادرة على الوصول لأقصى درجات الشهوة والرغبة والتمنى.

أحب هذا المنزل، فأنا وتوم هنا منذ ٢٦ عاما وهى مدة زواجنا فقد انتقلنا هنا عام ١٩٨٠، ونعيش فى المنزل المجاور للمنزل ذى اللون الأحمر، الذى ولد توم فيه والذى لا تزال أمه تعيش فيه، وهى

أرملة فى السبعينيات من عمرها وتبدو هزيلة هذه الأيام وصامتة بشكل متزايد، ولدى توم بعض العادات والمهام العائلية التى يقوم بها فى أورانج تاون ـ مثل أبيه تماما ـ على بعد عشر دقائق من المنزل، ولكنه يقضى ثلث وقته على الأقل يعمل على أبحاث حول تلك القوارض اللافقارية، وهذه هى هوايته وما يحب القيام به، وقد يخبرك عن الأمر بطريقة ما تجعلك تفهم أن هذه القوارض هى عمله الحقيقى.

ما يجعل الناس مرتبكين أنى أخذت اسمه، فقد نشأت وأنا اسمى ريتا سامرز، وعندما أصبحت فى الثامنة عشرة كان شعرى طويلا ولونه بنيا ويصل إلى خصرى والتحقت بدراسة الفرنسية وقابلت طالبا فى كلية الطب اسمه توم وينترز، وكان قد أسقط فى أيدينا، فكان من الممكن أن نصبح مزحة أو أن يغير أحدنا الوضع، وبدا فى هذا الوقت أن اسم الشهرة أو اسم العمل الذى سأعرف به سيمثل مشكلة كبيرة، واستعطت مؤخرا فقط أن أسرد بسرعة وبخفة دم جزءا من المشكلة وكيف استطعنا حلها. ذهبت للمحكمة ووقعت بعض الأوراق وكان هذا كل ما فى الأمر، وربما يفكر البعض أنى كنت أضحى حينها بأجزاء منى (فقد نشأت وأنا استمع إلى هيلين ريدى وهى تغنى "أنا امرأة") فكلانا نشأ فى الستينات وأخذنا روح هذه الفترة، وأفترض أننا سنظل هكذا طوال عمرنا، وفى الحقيقة كان عمرى ١٢ عاما فى عام ١٩٦٨، إلا أن إمكانية التمرد

كانت موجودة بقوة بداخلى، وكنت أفكر فى كيفية استخدامها سواء لشىء ما أو تخزينها لاستخدامها ضد شىء آخر، وكنت أفكر فى أنه يجب العيش داخل التاريخ الذى ولدنا فيه، ولكن كان على أن أقاوم مثل المتطرفين، فهم مخلوقات عادية فى عصر عادى.

إن منزلنا ملئ بالأركان القاسية التى تبدو لى وكأنها فى أفضل أشكالها، وكثيرا ما أفكر فى كيف تحدث الكاتب الأسبانى فيسينتى فيردو عن المنزل كشىء يوجد بين الحقيقة والرغبة، بين ما نريده وما نملكه بالفعل، ربما لا يكون هذا المنزل جميلا كما أراه، فعينى عليها غشاوة، اعتدت على رؤية الغرف المنفصلة بألوانها وفراغاتها ولكنى لم أعد أستطيع فعل ذلك الآن، فقد بالغت فى تقدير سعر بنيانها كلها؛ الخشب والأشكال التى تحتويها وحتى المرفأ، وكنت أقنع نفسى بأن هناك اتساعا معماريا وراحة فى نفس الوقت، فى الوقت الذى كان من المفترض فيه أن أسعى للحصول على نصيحة بخصوص الديكور، ولا يمكننى ترجمة كلمة راحة (Cozy) للفرنسية، وكثيرا ما تناقشت مع دانيال ويسترمان بخصوص هذا الأمر، ليس لأن كلمة (Cozy) تأتى فجأة فى مقالاتها الصارمة، فلا يوجد كلمة فى اللغة الفرنسية مقابل كلمة (Reckless)، وهو أمر مثير للفضول، عندما تفكر أن الفرنسيين طائشون بشكل نمطى على الأقل.

لا أرجح إطلاقا أن تكون السيدة ماكجين قد ذهبت إلى استحمام الطفل هذا الذى حدث عام ١٩٦١ عند صديقتها جورجيا، كان المظروف لا يزال مغلقا عندما وجدته، ولم يكن أى من أفراد أسرتها ليخفى عنها عمدا هذا الخطاب، لقد ضل طريقه كما تفعل الأشياء الصغيرة فى المنزل المزدحم بأن ينفصل عن بقية الرسائل ليحمله أحدهم إلى هذه الغرفة ليضيع فيها ويظل كما هو على حاله بغرابة شديدة.

إن أمسيات هذه المرأة التى عاشت عام ١٩٦١ أقل أهمية بالنسبة لى، فقد كان جون كينيدى رئيس الولايات المتحدة، وكانت الدولة بأكملها على وعى كامل ولديها شعور بالذنب، وكانت هناك مسيرات فى الشوارع، وكان هناك أناس أذكياء ومسئولون لديهم الرغبة فى أن يقضوا شهورا بالسجن، وكانت القوى السياسية حول العالم هى الشغل الشاغل لتغطى على موضوع لا أهمية له وضئيل بحجم استحمام طفل فى مدينة كندية صغيرة، ودعوة تائهة لا تعنى شيئا على الإطلاق على مقياس اهتمامات ومخاوف البشر.

ولكن ربما لو كانت السيدة ماكجين نوعا خاصا من النساء، فمن المؤكد أن هناك صديقة جيدة ومحبة هاتفتها لتذكرها بهذا الحدث، فشهر مارس شهر كئيب فى هذا الجزء من العالم والذى نعيش فيه بثلوجه الكئيبة وذوبانه العشوائى. لم تكن الحركة النسوية الخافتة فى بداية الستينيات كانت قد اشتعلت بداخل نساء مثل ليليان

ماكجين، كانت النسوية فى مرحلة الشرنقة وكانت ليليان حائرة بين الأجيال والمواسم، فعلى الأرجح أنها لا تزال ترتدى حزاما وتستخدم أداة منع الحمل، لمنع أى حمل فى المستقبل. كان البيت مفتوحا للنسمات وكان الأطفال صعاب المراس، وكان يتم الترحيب بمناسبة اجتماعية فى المساء، كانت ماكجين تقف عند الحوض الأخضر تقشر الفاصوليا، وربما تكون قد شعرت بالإثارة لأنها دُعيت لحضور استحمام طفل وأن هناك دعوة أُرسلت إليها، حتى ولو كانت قد فُقدت بشكل أو بآخر، كانت ستصبح ممتنة كثيرا للهاتف الذى يذكرها بالموعد، وكانت ستشعر براحة من الأفكار التى جثمت على صدرها، وربما كانت ستضع العشاء لأسرتها على عجل، وربما كانت ستجرب شيئا جديدا فى الوجبة الخفيفة بعد العشاء، لتترك الفاصوليا فى سائل عاجى على أقل تقدير، وربما لمرة واحدة فقط ستأتى ابنتها المراهقة والتى يثقلها قلقها وتعاستها بسبب امتحان الأحياء فى اليوم التالى لتقدم المساعدة لأمها، وستقول لأمها: "دعينى أقوم بالأمر، واذهبى أنتِ إلى حفلتك"، إلا أن هذه الفتاة والتى تشبه ناتالى فى تفكيرها ستتظاهر بعدم المبالاة ولكنها ستنتقل فى نفس الوقت برغبتها فى المعرفة إلى حياة مجتمع النساء البالغات، ولربما لو كانت حساسة بعض الشىء، لكانت شعرت بالأسى غير المرئى الموجود فى البيت، فهناك شىء خاطئ يحدث مع أمها وهناك أسئلة تحتاج لإجابات.

كانت ابنة لا تفهم شيئا عن العناية بالمنزل، فملاءاتها فى غرفة النوم بالأعلى، وهى نفس الغرفة التى أخذتها ناتالى كل هذه السنوات فقد انتقلت مباشرة من أسرة الأطفال لأسرة الكبار، حيث تغيرت بشكل منتظم وأصبحت فتاة رائعة ومنطلقة، ولكنها لم تضع فى اعتبارها أبدا مفهوم رعاية المنزل، ولماذا ستفعل أصلا؟

ربما تكون ابنة السيدة ماكجين قد أمرت أمها فى مارس ١٩٦١ قائلة: "اتركى المطبخ لى" وهى تتحدث بلهجة غاضبة مثل كريستين تماما، وهى تريد أن تلعب على وتر الطيبة بداخلها والذى تشعر به ولكنها لا تستدعى أن تدعى ذلك فقالت "سأهتم بغسل الأطباق".

إن المنزل يحتاج للرعاية، وحتى وقت لاحق كانت الخادمة تأتى لتنظف بيتنا مرتين فى الشهر، ولكنى الآن أستدعيها بشكل أقل، فشاحنتها الصغيرة تسير فى ممرنا، وأجد أن عضلات المرأة ومعداتها تستهلكنى وترهقنى، وفى الغالب أهتم بالمنزل بنفسى وأتعامل مع الأتربة وشعر الكلب وأنا مرتدية بنطال جينز قديما وسترة من القطن الذى طرف كمه غير محاك جيدا، فالتنظيف يشعرنى بالسعادة وأشعر بالتردد فى الاعتراف بذلك أو نادرا ما أفعل ذلك، ولكن بداخل أفكارى سأسجل الحقيقة: إن الغبار وإزالة الشمع والتلميع يقدم لك مكافأة، والكثير من الناس سيوافقون على هذا إذا ضغط عليهم، على الرغم من أن صوت المكنسة عال جدا ومن الصعب الاستمتاع به. أحب مناورات مكنسة الغبار على

الأرضية المصنوعة من خشب البلوط (فى نيويورك من غير القانونى أن تهز ممسحة الغبار خارج الشباك وأعتقد أن نفس الأمر فى تورنتو، فأنا أتذكر أنى قرأت هذا فى مكان ما)، أعتقد أنى رأيت هذين الراهبين البوذيين فى فيلم وثائقى منذ وقت ليس ببعيد، وهما يكرسان ساعتين كل صباح للتأمل وتتبعهما ساعة من التنظيف الجدى، ويأتيان وهما مرتديان الزى البرتقالى وحليقا الرأس وهما ايذهبان فعليا كل يوم إلى هذا العالم ومعهما السطل والثياب المتهرئة وهما ينظفان كل شىء وكل ما يحتاج إلى التنظيف سواء كان حائطا أو سورا قديما أو أى شىء يمثل تهديدا أو اضطرابا، وقد بدأت أفهم إلى أين قد يأخذهما هذا.

أما أنا فأستمر فى التنظيف بقطعة قماش رطبة فى يدى وأصل إلى تحت الحوض وألمع الكوع الذى يصعب الوصول إليه، وفى الغد أنوى أن أنظف سلالم الطابق السفلى وسأنظف الأركان أيضا.

لست بهذا الغباء كى أضع معا وساوسى الغريبة فى آن واحد، الخشب والعظام، أو المواسير والدم. ولكى ألخص ما يدور مع دانيل ويسترمان، فإننا لا نصنع الصور البلاغية من أجل أن نشتت أنفسنا، ولكن الصور البلاغية لها قوتها الخاصة علينا حتى دون إيماءاتها السريعة العابرة، إنها حقيقية تماما مثل شجيرات الفاوانيا التى نكتشفها فى الصغر، مثل الاستلقاء على العشب والنظر فى خط مستقيم للجانب السفلى للأوراق والبتلة وإبداء الدهشة: يا

للهول إن هذا عالم سرى، ونظن أن عالم الناضجين الكبار لا يمكنه رؤية هذا، هذه الخنافس والديدان ومستعمرات النكل والرائحة الحلوة الحامضة للتعفن، ولكن فى الواقع فإن الجميع يعرف هذا العالم الملموس وهو لا يشير لأى شىء إلا للعالم نفسه.

أنا أنظف وألمع بيتى حتى أحميه من الدمار، وإذا ألزمت نفسى بهذا فسأرعاه باهتمام، وسأستعيد روح ابنتى نورا التى ذهبت لتسعى وراء الخير، فهذا الغثيان الذى بدأ بفكرة غريبة ثم بدأ بنشر العدوى، وهى الفكرة السخيفة أن هذا الصمت أكثر حكمة من الكلمات والتوقف عن العمل أفضل من العمل، وهذا ما أعمل ضده، وفى الأغلب أقوم بالتنظيف فى الفترة الأخيرة من أجل السيدة ماكجين، وأريد أن أرسل لها هذا كهدية، نعم فقد كان الأمر يستحق كل هذا التوتر والقلق وكنت أتوق أن أخبرها: ما هى وجهة نظرك؟ فأنا صغيرة بشكل كاف يجعلنى أسعى وراء الإجابة ولكنى كبيرة على أن أنتظرها.

أقوم بهذا العمل بسرعة وأسرع فى كل ساعة، فكل يوم ألقى نظرة على الدرابزين المصنوع من شجر البلوط، والذى تنزلق الأيادى صعودا ونزولا على منحنياته الملساء مما يجعله يبدو وكأنه كائن حى، وقد قدم هذا الدرابزين الكثير من الدعم المستمر وهو يبدو هادئا ويشع الضوء المنعكس منه، ويقاوم هذا الدرابزين بقدرته على الاستمرار ضخامة وحدة الإنسان العادى، ولماذا لا أنظف هذه

الأسطح الحريرية كل فترة بسبب إعجابى بها، أو كل يوم إن جاز التعبير؟ بالتأكيد لن أذكر حتى التأثير السريع والعابر لسائل الرش بالليمون. تناقشت مع دانيل ويسترمان فى أمور الأعمال المنزلية، ولم أتفاجأ قليلا عندما بدت أنها تسخر من الأمر فهى دائما هكذا، وهى تؤمن أن المرأة استعبدت عن طريق ممتلكاتها، فهى تكتسب الشىء ثم يأسرها بعد ذلك، وهذا يقضى على الإبداع فى المرأة وعلى إبداع أى شخص. ولكنى رأيت الطريقة التى ترتب بها مقالاتها على الرف، ورأيت كيف تضع الطاولة بحرص حتى لو لم يكن إلا أنا التى أتت لتورنتو لتناول الغداء معها.

غالبا ما تدهشنى آراؤها، بالرغم من أنى أحب التفكير فى أننى أعرفها جيدا، بالرغم من فارق الأربعين عاما بينى وبينها. إن الدكتورة ويسترمان شاعرة وكاتبة مقال ومؤيدة للحركة النسوية وتمتلك سبع وعشرين درجة شرفية، وقد قلت لها ذات مرة وأنا أشير إلى كلمة معينة فى كتابها الأول من مذكراتها فى محاولة ألا أبدو وكأنى أستفسر منها: "ربما يكون من الأفضل استخدام كلمة عقل هنا بدلا من كلمة قلب".

رمقتنى بنظرة تساؤل سريعة وكان جفنها ذو اللون الأزرق يرتفع، ماذا الآن؟ شرحت لها أن الإشارة للقلب على أساس أنه مركز الإحساس أصبحت أمرا قديما، وأن النقاد يدينون هذا الاستخدام قائلين إنه عفى عليه الزمن، وبالرغم من ذلك فإن كتاباتها ثمينة

للغاية، ففكرت فيما قلته ثم نظرت إلى مبتسمة بعتاب فيه مودة ثم وضعت يدها على صدرها وقالت: "ولكنى أشعر بالألم هنا، وبالحنان أيضا".

لم أعلق وانتهى الأمر، فدائما يجب أن تكون الفكرة المسبقة لدى الكاتب موجودة لدى المترجم، فانا أعرف الكثير بعد كل هذه السنوات.

هناك أشياء أخرى يمكننى استغلال وقتى فيها بجانب تنظيف منزلى، فهناك هذا الكتاب عن الحيوانات فى كتابات شكسبير، والديوان المصاحب لكتابى شكسبير والزهور، ويمكننى إنهاء ترجمة الكتاب الرابع والأخير من مذكرات ويسترمان، والتى ستستغرق حوالى ستة أشهر، وبدلا من ذلك فانا أكتب رواية ثانية ولكنى أكتبها ببطء، لأننى أستيقظ فى الصباح قلقة بسبب تنظيف منزلى، وأود لو أتبع فى هذا الأمر طريقة Q، فكل صدع وركن أصبح مصقولا، وكلما ذُكر منتج جديد للتنظيف أنتظر اللحظة التى أمسكه فيها بيدى، لا يمكننى التحكم فى الأمر، فكل يوم أفتح عينى وأريح نفسى بالأمور التى سأنجزها، وأرى أنه من المهم تعلم طرق ملتوية لمواساة النفس، وهى مهمة أيضا كى ينسى الشخص أطواره الغريبة. بعد أن أتناول غداء سريعا من الجبن والرقائق بعد الظهر، أذهب لأكمل روايتى، وعندما أنجز بها صفحتين، أعتبر أن اليوم كان جيدا، وفى بعض الأحيان أكتب ثلاث أو أربع صفحات، ثم أستلقى على كرسى

وأفكر: ها أنا هنا، امرأة جالسة وتفكر، ولكنى دائما متسرعة وشاردة الذهن، وفى يوم الثلاثاء أقابل أصدقائى لتناول القهوة معا فى أورانج تاون، أما يوم الأربعاء فأذهب إلى تورنتو، وفى كل يوم خميس بعد الظهر أذهب لاجتماع مجلس إدارة المكتبة.

ذهبت إلى تورنتو يوم الجمعة الماضى مع توم لحضور مؤتمر القوارض اللافقارية فى المتحف، بعد أن قضيت أياما فى البيت منتظرة مكالمة تليفونية من السيدة كوين فى بروميس هوستيل، والتى لم تثمر عن شىء فى الحقيقة إلا أن شيئا لم يتغير، وحضرت أيضا إحدى المحاضرات فكرت فى أنها ربما تزيد من حالة التشتت الذهنى التى أعانى منها، كانت تحاضر احدى عالمات الحفريات وتدعى مارجريت هنريكسين من مينيوبوليس، وكانت تحاضر فى غرفة مظلمة وكانت توضح ما تقوله بعرض على الكمبيوتر حول أحد القوارض اللافقارية التى تثنى نفسها بداخل كرة صغيرة،لم ير أى شخص على الإطلاق قوارض لافقارية، حيث إنها توجد فقط فى سجل الحفريات، ولكن تقسيم عظمها الصدرى مسجل على أحجار، وتظهر أن هذه الكائنات كانت تجيد التموج وقت الخطر، وكان كل جزء يعشش فى الجزء المجاور له ليحمى هذا الحيوان الطرى، تسمى هذه الحركة بالالتفاف، وهو تصرف شائع لدى المفصليات، ويبدو لى أن هذا ما كان يقوم به توم فى الأسابيع الماضية، فأنا أقوم بتنظيف منزلى وهو "ينطوى" فى صمته الذى

يأخذه بعيدا عنى، حتى أبعد من مدام ماكجين التى تزول صورتها سريعا، والتى تبقى ذرة غبار فى جانب عينى؛ وأتساءل لماذا لم يتم دعوتها لاستحمام مولود صديقتها فى هذه الليلة من شهر مارس عام ١٩٦١، إن الأمر يقلقها وهى نفسها محبطة، وكانت حياتها تتلاشى أمامها كل يوم. وكانت تدرك هذا منذ اللحظة الأولى، وكانت تتحمل آلامها دون أن تهتم بها، والآن هى تعيش فى هذا الفراغ فجأة، ولم تستعد لهذا الحزن الجم، وللحقيقة فإن بقية حياتها ستكون على نفس المنوال، العيش فى بيت يتهاوى لم يكن يتمنى أن تسكنه.

بعد انتهاء المؤتمر فى تورنتو أراد بعض الأصدقاء الذين يقومون بأبحاث عن القوارض اللافقارية، أن يتناولوا الطعام فى مكان يدعى فرونتير بار فى غرب بلور ستريت حيث المنظر الموحش، ربما قرأوا عنه فى دليل سياحى وظنوا أنه ربما يكون مكانا رائعا.

فى فرونتير بار تجد كل شىء أمامك، بدءا من جلود البقر المثبتة بمسامير على الحوائط، حتى العصى التى تثبت الفاكهة وعلى رأسها قبعة راعى البقر، وللمشروبات أسماء مثل روديو رومبا وكريزى هيهاو، وشعرنا بعدم القدرة على طلب مشروبنا من النبيذ الأبيض الممتاز، وقبل أن نودع بعضنا فى نهاية الليل، استأذنت فى الذهاب إلى الحمام، ووجدت خلف كل باب سبورة صغيرة جدا بها

طبشورة، وهى خدعة تستخدمها الإدارة كى تتجنب تخريب الممتلكات.

لقد تحدثت مع توم كثيرا عن الكتابات الموجودة فى الحمامات العامة ،وقد قمنا بعمل مقارنة بين الكتابات، فكلمة امرأة مكتوبة على الحائط بشكل لطيف للغاية وببراءة متناهية، وقد صدقنى توم بصعوبة، وقد رأيت مرة كلمة "غدا ملغى"، ورأيت أيضا "ساسكاتشيوان ليبرى" ورأيت مرة قصيدة قصيرة "عندما تمطر الرذاذ/ وأنت تتبول/ يجرى أن تكون لطيفا/ وأن تنظف المقعد"، أنا أحب هذا النوع من السخرية على وجه الخصوص وتلك الأفكار التى تبدو غير قادرة على الاكتمال إلا فى هذا الشكل المختصر وهى أشكال غير ثابتة.

لم أشعر يوما بالرغبة فى أن أضيف شيئا لأدب حوائط الحمامات، ولكن فى هذه الليلة فى فرونتير بار أخذت الطبشورة دون تردد، فرأسى تئن من الألم وكلماتى جاهزة.

ورغم ذلك بدأت أولا فى مسح ما هو مكتوب بمنديل مبلل، ومسحت عبارة "مرحبا يا أمى" و" لورى فراتس" وتركت لنفسى مساحة نظيفة لأكتب فيها "قلبى انكسر" بحروف كبيرة صماء، وما حركنى هو دفعة سأعترف فى وقت لاحق أنها دراماتيكية وطفولية ومتسامحة وعظيمة وقوية، ثم راودنى تفكير غريب، فرسمت قلبا

صغيرا فى الركن، ورسمت خطا يمر من خلاله، وكنت على وعى تماما بالجودة البسيطة للروح الجيدة لهذه الكتابات.

شعرت فجأة بأن الضغط قد زال من على كاهلى، وهو شىء لا يختلف عن السعادة لوهلة، لنصف دقيقة، حتى وإن كان تحت التأثير، الافتتان قد سمح لى بأن أكون مستقبلا وباعثا فى آن واحد معا وليس كائنا ميتا، ولكن تواصلا حيا فيما يمكن أن يصبح حزنا لا يطاق، وفى هذه اللحظة كنت أؤمن بحماسى كثيرا، وأننى سأكتب كلمات تظهر الحقيقة وأنى أدون أكثر الرؤى خصوصية وإزعاجا بدلا من الأنين الميلودراماتيكى المكتوب هنا، ودائما ما كان طموحى الداخلى هو أن أفرج عن هذا الحزن فى الحمام.

خرجت لأنضم لبقية الأصدقاء الجالسين على الرصيف خارج البار، ولم يلاحظوا أنى غبت طويلا وربما أكون قد غبت لدقيقة أو دقيقتين، فكان النبيذ الممتاز والطعام السيىء قد أثرا علىّ. الجميع يثرثر عن تورنتو وكيف أن شيئا مصطنعا مثل فرونتير بار لا يزال موجودا، وضع توم يده حول خاصرتى، وكان فى غاية اللطف لدرجة أنى شبه آمنت أنى تركت تأثيرى خلفى، كان هواء الليل باردا ويقترب من التجمد، ولكن لأول مرة منذ أسابيع كنت قادرة على أن آخذ نفسا عميقا، قلبى انكسر، قلت هذه الكلمات وأغلقت فمى عليها، ثم ابتلعتها.

إذا

سألتنى ابنتى نورا عندما كانت فى التاسعة قائلة: "حسنا، لماذا لا تتزوجين أنتى وأبى؟"

لقد كنت أنتظر هذا السؤال منذ عدة سنوات، وكنت جاهزة للرد فقلت لها: "نحن متزوجان فعلا بالمعنى الحقيقى للكلمة"، كنا نتسوق معا فى أورانج تاون صباح السبت، وكنا فى محل الأحذية الوحيد فى المدينة ولم نكن نهتم ببقية المحلات خارج المول التجارى، وكانت نورا تجرب حذاء المدرسة الجديد فقلت لها: "معنى أننا متزوجان هو أننا نعيش معا إلى الأبد".

فقالت: "ولكنكما لم تقوما بعمل العرس".

فقلت لها بسعادة: "ولكننا قمنا بعمل حفلة استقبال، فتناولنا العشاء مع الأصدقاء والعائلة فى شقة أبيكِ"، دائما ما كان التحول من العرس لحفل الاستقبال جزءا من خطتى للرد على هذا السؤال.

"ما نوع هذا الاستقبال؟"

كم كان سهلا على أن أدفعها لجانب واحد من الموضوع، رددت عليها قائلة: "تناولنا البيتزا والبيرة والشمبانيا لشرب النخب".

"هل كانت جدتى وينترز هناك"؟

"حسنا، لم تكن موجودة فهى وجدك وينترز كانا يحضران استقبالا آخر لنا، كحفل الشاى."

"ماذا كنت ترتدين؟"

"تقصدين فى حفلة البيتزا؟"

"نعم."

"كان لدى قفطان أهدته لى إيما آلين، وهو مصنوع من القطن الأفريقى وعليه رسومات بالأزرق والأسود، وقد شاهدتِ الصورة، ولم يكن هناك حينها سوى إيما مكلنتوش".

"هل كانت أشبينك؟"

"يمكنك أن تقولى هذا، ولكننا لم نكن نستخدم تلك الكلمة آنذاك."

"لماذا؟"

"لكن كان هذا فى السبعينيات، ولم يكن الزفاف حينها هو السائد، وكان الناس يعتقدون أنه غير مهم، ليس كذلك إذا كان الشخصان يحبان بعضهما حقا."

ثم اهتزت فى كرسيها قائلة: "أكره هذا الحذاء".

"إذا لن نشتريه."

"أى نوع من الأحذية كنت ترتدين؟"

"متى؟"

"فى حفلة البيتزا."

"لا أعرف إن كنت أتذكر ذلك، آها لقد تذكرت، لم نكن نرتدى أحذية حينها فقد كنا حفاة."

"حفاة؟ أنتِ وأبى؟"

"لقد كنا فى الصيف، وكان الجو يومها شديد الحرارة."

فقالت: "هذا لطيف للغاية، أتمنى لو كنت هناك."

كان هذا سهلا للغاية، فقلت لها وأنا أعنى ما أقول: "كنت أتمنى لو كنتِ هناك، كان اليوم ليصبح أجمل".

اتصلت بى إيما آلين منذ أسبوع مضى من نيوفاوندلاند، لتسألنى عما إذا كان هناك أى جديد. إيما صديقتى منذ أن كنا معا فى المدرسة الثانوية فى تورنتو، ولا حاجة لى هنا كى أشير لنقاط مشتركة بينى وبينها، فعقلانا يسيران فى نفس الاتجاه، فهى كاتبة وصحفية طبية، ولها شعر أحمر اللون وطويلة، وقد عاشت لفترة قليلة فى أورانج تاون مع زوجها وأطفالها، وكانت جزءا من نفس

ورشة الكتاب التى أعمل بها، نتحدث مرة على الأقل أسبوعيا على الهاتف، وعندما سألت إذا ما كان هناك أى جديد كانت تقصد نورا، وكيف أنها تعيش فى الشارع.

"لا تزال هناك، هى هناك كل يوم."

فقالت بطريقتها المعتادة: "ربما هذا مريح بعض الشىء، أتمنى ألا يكون الأمر أسوأ."

"أنا قلقة فقط بسبب البرد."

كنا فى أكتوبر وكانت كل ليلة تتميز بالبرودة الشديدة حتى إن الثلوج التى تذوب يسقط بدلا منها.

فسألتنى إيما: "هل ستعطينها ملابس داخلية للتدفئة؟"

"فكرة سديدة."

"على الجانب الآخر..."

"نعم؟"

ربما يأتى بها البرد إلى هنا، أنت تعرفين أن قرصات البرد تجعل الناس يستيقظون من نومهم ليبحثوا عن الدفء."

"لقد فكرت فى هذا أيضا."

"أعرف أنك فعلتِ."

كان والد توم طبيب أسرة فى أورانج تاون، وبالتالى أصبح توم مثله، لم يكن الأمر بهذه السهولة، ولكن تداعيات الأمر كانت متشابهة، فعندما كان طالبا كان ثائرا على الوضع وكان فى طريقه للانحراف عن المسار، فلم يحضر حفل تخرجه بالجامعة لأنه سيتحتم عليه ارتداء ملابس رسمية، ولم يرتد إلا البنطلون الجينز لمدة عشر سنوات، ولم يمتلك يوما رابطة عنق، ولا كان ينوى أن يشترى واحدة أبدا، فهى رمزا لليبرالية المعتادة، إن توم برجوازى بطبيعته ولكنه يحارب هذه الطبيعة، فالأمر بسيط، هو يعيش كرجل متزوج ولكنه لا يحبذ فكرة حفل الزواج ويعترض عليها، إن توم نوع مختلف من الأطباء، وهو يختلف عن والده القاسى والرومانسى فى نفس الوقت، ويظن بعض الناس فى أورانج تاون أن توم قديس، فهو صبور وشخص لطيف للغاية وموثوق به، يعمل توم فى عيادة أوارنج تاون مع ثلاثة أطباء آخرين، وأحدهم طبيب توليد يقوم بمعظم الولادات فى هذه المنطقة، ولكن توم لا يحضر الولادات، فهو يرى الكثير من المرضى والكثير من الناس الوحيدة، ومن خلال توم عرفت المعنى لوجود الوحدة، ولولاه لما آمنت بها.

أعتقد بشدة أنه يفكر فى القوارض اللافقارية طوال الوقت، فبينما يتحقق من غدة البروستاتا أو يكتب علاجا لأزمة صدرية، يكون جزء من عقله يفكر فى فكرة الـ ٥٠٠ مليون سنة الماضية ـ وهى فكرة صعبة علىّ كى أستوعبها ـ والكائنات المنقرضة

والمفصليات غير المحبوبة التى توجد فى كل بحر ومحيط فى العالم، فهى موجودة هنا منذ زمن بعيد، منذ حوالى مائة مليون عام، كان بعضها بحجم نصف ظفر الإبهام وبعضها كان بطول القدم، ولكن عثر مؤخرا على أحد القوارض اللافقارية العملاقة بالقرب من شواطئ خليج هدسون، وهو وحش بطول ٧٠ سم أى بمقياس قدمين وأربعة إنشات، إنه مخلوق قبيح ولكنه مخلوق لافقارى قابل للتكيف ويلتصق بفضلاته، له رأس ذات عيون منتفخة وصدر وشىء يشبه الذيل، كائن بثلاثة أرواح عاش فى زمن من الأزمان، توم يحبها كثيرا وبالتالى فكلنا نحبها.

قالت كريستين عندما واجهتها بسيجارة وجدتها فى جيب سترتها: "وما المشكلة فى هذا؟، ولماذا تفتشين فى سترتى أصلا؟"

"كنت أضعها فى الغسالة وبالتالى تحققت من الجيوب".

"أنا لست مدمنة إذا كان هذا ما يقلقك".

"نعم، هذا ما يقلقنى".

حسنا أنا لست كذاك، شربت بعض السجائر مع أصدقائى فقط".

حسنا كريس، عندما كنت حاملا فيك، لم أتناول قطرة خمر واحدة طوال التسعة أشهر، لم أتناول شىء بكثرة إلا الأسبرين، وكنت أشرب يوميا ثلاثة أكواب من اللبن وأنت تعرفين أنى لا أحب اللبن."

"يا إلهى، لقد كنت شهيدة حقيقية من أجل الأمومة".

"أردتك أن تكونى فى صحة جيدة".

"وأنت ستجعلينني أشعر بالذنب عندما أكبر".

"كنت آمل فقط..."

"لا عجب أن نورا..." ثم توقفت.

لا عجب أن نورا تركت المنزل، فقد نظرت لوجهها الصارم واستطعت قراءة الكلمات التى كادت تنطق بها

ثم احتضنتها وقلت: "حسنا، لا توجد مشكلة".

فهمست قائلة: "أنا أكره التدخين فى كل الأحوال، إنه ليس أكثر من مجرد شىء أردت تجريبه".

"إذا!"

هذا ما يقوله الناس عندما يبدأون بالحكى أثناء الحديث، أو عندما ينظفون مكانا صغيرا بحيث يمكنك أن تبدأ قصة بنفسك، يمكن أن تغنى على إيقاعات مختلفة، حسب الظروف.

"إذا!"

تقريبا هذه هى أول كلمة أنطقها عندما أجلس لتناول القهوة مع سالى باشيلى وآنيتى هاريس ولين كيلى، إذا! نحن هنا الآن مرة

أخرى فى غرفة تناول الشاى بأورانج بلوسوم، فنحن مجموعة تناول القهوة بأورانج تاون، نجتمع معا صباح يوم الثلاثاء، ما الجديد؟ إذا!، إن كلمة "إذا" مثل المزمار فهى تشير إلى النغمة "أ" فى الأوتار، إذا إلى أين سنذهب من هنا؟

بعيدا عن إيما آلين وجوين ريدمان اللتين لا أتواصل معهما كثيرا، فإن سالى وآنيتى ولين هن الأقرب إلى قلبى، فجميعنا تقريبا فى نفس السن، ولكننا نختلف فى الحجم بشكل كبير، فسالى امرأة كبيرة الحجم ولكن تشعر أنها مثل الملكات، فلديها فم مستدير ووجه مستدير وترتدى نظارة سميكة ومستديرة وبلاستيكية، وهى ممثلة سابقة وتدير حاليا مجموعة تمثيل دراما بعد دوام المدرسة، وهى رائعة فى اللهجات: الاسكتلندية والألمانية ولهجة شرق الهند، يمكنها القيام بأى شىء، حتى ذراعاها يتحركان بشكل مسرحى، وحتى كوعاها ورسغاها، ملابسها أيضا غير تقليدية من ناحية ألوانها وهى تقوم بتصميمها وعملها بنفسها، ألوانها مبهجة وصاخبة وزاهية، ولها أشكال مختلفة.

قالت لين كيلى: "إذا"، كانت ترتدى بذلة نسائية متناسقة والكثير من المجوهرات وحذاء مسطحا، إنها أقصرنا فهى أقل من خمسة أقدام ونحيلة للغاية، وبالنسبة لى فإنه لغز أن تنجب طفلين من بين هذين الوركين النحيفين، شعرها كبير الحجم وهو يعوض صغر حجم جسمها، وهو أيضا سميك وداكن وجميل الشكل معا، وتشعر

بعد كل جملة تنطق بها أنها متبوعة بنقطة، وقد ولدت ودرست فى شمال ويلز.

أتت آنيتى هاريس لأورانج تاون من تورنتو وقبلها من جامايكا، وعندما تقول كلمة "إذا"، فإنها تصنع دائرة منها، هى أجملنا جميعا ولها جسم عارضة أزياء، فوسطها نجيف وصدرها عميق ولديها قدمان رائعتان ويدان جميلتان، إنها تتقشف فى ارتداء ملابسها فيما عدا مجموعتها من الأساور والأقراط الفضية يدوية الصنع، قابلت آنيتى فى مجموعة الكتاب التى كنت أنتمى إليها سابقا، وكانت تكتب الشعر فى هذه الأيام ومازالت، ونشر كتابها الأشياء المفقودة منذ عام مضى وترك أثرا جيدا، وقامت بعمل ندوة قراءة فى تورنتو وكان الناس يتسابقون ليستمعوا إليها.

إذا فيما نتحدث عندما نجتمع معا لشرب الشاى فى أورانج بلوسوم؟ نحن لا نفكر أبدا فيما سنتحدث، نتحدث وفقط.

كانت لين تتحدث اليوم حول الثقة، فهى تهوى ركوب الدراجات الهوائية، وكانت دراجتها تستند على عمود إنارة فى الشارع بعيدا عن مستوى رؤيتنا وسألتنا: "كى أعرف أنها لن تسرق؟ ولماذا على التأكد بأنها ستكون فى أمان؟"

فقالت سالى: "لأنك فى أورانج تاون."

وقلت: "لأن المدارس بدأت".

وقالت آنيتى: "لأنها عمر هذه الدراجة عشرين عاما، ولكنها موديل رائع".

وأكملت لين: "ولماذا لا أخشى ركوب الدراجة أسفل طريق بوردين ثم الدوران للشارع الرئيسى؟ فأنا أضع خوذتى وأحاول أن أسير على جانب الطريق قدر المستطاع، ولكن ماذا إذا قرر سائق فجأة أن يقود بسرعة واندفع نحوى مباشرة؟"

فقلت وأنا أتذكر أنى تركت منزلى دون أن أغلقه: "لا أعتقد أن هناك من يقود بعنف كثيرا فى أورانج تاون فى هذا التوقيت".

فقالت آنيتى: "لا تصدقى ما تقوله، فهناك سائقون يقودون بتهور فى كل مكان".

"يمكن أن يأتى شخص الآن لهذا المقهى ويلوح بسيف تجاهنا، فقد قرأت عن رجل دخل إلى كنيسة فى إنجلترا وبدأ فى ذبح الناس".

"هل كان مجنونا".

"لم يكن بالإمكان التنبؤ بذلك".

"مثل أن تصعقى عن طريق البرق، فلا يمكن أن تقلقى بشأن البرق طوال الوقت".

"أو أن تصطدم طائرة بمنزلك".

فقالت لين بهدوء: "إذا أتى احدهم هنا بسيف، فلن تكون أمامنا فرصة".

"سنكون عاجزين عن التصرف."

"يمكن أن ننبطح تحت المنضدة".

لا، سنكون عاجزين".

"الثقة، إنها تولد معنا، أو أننا نخرج من أرحام أمهاتنا ونحن واثقون، نثق فى اليد التى ستمسك بنا".

فقالت لين: "إذا، متى تحررنا من هذا الفهم الخاطئ؟"

فقلت: "هل تقصدين متى ساورنا الشك حول الثقة؟ لقد حدث فى الحال، بعد أن ولدنا مباشرة وأنا واثقة من هذا".

مرت الأيام بعدها وجاءت بداية الخريف ثم منتصفه، حصلت كل من ناتالى وكريس على أدوار صغيرة فى لعبة باجاما التى تقدمها المدرسة الثانوية، وكانتا منخرطتين تماما فى أغانى لعبة باجاما فى البيت، والتى تظل أغنيات جميلة بعد ثلاث سنوات كاملة، أما الأغنيات المفضلة لناتالى فهى Hernando's Hideaway و Seven and a Half Cents وI've got sss-steam heat، وهى تغنيها بصوت عال وهى تنزل السلم وهى تذهب من جانب لآخر وهى تميل على الدرابزين وهى تفرد ذراعيها، أما كريس فتكون خلفها على السلم تنشد ببراعة برفقة آخرين، أما توم فيكتب بحثا لمؤتمر القوارض

اللافقارية للعام القادم فى أستونيا وسألنى: "ألا تحبين الذهاب لأستونيا؟"، لم أكن أعرف، فالأمر يتوقف على نورا وما يحدث لنورا. أحاول أن أعمل على روايتى الجديدة ولكنى أفشل مؤخرا فى القيام بذلك، حقق كتاب دانيل الجديد مبيعات جيدة دون جولة للمؤلف وحتى بالقليل من الدعاية، وهكذا يسير الأمر.

وإلا

كنت أعيش حياة مختلفة منذ سنتين فقط، ونادرا ما كنت أسجل فكرتى عن الحسرة، وكنت أظن أن الحزن مكون من المشاعر المؤذية والازدراء الطفيف والخسائر الضئيلة والخيانات الصغيرة التى تحدث وحتى الآراء السيئة، فالمأساة كانت شخصا لا يحب كتابى.

لم أكتب الرواية لسبب بعينه، إلا أننى شعرت أن هذا هو الوقت الصحيح فى حياتى لكتابة رواية، أرسل إلىّ ناشرى لنقوم بجولة فى أربع مدن: تورنتو ونيويورك وواشنطن وبالتيمور، ويمكن القول أن هذا عرض ترويجى متواضع، ولكن نادرا ما تعرف دار نشر سكريبانو ولورانس ماذا تفعل معى، لم أكتب أى رواية من قبل، فقد كنت امرأة فى الأربعينيات، وشكلى ليس معروفا بالشكل الكافى ولست مناسبة للظهور فى وسائل الإعلام، ولو كانت لدى سمعة جيدة فهذا لأننى محررة وأديبة وليس لأننى أُنتج قطعا أدبية خيالية جديدة ولامعة كى أمتع الجميع، أو هكذا تم وصفى على موقع Pub-lishers Weekly.

لقد احتار الجميع من أن كتاب My Thyme Is Up حقق مبيعات خيالية، ولم نكن نعرف من الذى يدخل إلى المكتبة ليشتريه، لم أكن أعرف وكذلك السيد سكريبانو، وقال: "ربما فتيات عاملات صغيرات السن محاطات بالوحدة وانعدام الأمان".

إن هذه الكلمات تجرح مشاعرى بعض الشىء، إلا أن التعليقات رغم أنها جيدة فقد جرحتنى أيضا، ويبدو أن المعلقين ذهلوا بأن روايتى الصغيرة (٢٠٠ صفحة) التى لم يكن لها وزن على الإطلاق "لها جاذبية غريبة" كما قالت New York Time Review: بينما قالت The New Yorker" إن كتاب السيدة وينترز مناسب لهذا الوقت بشدة، رغم أنه ليس مناسبا لكل الأعمار. نصحنى توم بأن أعتبر هذا مدحا، وهو يرى أن جميع الروايات ذات القيمة تهتم كثيرا بالوقت الذى صدرت فيه، وربما تكتسب هذه الروايات بريقا دائما بعد عدة سنوات، لم أكن متأكدة من هذا، وبما أنى أعمل كمحررة لأعمال دانيال ويسترمان منذ زمن بعيد، فقد اكتسبت بعض التقدير النقدى بسبب قوة موقفها الأخلاقى، وقد فهمت جيدا أن هناك شيئا محببا فيما يتعلق بكتابى.

كانت بناتى الثلاث سعيدات بهذا الكتاب لأنهن قد ذكرن بالاسم فى لقاء مع مجلة People Magazine، فقد كتبت المجلة (تعيش السيدة وينترز فى بيت ريفى خارج أورانج تاون فى أونتاريو وهى متزوجة من طبيب عائلى وأم لثلاث بنات جميلات: (ناتالى

وكريستين ونورا) كان هذا كافيا بالنسبة لهن. جميلة، وكانت نورا أكثرهن اهتماما بالأدب وتقلبا، قد تمتمت قائلة أنه كان من الأفضل أن أتغاضى عن النهاية السعيدة إذا ما قررت أليسيا أن تذهب لباريس فى النهاية وأنكر رومان حبه لها، وكان هذا ليجعل الكتاب أفضل، أما ناتالى وكريستين فهما يدرسان العلوم المتقدمة فى المدرسة الثانوية بأورانج تاون، وافترضت ابنتى أن هناك إفراطا فى الاهتمام ببذور الزعتر التى زرعتها أليسيا على شباكها، وفى مزاج أليسيا الفاتر وآمالها القوية، ولم يكن أى شخص لديه مثل عقلها سيغنى (كما فعلت أليسيا) هذه الكلمات التى سمعها رومان وهو يصنع القهوة فى المطبخ، مما جعله يرتبط بها إلى الأبد: "My thyme is up".

فاز كتابى بجائزة أوفيندين وبالرغم من أن المبلغ المالى كان جيدا للغاية إلا انه وضع الكتاب فى مكانة أقل، أسس كلارنس ومارجوت أوفيندين هذه الجائزة فى السبعينيات بسبب غضبهما الشديد من غموض الرواية الحديثة، ومقياسهما هو: "تهتم جائزة أوفيندين بالجودة الأدبية وسهولة الفهم" إن مارجوت وكلارنس شخصان طيبان للغاية وثريان، ولكنهما مضحكان بعض الشىء وساذجان فى حكمهما، ومارجوت بالذات شغوفة بتكرار وصفتها الدائمة حول كتابة الرواية وهى تحب أن تقول: "بداية ووسط ونهاية، هل هذا كثير؟"

وفى حفل تقديم الجائزة بنيويورك احتضنت توم والبنات وقالت لهن كيف أننى كنت متميزة وسط أقرانى وكيف أن هؤلاء الهواة يكتبون بادعاء دون أن يضعوا القارئ أمام أعينهم وهم يكتبون وكأنهم يلعبون من أجل متعتهم الشخصية وأنهم يضعون قناعا فى كل حدث، سواء كان هذا مناسبا أم لا، مثل من يضع مدخلا أو كرسيا فى كل فصل من الكتاب لمجرد أن يظهر الفصل محيرا وغامضا، وهمست مارجوت فى أذن توم قائلة: "إنه شىء رائع أن تجد هذه الشخصية المشرقة موجودة فى عالمنا." أجريت لقاء تليفزيونيا وكنت أجلس على كرسى فاسيلى وكانت هناك قطة على حجرى، وقد أصر أحدهم ـ ربما المخرج أو المنتج ـ أن تكون هناك قطة، وهو شىء يتعلق بالإخراج والتصوير".

لا أعتبر نفسى شخصا مشرقا، وفى الحقيقة، إذا صليت سأسأل الله كل يوم أن يبعد عنى هذا الإشراق السخيف، وقد تعلمت الكثير من حياة دانيال ويسترمان وأفكارها عن حياتها، وقد نصحتنى ذات مرة ألا أخفى الجانب المظلم من حياتى عنى، لأن هذا هو ما يدفعنا للأمام وهو ما يدفعنا بعيدا عن التألق الأجوف، وقالت هذا بالطبع فى أصعب الأيام التى مرت على المدرسة النسوية، ولم يتوقع أى شخص أنها ستكافح من أجل المرح والاحتفاء، أتذكر أنى شعرت بالقلق المستديم الذى شعرتِ به عندما علمتِ أنك محظوظة للغاية، وشعرت بهذا عند بدء جولتى

الصغيرة، وربما أصطدم فى أى لحظة، وربما الثلاثاء القادم بعد الظهر، بشىء لا أستطيع تحمله.

ودعت العائلة بعد أحداث نيويورك، وركبت القطار وسافرت إلى واشنطن، ومكثت فى فندق جورج تاون والذى كان ناشرى قد حجز فيه غرفة بالطابق العلوى، وهو شىء يسمى "جناح الكاتب"، وكانت هناك لوحة نحاسية على الباب تعلن عن هذه الحقيقة بوضوح، فأنا الكاتبة ريتا وينترز وأرتدى معطفا بيج واقيا من المطر آتية من أورانج تاون، دَخَلَت من المدخل بحقيبة صغيرة وهى تجرها ونظرت حولها، ولم تجرؤ على تخيل ما يمكن أن تجده. كان هناك صالون وغرفة نوم وحمامان كاملان وسرير واسع جدا والكثير من الكتب أكثر من أن أجد وقتا للجلوس عليه فى فترة إقامتى القصيرة، وطاولة للقهوة مكونة من غطاء زجاجى موضوع فوق ثلاثة كتب كبيرة الواحد فوق الآخر، وهناك رف كتب كبير يحوى مجلدات كبيرة للمؤلفين الذين مكثوا فى هذا الجناح، وقد قال لى الموظف: "نطلب من ضيوفنا أن يتركوا نسخة من أعمالهم هنا"، وكان على أن أشرح له أننى لا أمتلك إلا نسخة واحدة الآن ولكننى سأحاول أن أجد نسخة فى أى مكتبة محلية، فقال بصدق كبير: "سنقدر هذا كثيرا".

كانت الكتب التى تركها المؤلفون خلفهم إما محُبِطة أو مُلهمة أو إرشادات لمساعدة النفس مع بعض الإثارة بداخلها، لست متكبرة،

فقد قرأت قصة حياة جاكى أوناسيس على سبيل المثال، ولكن ارتباطى بكتاب من فصيلة دانيال ويسترمان جعلنى أتطلع دائما لدرجة معينة من الغموض والاختلاف البسيط، وهو ما لم أجده هنا.

أتانى حلم مزعج ولكنى اعتدت عليه وأنا نائمة على هذا السرير الكبير والواسع، ودائما ما يأتينى هذا الحلم وأنا بعيدة عن أورانج تاون وبعيدة عن أسرتى، وهو أننى أقف فى المطبخ فى منزلى وأقوم بعمل وجبة غريبة لضيوف، ولكن ليس هناك طعام كاف لعمل الوجبة، فيوجد فى الثلاجة بيضة وحيدة وربما حبة طماطم، فكيف سأطعم كل هذا العدد الذى ينتظر الطعام؟

أنا أعرف تماما كيف سيفسر المتخصصون هذا الحلم، وسيقولون إن ندرة الطعام تدل على ندرة الحب، وإنه لا يهم كيف سأحاول استخدام البيض والطماطم، فلن يكون هناك أبدا ما يكفى من ريتا وينترز لكل من يحتاجها، وهذا هو التفسير الذى كانت ستقوله لى صديقتى جوين والتى أتطلع لرؤيتها فى بالتيمور، هذا فى حالة أنى كنت حمقاء وحكيت لها عن الحلم. جوين مهووسة باقتناء الصحف التى تتحدث عن الأحلام، مثلها مثل عدد لا بأس به من أصدقائى، وهى تدون أيضا أحلام الآخرين إذا ما حكوا لها عنها ووجدتها هى ذات قيمة، وقد ادعت فى خطابها الأخير أنها أصبحت مفسرة أحلام بعد أن أكملت دورة ممتدة فى تفسير الأحلام.

أقاوم نظرية الحب غير الكافى وأفهم الأحلام على أنها لغة بديلة وأنها لغة لا نحتاج إلى تعلمها، وأحب التفكير فى أن حلمى الذى به أماكن فارغة، يشير فقط إلى التوقف المفاجئ أو توقف الالتزامات اليومية، فلأكثر من عشرين عاما كنت مسئولة عن عمل ثلاث وجبات فى اليوم لعدة أفراد أعيش معهم. قد لا أكون واعية بهذا الالتزام ولكنى متأكدة أنه على دائما أن أحسب وأوزع كمية الطعام الموجودة فى المنزل مع كمية الأفواه التى سأطعمها: البنات وتوم وأصدقاء البنات وحماتى وبعض المعارف العابرين، وهناك الكلب الذى يجب إطعامه والمياه التى يشربها فى الطبق الموضوع عند الباب الخلفى، وبعيدا عن منزلى وتحررا من مسئوليتى فى إعداد الوجبات، فإن حساباتى التى لم أقم بها تسللت إلى أحلامى دون توقف وتركتنى أهذى مع مخزون الطعام الذى قل كثيرا وحقيقة أنى غير مستعدة، إن مثل هذا الحلم كارثة ولكنى دائما أستيقظ وبداخلى إحساس بالرعب.

وبما أن My Thyme Is Up كانت روايتى الأولى، وبما أننى لم أكن معروفة، لم يكن لدى الكثير لأقوم به فى واشنطن، وكان السيد سكريبانو متخوفا من أن يحدث هذا، فلم تكن محطات التليفزيون مهتمة بى، وبطبيعة الحال فإن محطات الراديو تتجنب الروايات، وقال لى ناشرى إنهم لن يهتموا إلا إذا كان لديهم موضوع مثير للاهتمام مثل السرطان أو سوء استغلال الأطفال.

تمكنت من الوفاء بجميع التزاماتى فى غضون ساعتين فقط فى الصباح بعد وصولى مباشرة، أخذت التاكسى لمحل بيع كتب اسمه Politics & Prose حيث وقعت الكتاب لثلاثة من القراء ثم وقعت عدة نسخ أخرى أنتجها فريق العمل الجيد للغاية. قمت بالأمر على النحو السيئ، فقد كنت متحمسة للغاية بمقابلة من اشتروا الكتاب وكنت أتحدث كثيرا حتى يحبونى مثلما أحبوا كتابى، وربما يظن البعض أنى أريدهم أن يصبحوا أفضل أصدقائى فقلت (أرجوك ادعونى ريتا فقط كما يفعل الجميع). لم أكن قد استخدمت دبابيس لتثبيت شعرى ونادرا ما يحدث هذا الأمر، وكان يتدلى على وجهى الساخن. كنت سأندفع لأعتذر أننى لست صغيرة السن ومحبوبة مثل أليسيا بطلة روايتى، وأننى لا أمتلك مثل صوتها الرائع وطريقتها فى التعامل، كنت خجلة من بدلتى النسائية الحمراء كالتى تراها فى الكتالوج، وتساءلت إذا ما كنت سأتذكر أنى استيقظت فى جناح الكاتب كى أستخدم مزيل العرق.

أخذت التاكسى من Politics & Prose إلى محل بيع كتب اسمه Pages حيث لم أجد أى عملاء فيما عدا المالكين واللذين أخذانى لتناول الغداء فى حانة إيطالية صغيرة وأصرا على إعطائى نسخة مجانية من كتابى كى أتركه فى جناح الكاتب، لم يكن لدى أى خطط بعد الظهر، ولم يكن لدى ما أقوم به حتى الصباح القادم والذى من المفترض أن أستقل فيه القطار حتى بالتيمور، وقد حذرنى السيد سكريبانو أنى ربما أقوم بجولتى بمفردى.

عدت بعد ذلك للفندق وأنعشت نفسى ووضعت كتابى فى الرف، ولكن لماذا عدت للفندق؟ ما هى تلك الغريزة البيتوتية بداخلى التى جعلتنى أعود إليه، فى الوقت الذى يمكننى فيه زيارة متاحف، أو أخذ جولة فى غرف سينات؟ كان هناك وقت طويل بعد الظهر فى هذا الوقت الربيعى للقيام بالكثير من الأشياء، وفى المساء أيضا، حيث إن أحدا لم يدعنى لتناول العشاء.

قررت الذهاب للتسوق فى منطقةجورج تاون وقد عرفت من التاكسى عددا من المحلات الصغيرة، فسيأتى عيد ميلاد ابنتى نورا فى الأول من مايو خلال أسبوع وقد تمنت أن تمتلك وشاحا جميلا، لم تمتلك وشاحا أبدا فى سنواتها السبع عشرة، ليس إلا إذا أخذت فى الحسبان الخمارات الصوفية التى كانت ترتديها فى أتوبيس المدرسة، ولكن منذ رحلتها إلى باريس وهى فى الصف الثانى عشر، بدأت تتحدث عن الأوشحة التى ترتديها كل امرأة فرنسية أنيقة كجزء من خزانة ملابسها، كانت هذه الأوشحة مصفوفة بشكل رائع وكانت من الحرير ولن يفعل هذا غير الفرنسيين، وقد صدمتنى ألوانها وذكرتنى بالملابس الكئيبة، وبالسترة الزرقاء الذابلة التى ترتديها امرأة فرنسية أو تلك السترات الصوفية السوداء الرخيصة ثم حاولت أن أبعد عنى هذه الفكرة.

لم يكن لدى الوقت أبدا للتسوق فى أورانج تاون، وفى الحقيقة فإن البدائل هناك أقل، ولكن اليوم لدى الكثير من الوقت، فارتديت الحذاء ذى الكعب المنخفض وخرجت به.

تقع محلات جورج تاون فى وسط واجهات المنازل الصغيرة، مزينة بشبابيك أرستقراطية فارهة ومحاطة بحدائق صغيرة تأسر العين، يقع منزلى غير المرتب ومترامى الأطراف خارج أوارنج تاون، وإذا ما سقط فى هذا المكان فسوف يدمر نصف دستة أو أكثر من هذه الواجهات المصنوعة من الطوب، وكان هناك سعى حثيث لوضع أوانى الزهور هنا، كانت موضوعة بكل اهتمام وبوقار شديد وحتى الأوانى الفخارية نفسها كانت ممسوحة، وأشك أنها مسحت بورق صنفرة حتى تبدو ريفية الشكل.

يوجد فى هذه المحلات عدد قليل جدا من البضائع، وأتعجب من كيفية المنافسة مع بعضها البعض، قد يكون هناك ست أو سبع بلوزات على قضيب واحد، وبعض بلوفرات من الكشمير وطاولة مغطاة بالصدف والحجارة أو صورة ذات أطر من الفن الحديث أو بطاقات بريدية قديمة، وكان هناك عدد من البائعات الهزيلات يقفن على هذه البضاعة والتى وضعت فى شكل جميل لدرجة أننى أحببت شراء كل شىء تقع عليه عيناى، كانت الأوشحة معلقة على مسامير وفى كل محل مجموعة جيدة منها، ولم يكن هناك أى منها مصنوعا من الحرير الخالص بحواف ملفوفة.

لقد أخذت وقتى كاملا، وبما أن لدى الوقت للتسوق أدركت أننى سأتمكن من شراء أفضل وشاح لنورا، ليس حتى الأقرب للأفضل وبالطبع لن أتبع طريقتنا فى الشراء فى موطنى وهو شراء الأشياء

بسرعة وباندفاع، أتذكر أنها ذكرت أنها تريد وشاحا بلون أزرق فاتح مع القليل من اللون الأصفر، ربما أجد هذا الوشاح تحديدا فى أحد هذه المحلات، وقد شعرت بسعادة غامرة، عندما فكرت فى نفسى على أننى متسوقة حريصة ومتأنية.أخذت نفسا عميقا وابتسمت بإخلاص عندما وقفت أمام البائعات المتجهمات واللاتى بدون وكأنهن يشعرن ويتفهمن حرصى الجديد على الشراء، وقد تعلمت أن أقول "هذا ليس مناسبا هنا"، فكن يحركن رأسهن بعطف، ومعظمهن يرتدين أوشحة حول رقابهن، وقد أعجبنى كثيرا طريقة الحياكة وألوان الأوشحة، وقد أعجبنى أيضا تدخل النساء لمساعدتى فى مهمتى، فقالت إحداهن: "إن هذا الوشاح مناسب تماما للشخص الذى تشترينه من أجله" أو كلمة لها نفس المعنى، وكأنهن يعرفن نورا عن قرب ويتفهمن أنها امرأة صغيرة ذات ذوق معين ومتطلبات محددة ولها روح مطيعة وكن حريصات على إرضائها.

لم تكن كذلك فى الواقع، دائما ما كنت أظن أنا وتوم أن إرضاءها سهل للغاية، وهى من القلائل الذين يعتقون أنهم يستحقون. عندما كانت نورا فى سن الثالثة أو الرابعة وكانت تتناول الغداء على طاولة المطبخ، سمعت صوت طائرة تمر من فوقنا ونظرت إلى وقالت: "إن الطيار لا يعرف أننى آكل بيضة". لقد صدمت نورا من فكرة الوحدة هذه، ولكنها كانت راغبة فى أن

تستوعب الصدمة بهدوء حتى لا تنبهنى لهذا، كانت هذه الفتاة لترضى بأى وشاح كنت سأشتريه لها منذ عامين فقط، وأنا سعيدة أن لدى الوقت لمرة واحدة أردتها، أن تتاح لى الفرصة كى أنتقى لها وشاحا سيدخل السعادة إلى قلبها.

كلما تحركت من محل لآخر بدأت فى تكوين فكرة محددة للغاية عن الوشاح الذى تريده نورا، وبدأت أرى استحالة إتمام هذه المهمة بنجاح، فقد أصبح الوشاح فكرة، يجب أن يكون براقا وهادئا فى نفس الوقت ومصنوعا ببراعة، ولكن يجب أن يكون متميزا فى شكله أيضا، لم أرد شيئا رفيعا، فهذا لن يناسب نورا، ولكن ما أردته هو القوة والحضور، ولكن يجب أن يكون متعرجا وأثيرى الشكل، وهذا ما كانت تستحقه نورا وتتمناه فى السابعة أو الثامنة عشرة من عمرها، دائما ما كانت نورا فتاة شجاعة ذات متطلبات قليلة. أخبرتنى مرة وهى فى الرابعة أو الخامسة كيف أنها تتحكم فى أحلامها السيئة، فقالت بواقعية: "أدير رأسى على المخدة فقط، وهكذا أنسى الأمر وكأنى أغير قناة التلفاز." فهى تفعل هذا بدلا من أن تنادينا أو تبكى، فقد حلت أزمة كوابيسها، وبصراحة فقد حلت مشكلتها بنفسها، وأعترف أن هذا ما أراحنى أنا وتوم قليلا وقد استمتعنا بهذا، وأتذكر بخجل الآن أنى رويت هذه القصة لصديقاتى ونحن نتناول القهوة أو الغداء، أن ابنتى المقاتلة الصغيرة تتحكم فى حياتها الباسلة.

نادرا ما أرتدى أوشحة ولا أحبها أن تزعجنى، بالإضافة إلى ذلك فأى شىء أضعه على رقبتى يجعلنى أبدو مثل فريق Girl Guide، فالعقد تصدم بالزور مباشرة ورؤوسها تبرز بدلا من أن تتدلى، أنا لست ماهرة فى انتقاء الإكسسوارات وأنا أعرف هذا جيدا عنى، وأعرف أيضا أننى لست متسوقة بارعة. ولأننى لا أمتلك الرغبة فى الحصول على الرفاهية، فلم أفهم أبدا ما الذى يجعل النساء الأخريات يسعين من أجل الحصول على أفضل ما فى السوق، ولكن لدى بعض الشكوك الآن، فهى الرغبة فى أن ترضى إحداهن على الوجه الأكمل، حتى لو كان نفسك. بدا لى الأمر فى هذا الوقت غير المناسب أن السعادة فى مستقبل ابنتى نورا ليس فى أن تُقبل فى **ماكجيل** ولا أن تكتسب صديقا جديدا، ولكن فى أن تمتلك قطعة معينة من الملابس، والتى يمكننى توفيرها لها. ليس لدى سلطة على **ماكجيل** أو الصديق، أو على أى جزء حقيقى لسعادتها، ولكن يمكننى توفير شىء مؤقت وضرورى: هذا الحلم للتحول، وهذه القطعة من الحرير.

وها هو، ينسدل على شماعة من الفضة فى المحل رقم عشرين الذى أدخله، رن الجرس الصغير، وتصاعدت إلى أنفى رائحة أوراق الورد التى أصبحت مألوفة بالنسبة لى الآن، ولاح فى الأفق وشاح نورا، وكان على شكل مستطيلات من أقصاه لأقصاه وكل منها محاك بمهارة شديدة: الأزرق والأصفر والأخضر وبنفسجى يضفى

سرورا للنفس، كان كل من هذه الأشكال محاطا بلون أسود وكانت ملونة وكأن من لونها ريشة فنان، كان لمعانه مبهرا وملمسه كالثلج ومبهجا، كان سعره ستين دولارا أمريكيا، هل هذا كل ما فى الأمر؟ أخرجت بطاقة الائتمان دون تفكير، وها قد قضيت يومى جيدا. وبعد أن نظرت حولى اشتريت أقراطا فضية على شكل هلالى لناتالى وأسورة ذات ثلاث خرزات لكريستين، قررت كل هذا فى دقيقة واحدة، وشعرت أنى مليئة بالقوة والإثارة.

ركبت القطار فى الصباح باتجاه بالتيمور، ولم أتمكن من القراءة على ظهر القطار بسبب الاهتزازات التى كانت تحدث بين المناطق الطبيعية فى المدينة، كان هناك رجلان يجلسان أمامى ويتحدثان بصوت عال عن المسيحية، وعن الانحدار المؤسف الذى حدث لها، وكانا ينطقان اسم "يسوع المسيح" وكأن الكلمتين تمثلان الاسم الأول والثانى لنفس الشخص، هكذا نطقوها وبحميمية، المسيح عيسى.

لم يكن لدى ما أفعله فى بالتيمور مرة أخرى، ولكنى لم أهتم لأننى كنت سأتقابل مع جوين لتناول الغداء، وسألنى شاب صغير وهو مقدم برامج فى الراديو ـ وكان يرتدى تيشيرت أسود وسلاسل ذهبية حول عنقه، عما سأفعله بجائزة أوفيندين المالية، وسألنى أيضا عن رأى زوجى فى أنى كتبت رواية، وبعد ذلك زرت Book Plate (مزيج بين المقهى والمكتبة) ووقعت ستة كتب، ولم يكن لدى بعدها ما أفعله حتى موعدى مع جوين، وكانت الساعة حوالى الحادية عشرة صباحا.

لم أرها منذ أن كنا نتقابل فى مجموعة الكتابة القديمة فى أورانج تاون، عندما كنا نتقابل مرتين شهريا لنتشارك أعمالنا ونقوم بعمل ورشة عمل لكتاباتنا، كنا نحضر نسخا من أعمالنا لهذه الجلسات الصباحية من شعر ومذكرات وأدب، كنا نأتى بنسخ مصورة من أعمالنا أثناء هذه الجلسات الصباحية، وكنا نتناول القهوة والكعك، وكان هذا فى أوائل الثمانينيات وهو العصر الذهبى للكعك، وكنا نشجع بعضنا البعض ونقدم بعض الاقتراحات مثل "أعتقد أنه يجب أن تقومى بالمراجعة مرة أخرى قبل الانتهاء" أو "ألم تدخل الشخصية "س" هذا المشهد متأخرة قليلا؟"، وكانت هذه الكلمات النقدية تؤخذ لما قيلت له، فهى تعليقات بعض الهواة، ولكن عندما كانت جوين تتحدث كنا نستمع لها، وقد أسعدتنى ذات مرة بأن علقت على إحدى كتاباتى قائلة "إن هذه الصورة الخيالية عن مادة البلين فى غاية الروعة، وأتمنى لو أنى كنت فكرت بها". وكانت قصصها القصيرة قد نشرت بالفعل فى عدد من المجلات التى تصدر كل ثلاثة أشهر، وكانت المبيعات ذلك العام خيالية، وانتقلت بعدها بعام لتنشر فى هاربر، وعندما انتقلت إلى بالتيمور منذ خمس سنوات لكى تعمل ككاتبة مقيمة لأطفال إحدى زميلاتنا، بدأت مجموعة الكتاب فى الاختلاف حتى تفككت المجموعة ببطء.

ولكن ظلت جوين وأنا على اتصال، وكتبت بسعادة غامرة عندما وقعت بين يدى قطعة من رواية لها اسمها "الملاعق الثلاث" وكانت

إعلانا عن رواية تحت الطبع، وكانت قد استخدمت استعارتى عن البلين ولاحظت هذا الأمر، وشعرت بإطراء شديد. أنا أعلم عن رواية جوين، وهى تعمل عليها منذ سنوات، وحاولت أن تأتى ببناء نسوى للرواية والتى كانت تتحدث بشكل مباشر عن زواجها المبكر الذى انتهى بالفشل، قدمت جوين الكثير من التضحيات من أجل زوجها الطالب الشاب والذى قد خانها، وفى نهاية السبعينيات، وفى خضم الحب والرغبة فى أن يلبى احتياجاته كاملة، أغلقت سرتها بسبب عملية تجميل لأنه اشتكى من أنها تصدر رائحة كريهة، وعلى ما يبدو أن هذه الشكوى صدرت منه مرة واحدة فقط، يا له من شىء كريه، إنها لحظة نزوة مرت به، ولكن أيا كانت الرغبة التى جعلته يفعل هذا سواء المتعة أو العقاب، ففى النهاية هى الآن تعيش بدون سرة، وقد تركت هذه العملية فى وسط بطنها تجويفا سطحيا، وأصبح عدم وجود السرة هو رمز لندمها وغضبها أكثر من أى شىء آخر، تحدثت عن المحو، وكيف أن علاقتها السيئة دائما بأمها انمحت بمجرد ظهور أول علامة للتواصل، وقالت فى آخر بريد إلكترونى أرسلته لى إنها تبحث عن حل لعلاج سرتها، ولكن تكلفة العلاج باهظة للغاية، وفى غضون هذا، استعادت اسمها قبل الزواج وهو ريدمان، وأصبحت تستخدم اسمها كاملا، جويندولين.

غيرت طريقة ملابسها أيضا، وقد لاحظت هذا فور رؤيتها تجلس فى مقهى بيار، وكان الجينز وسترتها يبدوان مثل قطعة من

الملابس المثنية غير المخيطة وغير المنظمة، وكان هناك تنورة وتنورة أخرى فوقها وكاب وشالات، كان من الصعب التحديد بدقة ما كانت عليه، وقد امتدت هذه اللفافات من الملابس التى بلون السلمون إلى رأسها حتى غطت شعرها بالكامل، وقد أتانى خاطر بشع لوهلة إذا ما كانت مريضة، وإذا ما كانت تخضع لعلاج كيميائى وتعانى من تساقط شعرها، ولكن لا، فها هو وجهها الناصع ملئ بالصحة، وبدلا من أن تحمل محفظة نقود، كانت تحمل كيسا بلاستيكيا ثقيلا عليه شعار سوبر ماركت، وكان الأمر مثيرا للفضول خاصة وأنها وضعتها على الطاولة بدلا من وضعها على الأرض كما توقعت، نقرت بخفة على السطح الخشبى اللزج، وتذكرت أنها دائما ما كانت تحمل تفاحة معها وكتابا أو كتابين بغلاف ورقى وزجاجتها الصغيرة التى بها دواء للقرحة فى البرد.

أرسلت لها بالطبع عندما تمت الموافقة على نشر روايتى "My Thyme Is Up" وأرسلت لى كارتا تقول فيه "أحسنتِ، يبدو أنها ستحدث صدى".

تفاجأت قليلا من أنها لم تحضر نسختها كى أوقعها لها، وتساءلت عن نقطة معينة وأنا أتناول طبق المحار، إذا ما كانت قرأته أصلا، إن الكلية تدفع لها مبلغا زهيدا وأنا أعرف أنها لا تمتلك المال الكافى لشراء نسخة من الكتاب بغلاف جديد، فلماذا لم أجعل السيد سكاربينو يرسل لها نسخة مجانية؟

بعد أن انتهينا من تناول السلطة وطلبنا القهوة، أدركت أنها لم تتحدث عن الكتاب إطلاقا، ولم تهنئنى حتى على جائزة أوفيندن، ولكن ربما لم تكن تعرف، فالخبر الذى كتبته جريدة النيويورك تايمز كان صغيرا ومن السهل ألا تتم ملاحظته.

أصبح من المهم فجأة أن أخبرها عن الجائزة، كانت رغبتى فى هذا قوية كالرغبة الملحة فى التبول أو الابتلاع، فكيف سأذكر الأمر فى الحوار؟ ربما يمكن أن قول شيئا عن توم وكيف أنه فكر فى وضع سقف جديد لحظيرتنا، وأن مبلغ جائزة أوفيندن سيساعدنا فى هذا، هكذا سأذكر الموضوع مصادفة، إنه أمر سهل.

ثم قالت بصوتها الودود والمنطلق "حسنا! بداية ووسط ونهاية" قالت هذا بابتسامة عريضة وكأنها تريد أن تخبرنى أنها على علم بالأمر.

تحدثت عن أشيائها، وتعنى بها كتاباتها، وجعلتها تبدو مثل كيس من الألياف الحريرية، دائما ما تكون هناك مفاجأة لغوية فى أعمالها، ولكن الأكثر إثارة بالنسبة لى، هو الأشياء الصغيرة فى العالم الذى تأتى بها فى كتاباتها، كالملاحظات أو التعارض أو بعض التأملات الجانبية، كانت تعرف قيمتها، وقالت كمعجبة "إنه يحب كون كتاباتى خارج دائرة الاهتمام، وترسم مسارات عشوائية" . بدت عيناها ورديتى اللون من الجوانب، ولكن ربما يكون هذا انعكاسا للون منديل الرأس، والذى يمر على شكل خط حاد عبر جبهتها.

دائما ما كانت تدعى أن لديها القليل من الخيال، وأنها تكتب من وحى حياتها الخاصة، ولكنها كانت دائمة البحث عما تسميه "الخليط"، وكانت تعنى بهذا الشىء الموضوعى والغريب والعادى والهلامى فى الحياة اليومية، والذى يقوى لحظاتنا الحقيقية فى الوجود، رأيتها على سبيل المثال تقوم بإعادة حياكة الملابس بمهارة، بسبب الطريقة التى يتقاطعون بها مع الوقت، وخاصة الملابس الرخيصة، وقطعة أخرى رائعة على المرايا المائلة وأخرى بها رائحة بعض السلالم الخشبية منذ طفولتها، ويتراكم الشمع والخشب والنظافة الجيدة على جانب القصة ولكنها لا تدعى لنفسها أية أهمية.

بدت حزينة وهى تتناول قهوتها، وبدت أكبر مما أتذكرها، ويمكننى القول أنها كانت محبطة منى لسبب ما، يمكن للمرء أن يشعر بإحساس عدم التواصل، فكل لقاء يفتح لنا طريقا للنجاح أو الفشل، فكرت فى أن أقدم لجوين قطعة من العجين بأن اخبرها عن الاكتشاف الذى اكتشفته فى اليوم السابق، وهو أن التسوق ليس كما كنت أظنه، وأنه يمكن أن يصبح مهمة أو حتى فنا إذا احتفظ الشخص به، كانت لدى بعض الأفكار حول التسوق، وقد يكون هذا ممكنا لإدراك هذا العمل البشرى وليس لتخيله فقط.

سألتنى وقد عرفت أنى لفت انتباهها أخيرا: "كم محلا تفحصته؟"

فقلت: "عشرون أو ما يقرب من ذلك".

"غير معقول".

"ولكن الأمر استحق العناء، لم يكن كذلك عندما بدأت، ولكنه أصبح مستحقا للعناء أكثر وأكثر كلما مر الوقت".

فسألت ببطء: "لماذا؟"، يمكننى القول أنها كانت تحاول أن تشعر نحوى بقدر من الامتنان، ولكنها كانت على وشك البكاء.

"لأرى إذا ما كان هذا الشىء الموجود فى عقلى موجودا فى الواقع أم لا".

"وها هو موجود".

"نعم".

ولأثبت وجهة نظرى، وضعت يدى فى الجراب وسحبت شنطة المحل شاحبة الألوان والمنتفخة، وبسط المنديل الوردى على الطاولة وجعلتها ترى الوشاح.

رفعته أمام وجهها وترقرقت الدموع فى عينيها وقالت: "إنه فى غاية الجمال"، ثم قالت: "لقد وجدته، وكأنك من صنعته تقريبا، لقد صنعته، اخترعته من وحى خيالك".

لقد بكيت تقريبا، لم أتوقع أن يفهم أى شخص ما شعرت به

رأيتها تعيد لف الوشاح فى الورقة، وقد أخذت وقتها فى تنسيق وضع الأحرف بأطراف أصابعها، ثم وضعته فى حقيبتها البلاستيكية وبدأت الدموع فى الانسياب بحرية، حتى أنها بللت اللون الوردى على وجهها، وقالت: "أشكرك عزيزتى ريتا، أشكرك، أنت لا تعرفين ماذا أعطيتنى اليوم".

ولكنى فعلت ذلك، نعم فعلته

ولكن كم يساوى؟ وشاح، نصف أونصة من الحرير وربما أقل، يطير حرا فى العالم ليجعل أحدهم سعيدا، لا يهم. نظرت إلى جوين أو جويندولين صديقتى القديمة ثم نظرت إلى يدى، ورأيت خاتما صغيرا من العقيق الأحمر، وكان هذا الخاتم هدية من توم فى السبعينيات، أعطاه لى بعد أن تقابلنا بأسبوع واحد. فكرت فى بناتى الثلاث وفى حماتى ووالدتى المتوفاة وهدوئها الساحر واحتياجها للراحة التى كانت تحصل عليها برسم الصين، لم يكن أى منا ليحصل على ما أردنا، شككت فى هذا الأمر لسنوات، ولكنى الآن أؤمن أن نورا تقريبا تعرف السر الأنثوى الكبير بأن تحتاج المرأة لشىء ولا تحصل عليه. نورا هى الجندى الشجاع، تخيل شخصا يكتب مسرحية تسمى وفاة بائعة، يا للفكاهة. لدينا شفافية فى حاجتنا للدعم لدرجة أننا نسأل أنفسنا الكثير من الأسئلة التى لا نهاية لها، ولكننا لا نسألها بالقوة الكافية، فهذا العالم ليس مستعدا لنا بعد، ومن الصعب على قول ذلك ولكننا لينون للغاية،

حتى أنتِ يا دانيال ويسترمان والتى تعتبرين رائدة فى الحركة النسوية وناجية من الهولوكوست والساخرة والعبقرية، حتى أنتِ يا ريتا وينترز بمعرفتك القديمة والجديدة وغير المفيدة وسحرك السابق. إننا طيبون للغاية ولدينا الرغبة، وليست لدينا الرغبة أيضا فى أن نصل دون أن ننظر وبمجرد أن نمد أيدينا إلى ما نريده، ولكننا لا نعرف كيف نطلب ما لا نعرف حتى إننا نريده.

بدلا من ذلك

أريد أن أتحدث أكثر عن مشكلة المرأة، وكيف أنها منبوذة ومبعدة عن أهم المواقع ولا تأخذ أهم حقوقها.

لكن التفكير السائد يقول: لقد وصلنا لمرحلة متقدمة للغاية، وهذه المرحلة هى مقارنة بخمسين أو مائة سنة ماضية، حسنا، الأمر ليس كذلك، فقد دخلنا فى ألفية جديدة ولم "نصل" بعد، وقد تم نبذنا وتنحيتنا جانبا فى المجتمع حتى قاربنا على الاختفاء، لا يوجد من هو أعمى كى لا يرى ويدرك سلطة القوى على الضعيف، وبالتالى فاحتمالية الانهزام كبيرة. كان هناك برنامج Literary Lights يوم الأحد الماضى كما أتذكر على القناة الثانية، وكان تستضيف هذا الرجل ذا الرأس الربعة والقوية بأذنيه التى تلتصق بوضوح بجمجمته، وكانت الثمانين عاما ظاهرة عليه بقوة، وسُئل: "من يمكنك أن تقول أنه أكثر من أثر عليك؟"

أعتقد أن هذا السؤال يحتاج لبعض التفكير الأدبى، ولكن ليس الكثير من التفكير، فقال: "ممم، بالتأكيد تشيكوف"، ثم لان وجهه بدرجة كبيرة وقال: "وهاردى وبالطبع بروست دون أى تفكير".

ما مشكلة هذا الرجل؟ ألم يسمع أبدا عن فرجينيا وولف؟ أليس شجاعا بشكل كاف كى يقول اسم: دانيال ويسترمان أو إيريس موردوش؟ ولكن الأمر لا يتعلق بالشجاعة فى حالته هذه، فالفكرة أصلا لم تخطر على باله.

ولكن لحظة، ها قد أتى سؤال "المرأة"، وسألته المذيعة المتجعدة والمتوترة، بتسريحة شعرها وقد تصببت عرقا وكانت تنظر فى ورقها وقالت بعينين خائفتين: "ماذا عن (توقفت قليلا) الكاتبات من النساء؟ من المؤكد أن النساء أعدن تشكيل مسار هذا القرن"، ففكر بعمق وعقد ما بين حاجبيه، ثم نظر بأمل للكاميرا وقال: "ممم، كانت هناك كاتبات مهمات فى القرن التاسع عشر، نعم ولكن.. انتهى البرنامج فى ثلاثين ثانية ولم يكن ليذكر اسم امرأة فى هذه الحالة من الضعف.

وقد أعاق المرأة مسؤولياتها التى تتكاثر دائما، ربما يتحدث هو عن أنه حصل على الوقت أو التشجيع المناسب من رئيسه فى العمل، أو هل شعر بالحرج الكافى كى يصنع هذا الفراغ الكبير فى العلن، أما النساء فكن مشغولات بتربية الأولاد وجمع الأعشاب الصالحة للأكل وجمع المصابيح. أترون، كان بإمكانه أن يقول وهو

يحرك أصبعه الصغير إن الأمر يتعلق بالتركيبة البيولوجية والقدر، أما النساء فقد أعاقتهن التركيبة البيولوجية، فمثل هذا المفهوم المحايد والمخادع، وهو الأمر الذى يعيق اللوم.

أرسلت لى إيما آلين بريدا إلكترونيا من فاوندلاند بالأمس، وكانت هى وابنتها وزوجة ابنها المتوفى فى إجازة بمنتجع صحى فى عطلة نهاية الأسبوع، كان تتطلع إلى أن تكون "معاقة" تماما كى تقوم بالتغيير.

الإعاقة؛ خطأ مطبعى واضح، فهى ليست من نوع التداخل على المستوى اللغوى أو الثقافى الذى اعتدت أن استخدمه عندما أتحدث مع دانيال ويسترمان، والتى سأترجم مذكراتها فى نهاية الأمر والتى كتبتها على أربعة أجزاء، وهى تصر على تسمية هذه العملية Tra-duction أى التحويل من لغة للغة، بالرغم من أنها تعيش فى بيئة تنطق بالإنجليزية لأربعين سنة حتى الآن، وهى تريد أن تعرف عندما أنتهى من ترجمة الفصل الثانى. هذا هو الفصل الذى تعود فيه إلى الخلف وتتحدث عن تعاملها مع الغيرة المجنونة لزوجها السابق بعد نشر ديوانها الأول، والذى أحدث ردة فعل رائعة فى فرنسا عام ١٩٤٩، وكان اسمه "الجزيرة" ونشر فى باريس عن طريق دار نشر جراندمونت. وجدت أن القصائد صعبة الترجمة (الشعر ليس تخصصى)، ولكنى كنت صغيرة السن وقتها ولدى الرغبة فى أن أثبت نفسى وأن أكون صبورة إلى أبعد الحدود فى نقل الكلمات

من مكان لآخر، وكنت أغنيها بصوت مرتفع كما علمونا فى الترجمة، كنت أحاول أن أصل إلى نية الشاعر الكاملة حتى تظهر فى الترجمة، كانت القصائد كلعب صغيرة ذات أجزاء متحركة وكانت مليئة بالتورية والإشارات للحركة النسوية المبكرة، وآسفة لقول إنى تركت معظمه.

قررنا أن نغير العنوان ليصبح العزلة، وترجمتها المباشرة هى الجزيرة، وحتى الآن لم أتمكن من أن التقط حس دانيال الذى كان لديها فى هذا الوقت من حياتها، باعتبار أنها كانت النسوية الوحيدة فى العالم. أرادتنى أيضا أن أغير فى صفحة حقوق النشر اسم ناشرها الأصلى من دار نشر جراندمونت إلى دار نشر الجبل الكبير، يمكنها أن تكون حاسمة وعنيدة كما يعلم الجميع، ولكن فى بعض الأحيان يكون هناك بعض المنطق الدفين خلف تعنتها "إن هذه ترجمة، يا إلهى"، وتنفست من أسفل مكياجها وردى اللون، "لماذا لا نعطى هؤلاء المحررين الفرنسيين الطموحين أسماء جديدة من العالم الجديد، أسماء بها حياة وتعطى أملا جديدا فى الحياة؟"

قلت لها بهدوء: "بشكل عام، ليس من الجيد فى الترجمة أن أغير أسماء المحررين الناشرين الأجانب".

أرادات أن تعرف من وضع هذه القاعدة، ولكن يمكننى الجزم أنها سوف تقتنع بكلامى على المدى البعيد، شخصى محب للحياة مثلها لم يكن له طاقة أن يصبر على المتشددين، لقد عملنا معا

لسنوات حتى الآن، ولكن حتى فى الأيام الأولى كانت تسعى لأن نفهم بعضنا البعض، وكنا ندلى بمقترحاتنا الصغيرة ونُقَوِمُهَا بشكل لائق حتى تبتعد عن المواجهة الفعلية بيننا. كنا نختلف على علامات التنصيص ولكننا كنا نتفق عندما يتعلق الأمر بمستويات الاستخدام. على سبيل المثال، رفضت استخدام كلمة ass عندما تكون هناك إشارة لمؤخرة أحدهم، وكنت أتفق معها فى هذا، فكلانا يكره هذه الكلمة بشدة، وقد استمررنا ولم يكن هناك ما يمنع ذلك، فكلانا يعرف بطريقته المختلفة مدى الراحة التى تسببها استخدام الكلمة فى مكانها الصحيح.

كانت تقول إننا امرأتان رائعتان، وهكذا كانت تعبر دائما عن الغاز الفكرى الذى يحيط ويرتبط بالطاقة المختلفة فى كل منا، وكل منا منشغل بداخله بتكوين المرأة والتدرج فى الحالة النفسية للمرأة، ودورات المرأة غير الرحيمة التى تأتى بهجمات مشابهة من الارتباك الأدبى، بالإضافة إلى ذلك فكلانا تتشارك فى حب الصعب من اللغة والتسامح الأنثوى (فى رأيى) فى اللحظات التى تصبح فيها الكلمات غامضة وغير واضحة، فهى تعرف أهمية الدراسة الصارمة، وهى تعرف فى نفس الوقت كيف تحافظ على فكرها سلسا.

لكن حياتها مختلفة عن حياتى، فقد عملت بجد لأنه هذا ما كان يجب أن تفعله، وقد خبأت لفترة طويلة أجندتها السياسية خلف

الاتفاقيات الأدبية التى أبرمتها، وفجأة انتهت فترتها التقليدية وتركتها بالكثير من الأسئلة الصعبة على عاتقها، وكان بعضها يتجه مباشرة نحوى، كيف أسمح لنفسى بالعيش مع رجل؟ وقد سألتنى هذا السؤال أكثر من مرة، لم تفهم أبدا كيف يمكن أن أتقبل الاستبداد من شخص يخترق حياتى (الاختراق)، ولسبب ما فإن هذه الكلمة دائما ما تنطق وكأنها لا توجد فى الإنجليزية أصلا، فهى تنطقها بحماس، على الرغم من أنها كبرت وهى تحب توم بشدة، ورغم أنها ليست غريبة على هذه الحالة من الاختراق إلا أن لهذا مجالا آخر فى حياتها.

حتى بناتنا الثلاث، هى تعرفهن جيدا وتحبهن بشدة، ولكنها لا تعرف كل شىء حول دورى فى حياتهن، وكيف أن جسدى ووعى لم ينفصلا أبدا وفى أى وقت عنهن، إنها قلقة من مكوث نورا فى الشارع، وتتصل بى هاتفيا كل يوم لتعرف إن كانت قد عادت أم لا، حتى إنها ذات مرة استقلت تاكسى إلى حيث تجلس نورا فى بلور وباثورت ومعها سلة كبيرة مليئة بالفاكهة، وكانت تنادى عليها بصوت عال وكأنها تتحدث عبر مكبر صوت وكانت تناديها بالغبية والمضللة، وتقول إنها فتاة غبية تمنع أمها من الاستمرار فى عملها، رفضت نورا حتى أن ترفع رأسها، وقالت دانيال باستهجان شديد: ماذا يمكننا أن نفعل؟

على الأقل لا تشير دانيال ويسترمان لحالة نورا ابنتى على أنها "مرحلة نمو"، مثلما يفعل الكثير من معارفى، فهى تؤمن ببساطة أن نورا لجأت للمكان التقليدى الذى تلجأ إليه المرأة التى لا تمتلك القوة، لقد قبلت تلك الحالة من الضعف الكامل والسلبية الكاملة وهو نوع من التقوى التى تتصف بالعجز، وقد ادعت كل الشىء فى القيام باللاشىء.

فقلت: "فلتقولى هذا مرة أخرى"، فقالته.

فضغطت عليها وقلت: "فلتقوليها بالفرنسية"، حتى أتأكد مما قالته.

فقالت مرة واحدة" تركت نورا نفسها بكل بساطة لهذا الملاذ التقليدى للنساء اللائى تفتقدن لأى سلطة. لقد تبنت هذا العجز التام وهذه السلبية المطلقة، وهى لا تفعل أى شىء فقد كانت قد طالبت بكل شىء".

كنت شبه متفقة مع ما قالته، ولكن بدأ اعتقادى ينهار، لم أرد أن أفكر أن نورا مهتمة بالقوة أو عدمها، ليس كما نصف نحن جوهر الأمر عادة، إنها فى حالة من النشوة الجنونية، ففى أى دقيقة فى الأسبوع أو الشهر القادم ستطقطق أصابعها وتعود للحياة مرة أخرى.. قالت دانيال ويسترمان أن نورا ذكية جدا وخيالها واسع، وخاصة من ناحية الانعكاس الذى قامت به بمهارة شديدة، وهو أنها

ادعت وجودها عن طريق الامتناع عن الوجود، ومع ذلك فلا يمكنها أن تفهم لماذا لا أستمر فى ترجمة مذكراتها، أو لماذا أكتب رواية جديدة بدلا من هذا، لقد ظننت أنها لن تعترف بهذا، نوع من الخيال خاص بالقرن الثامن عشر.

لست متأكدة من أنى أفهم لماذا رأسى مليئة بالخيال الكوميدى بشكل كبير وفى هذا الوقت تحديدا، كان السيد سكريبانو فى سكريبانو ولورنس، هو من ألح على للبدء فى كتابة رواية أخرى، وكما هو من الصعب تصديقه، فلم يكن يفكر فى نشر الأرباح كنتيجة لنجاح الرواية، فكلمة أرباح ليست بالكلمة التى تخرج من فمه المسن البدين، فهو جزء شاذ ابتعد عن عالم مفقود يكرم وربما يقدس عملية الكتابة، فهو ناشر على الطراز القديم ورجل على الطراز القديم. وكان يفكر فى أن امرأة لديها ابنة مزعجة، سيكون من الأفضل لها أن تلهى نفسها بمشروع يمكنه أن يشغل ويستهلك جزءا من وجودها، وقد قال لى عندما هاتفنى من نيويورك "عزيزتى سيدة وينترز، شىء خفيف، شىء يأخذك بعيدا عن أحزانك لمدة ساعة يوميا، وربما ساعتين، فالعالم متعطش للتسلية والإمتاع".

أكتب الآن فى فترة بعد الظهر وأنا أحمل براد الشاى والمج إلى غرفتى المريعة، أحاول أن ألتزم بهذا قدر الإمكان، ولدى ناتالى وكريس تدريب لكرة السلة بعد الدوام المدرسى وسيأتى بهما توم إلى المنزل حوالى الساعة السادسة، أما بيت فيأخذ قيلولة فى

المطبخ تحت أشعة الشمس، فهو يحب الاستلقاء على ظهره مثل سجادة صغير كبيرة وكثيرة الشعر، وقدماه الخلفيتان مفلطحتان، والأماميتان مطويتان بعناية بينما ينظر إليك بابتسامة ماكرة وهادئة. أحاول أن أتنفس بهدوء وأنا أصعد السلم، فالهدوء الذى أشعر به فى صدرى ربما يكون متصلا بالنقاط والأفكار العامة التى أحاول أن أجمعها فى عقلى، ثم أفتح جهاز الكمبيوتر الخاص بى وأبدأ العمل. لدى شعور أنه لو أنى جادة بشأن هذا العمل "أن أكون جيدة"، فهذا هو المكان الوحيد فى العالم الذى يمكن أن أبدأ منه، أستكين فوق الكرسى الدوار مثل دجاجة فى عشها.

لا أستمتع بالحزن كما يفعل البعض، فلدى نظرتى، ولا يوجد أى شىء فى المستقبل يحزننى حاليا، ولن أجيب كما فعلت آنا كارينينا عندما سُئلت عما تفكر به، وقالت: "دائما ما أفكر فى سعادتى وتعاستى"، ويؤدى وضوح هذا السطر من التفكير إلى اللاشىء. لا، فالسيدة وينترز من أورانج تاون تفضل أكثر البروتوكولات المحسوبة لتجنب الحزن مع بعض الحيل المتعمدة، فلديها غريزة لتجنب نداء الحزن، وتخجل من الطواف بين الدرجات المختلفة من التعمق فى الأشياء. وجاء فى أحد التعليقات على روايتى My Thyme Is Up منذ سنتين، أن الكاتبة ـ أنا ـ تكون "جيدة" فى بعض اللحظات السعيدة، ولكنها لا تكون جيدة فى النهاية. حسنا، والآن! ماذا عن الصوت المتمزق خلف عينى، صوت تقطع الأقمشة، النهاية إلى النهاية، وماذا عن احتياجى لأن أثنى ركبتى أثناء النوم؟ وأبكى.

إن ترتيب منزلى يشعرنى بالهدوء، والتنظيف والتلميع بعناية، ويساعدنى على هذا أيضا تأمل حياة الآخرين، فهذه الأمور الحياتية تشغل حيزا فى عقلى، مما يخدع الخلايا العصبية بداخلى كى تتجنب الحزن الكامن بداخلى، إن الحياة التى عشتها مليئة بالكثير من الدعاية الجيدة، ويعد الانطواء شيئا مملا بشدة لأنه فارغ من كل شىء، ولكن الأكثر إمتاعا على الأقل بالنسبة لكاتبة قصص خيالية تمر بوقت عصيب، هو الحياة الخيالية القائمة على الآخرين. فاكتشفت أن فجويندولين ريدمان فى بالتيمور شاذة جنسيا، وقد وصلنى هذا عبر ملحوظة من مكان للإقامة السريعة فى إنجلينوك، وقد أجلت ردى على هذه الملحوظة، وهناك إيما آلين التى تقضى أجازتها مع ابنتها وزوجة ابنها فى منتجع سياحى، حيث ستغطى كل من السيدتين الصغيرتين جسدها بالطين وسيستسلمان للتدليك وسيتركان إيما والتى تبلغ من العمر الرابعة والأربعين مثلى كى تشعر بالذنب لأنها وقعت فى فخ الغرور، وهناك السيدة ماجكين والتى تهمس بوحدتها عبر الأرضية، والتى فى كل الأحوال تهز ممسحتها على نفس درابزين الشرفة التى حطمتها هذا الصباح وأنا أقوم بجولاتى اليومية، وهناك الأشعة البنفسجية الشفافة للخريف وهى تخترق غرفتى فى وقت متأخر بعد الظهر بكل دقة وبشكل مريع، وصرير جذوع الأشجار العتيقة وهى تتمايل فى مهب

رياح شهر أكتوبر، وفى الدور الثالث من منزلى احتدت حواسى وتتواصل مع ريتا الأخرى، ريتا الصغير والتى لا تبعد عن هنا كثيرا.

هناك أمى المتوفاة والتى علمتنى الفرنسية وكذلك التوفير، وتأتينى صورتها كل يوم بصورة أو بأخرى، وهى تقول كلمة أو تعطنى تلميحا، أو تذكرنى فى بعض الأحيان بوصفة بسيطة: استعملى الليمون والكريم شانتى أو أى شىء لطيف، وأسمعها تقول: استخدمى الشوكة ولا شىء غيرها وكونى لطيفة وصبورة، وهناك لويس، وهى حماتى التى لا تزال حية وصامتة، وعلى أن أتعامل مع هذا الصمت قريبا، أو سأطلب من توم التعامل معه. وبالطبع هناك هالة وحضور قوى لدانيال ويسترمان بثقافتها الأوروبية، وذقنها الرقيقة والمميزة وملامحها مربعة الشكل وأظافرها الطويلة القرمزية، هل ستوافق دانيال؟ نادرا ما أتزحزح عن موقفى أو وجهة نظرى دون أن يدور هذا السؤال الصارم فى رأسى، ففى الأسبوع الماضى أصبتها بخيبة أمل باستخدام كلمة الخضار (استخدام غير رسمى)، ويمكن القول أنها كانت تنتظر منى أفضل من ذلك.

فكل هذه الأساطير البشرية وتنظيف بيتى وتخيل حياة الآخرين، تبقينى بصحبة شىء ما ومتيقظة دوما.

ولكن إيقاع الكتابة والتفكير هو ما يهدئ من روعى أكثر من أى شىء آخر، وما أعتبره وكأنه ترفيه رياضى، هو تراكم الجمل خلف بعضها البعض، ومن كان يظن أن عادتى القديمة ستصبح

استراتيجية للحفاظ على استمرار مظاهر الحياة، هدية لم أطلبها، وفى الوقت الذى لا أدرى أى قدم أضعها أمام الأخرى، يمكننى أن أسير فى طريقى لأصبح شخصا واعيا. وكتابة الرواية مثلما وصفها السيد سكريبانو: يعتبر تحولا، ومكانا جيدا ورائقا به رطوبة وأشخاص جذابون نراهم عبر ضوء غير واضح ولكنه لطيف، يمكننى أن أغلق عينى وأن أمر من خلال باب صغير فى الحائط وأن أقف خارج غياب أطفالى، ويمكننى أن أسكت الصوت الناقد فى رأسى الذى يحمل الكثير من الأدب الجاد ضد التسلية البحتة، بالقراءة السريعة وكتاب على الشاطئ والضوء، ببساطة، والاختراع البسيط الذى يحتاجه هذا النوع الأدبى تحديدا هو الشفاء، مثل الشفاء بالزيت المقدس "نحن سطحيون للغاية فى أعماقنا" ـ من قال هذه الجملة؟

أضفت صفحات المخطوطة الجديدة بسرعة، على الرغم من أن تماسك السرد غير مكتمل فى الفصول الأولى، وقد أنهيت الأمر بنهاية سعيدة، ولكن الآن على أن أضع بعض العقبات فى طريق هذه السعادة. حدد رومان وأليسيا ميعاد الزفاف وأرسلا الدعوات لعائلاتهم وأصدقائهم، وكانت الدعوات موضوعة فى أظرف جميلة على ورق الأرز، والتى صنعتها أليسيا بنفسها، والتى كانت لديها موهبة الكتابة بخطوط جميلة، ولكن هناك بعض التعقيدات وعلى أن أعمل على بعضها، لا أريد أن أثقل على القراء بالمشاكل

العصيبة، ولكنى أريد طرح بعض التعقيدات التى تسبب القلق لنفسيتها، ولدى أليسيا شك أو اثنان بشأن زواجها من رومان، فقد رأت الطريقة التى يحك نفسه بها والحمى التى تصيبه عندما يكون موجودا فى نفس المكان المتواجدة به صديقتها سوزان. هذا زواجها الثانى وقد حذرها الناس من قبل أن الموسيقيين غير مستقرين، ورومان يلعب الترومبون فى سمفونية ويشوود، وويشوود هى مدينتى الخيالية، وهى ابنة عم تورنتو المهمة والمختالة بنفسها. ولاحظت أليسيا أن رومان غير مهتم بنظافته الشخصية، وعليه أن يذكر نفسه أن رائحة المسك كانت جذابة لها فى أيامهما الأولى سويا. كانت ذقنه البارزة تشير إلى غروره، وعندما يكون فى حضرة رجال أطول منه يصبح خنوعا بشكل غريب ويلمس فمه كثيرا، مثل السيدة ماكجين التى فى مخيلتى، وهذه هى البداية كى أثير أعصاب أليسيا وهى تفكر فى أن تخبره بالأمر، وفى نفس الوقت ستقوم سوزان بعمل شى ما لا يغتفر، ولكن نيتها ستكون سليمة، وربما سيلفيا عازفة المزمار بالسيمفونية، يجب أن أعمل على التفاصيل.

فى كل الاحتمالات، يفكر رومان ثانية فى أمر الزواج أيضا، ولكنى لا أريد الدخول لرأس رومان المزدحمة، فما أتقمصه هو دور أليسيا، فأنا أرى من خلال عينيها الأنثوية وأصل من خلال أصابعها الأنثوية لأضرب شعر رومان الكثيف والذى يسرحه للوراء، هل يجب أن يعلق أحدهم على نوع دهان الشعر الذى يستخدمه؟، وكيف

يمكننى أن أصف شقة أليسيا بالتفصيل؟ يتطلب الخيال بعض الشفقة، سأحاول أن أتجنب الحديث عن الأثاث ذى الخشب الخفيف والشبابيك الطويلة والألواح ذات الألوان الساطعة وبعض قطع الكهرمان البولندى المتناثرة هنا وهناك، وسأحاول التركيز على الضوء الطبيعى والسيارات؟ يجب أن أسوى هذه الأمور، فأليسيا لا تمتلك سيارة وتظن أنها غالية الثمن كى تحتفظ بها فى مدينة مثل ويشوود، ولكن رومان يمتلك سيارة ماركة هوندا سيفيك وهى موديل من أوائل التسعينيات وهو يرعاها بعناية شديدة، ومنذ أسبوع واحد استبدل ممسحة الأرجل المتهالكة بواحدة مطاطية جديدة.

يمكننى تجليل شخصية حساسية أليسيا الأنثوية الشديدة لمدة ساعة أو أكثر، اعتمادا على إذا كان بإمكانى أن أبتعد عن الدخول فى قصة فرعية، وهى الخيالات المتعددة التى تتجمع فى نهاية كل ساعة من الكتابة. خيالى يقول: تنام نورا بالأسفل فى غرفة نومها، وعقلى يقول أنها عادت للمنزل متعبة بعد أن استقلت سيارة للمنزل من تورنتو، وكل إعادة للأحداث تكون مثل التى قبلها، ظهرت فجأة فى حماية جدران بيتنا، وهى محمومة بعض الشىء بسبب الأنفلونزا ولكن الأمر ليس خطيرا، فهى فقط تحتاج للراحة لعدة أيام فى السرير وستصبح بخير، وبعد دقائق سأحضر لها شايا بالليمون، إنها ابنتى، ابنتى المريضة ورغم ذلك لا أريد أن أوقظها، فإيقاظ شخص نائم بالنسبة لى كأنه تصرف عنيف، فهكذا كانوا

يعذبون السجناء السياسيين فى الصين، أم كان فى الأرجنتين؟ عن طريق نظام إنذار تلقائى يرن كل خمس دقائق بعد بدء النوم، وبالتالى تحدث صدمة للأجساد المعذبة أصلا عن طريق الحرمان من النوم والتعذيب بعمل اضطراب مزمن لهم.

لا، سأدعها تنام وسأضغط علي زر المسح، فعلى أن أعود لرومان وأليسيا، أولادى التائهين، وفروعهما المنفصلة من الأنانية.

يتحدث توم كثيرا عن غرابة تطور الحيوانات اللافقارية المنقرضة، فلا أحد يعرف أى شىء عن مخها، أو حتى كيف تتواصل جنسياً، ففسدت كل الأنسجة الناعمة والجميلة التى تعتبر أدلة، تاركة القشرة المكونة من الكلسيوم، ولكن من المعروف أن معظم هذه الكائنات لديها أعين كبيرة ومعقدة على جوانب رأسها. إن بقايا الحفريات واضحة تحت أصغر عدسة، فكل اللافقاريات لديها أعين ما عدا نوع واحد أعمى، وفى هذه الحالة أعتبر العمى على أنه خطوة نحو التطور، حيث إن تلك الكائنات العمياء عاشت فى الطين فى أعماق جسم مملوء بالمياه، يبدو أن الطبيعة تفضل التخلص من الأعضاء غير المستخدمة، فهذه الكائنات لم يكن عليها عبء بيولوجى، فعيناها رادار ممتاز وهى تنير فى الظلام. عندما أفكر فى هذا التكيف غير العادى، أتساءل لماذا لا يمكننى التكيف أنا أيضا، فكل ما أردته أن تكون نورا سعيدة، فكل ما أردته هو كل شىء، وبدلا من ذلك أتيت لأستريح فى أسفل البحيرة، لأعلق هناك فى الوحل وأنا أتلوى وأتطلع لأن تقتلع عيناى.

ذهبت منذ عامين إلى واشنطن فى رحلة ترويجية لكتابى، كنت شخصا بريئا، كنت أما لا تقلق حيال أى شىء؛ قدر قلقها على ما إذا كانت ستتمكن ابنتها من الالتحاق بجامعة ماكجيل، وإذا ما كانت ستجد حبيبا، سألنى مذيع الراديو فى بالتيمور عما هو أسوأ شىء حدث لى على الاطلاق، لابد أنه كان محبطا عندما سألنى، أوقفنى هذا السؤال لوهلة، فلم أتمكن من التفكير فى أسوأ شىء، وقد أخبرته أنه أيا كان هذا الشىء فهو لم يحدث على الإطلاق، وحينها عرفت ما هى طبيعة "أسوأ شىء"، وفكرت أن هذا السؤال سيتدخل فى حياة أطفالى.

هكذا

قالت لين كيلى الثلاثاء الماضى "الخير شىء مجرد"، وقالتها عندما تقابلنا نحن الأربعة لتناول القهوة سويا، وأضافت "إنه بناء تخيلى يمثل الإرادة العامة لمجموعة معينة من الناس"، ودائما ما تتحدث بقوة باستخدام لكنتها الويلزية القوية كى تنطق كل كلمة بوضوح، ثم قالت "الخير رفاهية من أجل الحظ الجيد". دائما ما نجلس على الطاولة التى تقع بجانب الشباك فى غرفة تناول الشاى بأورانج بلوسوم على الشارع الرئيسى، حدث مرة أو مرتين أن جئنا ووجدنا أحدهم على طاولتنا "نحن"، ولهذا السبب قررنا منذ عدة سنوات أن نتجمع فى التاسعة والنصف تحديدا، لأنه فى العاشرة يمتلئ المكان.

قلت لأنيتا وسالى ولين جملة من مذكرات دانيل ويسترمان تقول: "الخير وليس العظمة"

ودائما ما تتراءى هذه الكلمات المشهورة أمامى فى أى مكان أتواجد فيه ولأى سبب، وأشعر أن نفسى علق فى صدرى وكأنى ابتلعت ثعبان بحر بأكمله.

"كيف يمكن لهذه المرأة أن تعيش حياتها وهى تعرف ما تعرفه، وهو أن النساء لديهن استثناء من العظمة، ولماذا يخترن فى معظم الوقت أن يكن استثناء؟"

"يسِرن فى رحلاتهن الصغيرة بدلا من خوض رحلة كاملة".

"نعم، الخروج فى رحلة".

فقالت لين "بعد كل المجهود الذى بذلته دانيل كى تحدث تغييرا، فهى ليست ضمن العظماء بعد".

"ماعدا ما لدى النساء".

"إن التضمين ليس كافيا، فيجب أن تجد النساء من يستمع لهن ويتفهمهن".

فقالت لين: "الرجال غير مهتمين بحياة النساء، وقد سألت هيرب وضغطت عليه فى هذا الأمر، هو يحبنى ولكنه لا يريد أن يعرف ما يدور برأسى وبكيفية تفكيرى وغير ذلك ..".

فقلت "لقد خضت الكثير من الحوارات مع الرجال، والكثيرين غير توم".

"تحدثت مع رجلين، أجريت حوارين مع رجلين لم يهتما بأن يفوزا في الحوار".

فقالت سالى: "لم يحدث وتحدثت مع رجل، وكأنى فقدت السلطة الأخلاقية كى أدخل فى الحوار، فأنا خارج دائرة الخير والشر".

"ماذا تعنين؟"

"أعنى أن أغلبنا لم يتم التحدث معهن حول الاختيارات الأخلاقية، ولا يوجد من يستشيرنا، فهم يظنون أننا غير قادرات".

فقالت أنيتا: "ربما نحن لسنا كذلك، هل تتذكرين المرأة التى ولدت فى الشجرة؟ فى أفريقيا بموزمبيق على ما أتذكر، كان هناك فيضان السنة الماضية، أليس كذلك؟ وكانت هى هناك فى العمل، فكرى فيها، بينما كانت فوق الشجرة وهى تنتظر عند أحد أفرعها".

"ولكن هل هذا يعنى...؟"

فأكملت أنيتا: "كل ما أقوله هو ماذا فعلنا حيال ذلك؟، ياله من أمر مزعج، وهل أرسلنا أموالا لمساعدة ضحايا الفيضان فى موزمبيق؟ هل حولنا صدمتنا إلى عمل الخير، هل قمنا بأى شىء يمثل الخير الكامن فى مشاعرنا؟ أنا شخصيا لم أفعل".

فقلت: "لا لم أفعل شيئا"

وقالت سالى: "ولا أنا، ولكننا لا يمكننا أن نعمم أفعال الخير على كل حالة..."

فقالت لين ببطء: "أتذكر هذا الآن، أتذكر أنى استيقظت فى الصباح وسمعت فى الراديو أن امرأة ولدت داخل شجرة، وأعتقد أن الطفل ظل حيا، أليس كذلك؟"

فقالت أنيتا: ""نعم لقد ظل حيا"

ثم قالت سالى: "هل تذكرون المرأة التى أشعلت فى نفسها النار فى الربيع الماضى؟ كان هذا فى بلدتنا وفى وسط تورنتو".

"فى ميدان ناثان فيليبس؟"

"لا، لا أعتقد أنه كان هناك، كان هذا أمام..."

"كانت امرأة سعودية، ترتدى حجابا أسود كبيرا، تضحية بالنفس".

"هل كانت سعودية؟ هل هذا مؤكد؟"

"هى مسلمة على أى حال، وترتدى رداء تقليديا، ولم يكتشفوا نهائيا من كانت".

فأضافت أنيتا: "كانت ترتدى نقابا، أليس كذلك؟ "الحجاب".

"أو برقع".

فقلت: "شىء مريع"، كنت ألعب بزهور بلاستيكية وسط الطاولة، وكنت أتفحص شعر الكلب الملتصق بكم ردائى الأزرق".

فقالت أنيتا: "لقد ماتت ولا داعى لذكر ذلك".

"قرأت أن أحدهم حاول مساعدتها، وحاول أحدهم أن يطفئ النيران، كانت امرأة".

فقلت: "لم أعرف ذلك".

"ذكرت فى إحدى الصحف".

"وماذا عن الشابة النيجيرية الأخرى التى حملت وتم جلدها فى العلن؟ ماذا فعلنا لها؟"

كنت سأكتب خطابا إلى Star".

"الكثير من الكنديون كتبوا، وتحمسوا لهذا الأمر ولكنها جلدت فى النهاية".

"يا إلهى، يا له من عالم قاس"

ولدت أنيتا ونشأت فى جامايكا وهى شاعرة وخبيرة اقتصادية ومطلقة، وطلقها زوجها بعد أن أصبح عنيفا بعد إفلاسه، وتعيش وحدها فى بيت يشبه الكوخ بأورانج تاون، وتعمل بدوام غير كامل فى dot-com، وهى تقوم بوضع الإحصائيات على شاشتها.

تعيش لين مع زوجها هيرب وهو رجل جيد، ولديها طفلان ويعيشان فى منزل جديد على أطراف المدينة، وهى تمارس القانون، ولكنها ما زالت تأخذ قبالة الساعتين صباح كل ثلاثاء كى تأتى للمقهى.

أما سالى فهى تمكث فى بيتها منذ عام مع ابنها الرضيع، وقد ولدته فى عامها الأربعين. وقد جاء هذا الطفل بمعجزة، بعد إجراء عملية زراعة طفل أنابيب ناجحة، واعتادت أن تأتى ومعها جيلس فى شىء يشبه حقيبة ظهر، ولكنها فطمته ويمكنها أن تتركه مع جليسة أطفال صبيحة الثلاثاء، وقد فكرت فى مقاضاة طبيبها، كما نصحتها لين، لأنه لم يسمح لها بارتداء نظارتها أثناء الولادة وبالتالى لم تتمكن من رؤية معظم ما حدث. قال الطبيب أن ارتداء النظارة لم يكن آمنا، ولكنها أقنعت نفسها أن الموضوع أمر جمالى، وأنها ونظارتها أزعجا رؤيته التصويرية عما يجب أن تكون عليه ولادة طفل.

نتقابل نحن الأربع بهذه الطريقة منذ عشر سنوات حتى الآن، نطلب الكابوتشينو، وثلاث منا يطلبن قهوة منزوعة الكافيين، وكل فترة يمكن أن نطلب معجنات أو كرواسون.

ليس لدينا أسماء، نحن لسنا ناديا وليس لدينا جدول أعمال، ونفضل عدم التفكير فى أنفسنا كأصحاب آراء، وليس لدينا "أحاديث مطولة" حول آرائنا، لأن هذه الآراء تعسفية ومصطنعة فى

عالم غير حقيقى بالمشاركة بنسبة ٥٠٪. نعرف تقريبا كل شىء عن بعضنا البعض ونتحدث فى كل شىء، ولكننا لا نتحدث عن حياتنا الجنسية، وأعتقد أننا نتجنب هذا الأمر بسبب محظورات قديمة سببها الحاجة لحماية الآخرين، ولا نتحدث أيضا عن الأطفال لأن أنيتا ليس لديها أطفال، ولو حدث وأن سافرت أنيتا كما تفعل فى بعض الأحيان، نأتى أنا وسالى ولين بحاجيات أطفالنا من هناك. فى بعض الأحيان نتحدث عن بعض الاكتشافات الخاصة بالجنسين: مثل أن الرجال يحبون الرياح ولكن النساء لسن كذلك، فهن يجدنها مقلقة، وملاحظة أن الرجال لن يجلسوا وسط الكنبة إذا كان بمكانهم هذا، ولكن النساء لا يهتممن، ويظنون فى فرنسا أن المرأة الحائض غير قادرة على عمل مايونيز جيد، ولكن هذا غير صحيح بالتأكيد. ناقشنا أزمة المكتبة العامة حيث إن أنا وأنيتا فى مجلس إدارتها، هل كانت صديقتنا جوين، جويندولين ريدمان الآن، تمارس السحاق دائما، أم أن هذا بسبب منتصف العمر؟ وهل ستتزوج شيريل باتريسون العاملة فى المكتبة من سام سوندى طبيب الأسنان بالمول التجارى؟ تقول أنيتا إن الفن أداة للمغازلة، أو الشعر على الأقل، ونتساءل إذا ما كانت البراءة التى ولدنا بها حقيقية، ونحاول أن نتخيل إذا لم يكن مقدر لها أن تنمحى، ماذا كان سيحدث حينها؟

سألنى توم مرة أو اثنتين عما نتحدث فيه صباح الثلاثاء، فهززت رأسى فقط ولم أرد، فالأمر أكبر من أن يوصف وغير عادى،

فالبعض يسميه ثرثرة، إننا نتكلم عن أجسادنا وعن تفاهتنا ورغباتنا الملحة، وبالطبع ثلاثتهن يعرفن كل شىء عن نورا وكونها تجلس فى الشارع، فهن يرحنني ويهتممن بالأمر، وتؤمن آنيتا أنها مرحلة وستمر أما سالى فتظن أنه انهيار، ولين متأكدة من أنها مشكلة نفسية ولها علاقة بالغدد والهرمون، وجميعهن يخبرننى ألا أعتبر هجر نورا للمنزل علامة على فشلى كأم، ورغم أننى لم أعترف بهذا من قبل، إلا أنه أمر متعمق بداخلى ويبعث على الخوف، وأنا أؤمن به أكثر مما أخافه، وأخبرننى أنه من الطبيعى أن أغضب من نورا لأنها استسلمت، ولكن يبدو أنه لا طاقة لدى كى أغضب.

نحن نعرف كى نبدو: أربع نساء فى منتصف العمر يجلسن على طاولة صغيرة بمقهى صغير فى وسط المدينة، يملن للأمام، جميعنا نفعل ذلك، وهى الطريقة التى تجلس بها المرأة عندما تريد أن تستمع لكل كلمة تُقال؛ عندما ذهبت إلى نيويورك منذ عامين كى أستلم جائزة أوفيندن، أعطونى جميعا هدية عبارة عن سروال داخلى بنفسجى مصنوع من الحرير الصافى، وارتديته فى الحفل تحت بذلتى الصوف، ومن حين لآخر أخطو خطوة هنا أو هناك وأهز يدى قائلة "أشكركم على القدوم" وأقول "أليس هذا رائعا"، وكنت أشعر باحتكاك الحرير بين قدمى، وشعرت أنى محظوظة بأنى أمتلك مثل هؤلاء الأصدقاء المحبين. إن لين من ويلز فى الأصل وهى تسمى السروال الداخلى بالكلسون وأصبحنا نسميه بهذه التسمية أيضا، فنحن نحب طريقة نطق الاسم.

كنت حريصة أن أجعل لأليسيا أصدقاء، إنه أمر فضولى أن أعرف كيف يتم استثناء الأصدقاء من الروايات، ولكن يمكننى أن أعرف كيف يتم الأمر، فليقع اللوم على هيمنجواى وكونراد وإيديث وارتون، لكن التقاليد الحديثة وضعت الفرد والنفس المتضاربة ضد العالم، فالآباء (المحبون والغافلون) يعترفون بالروايات الخيالية، والأشقاء (الضعفاء والحاسدون والذين يدمرون أنفسهم) لديهم دور ما يلعبونه، ولكن عدم وجود الأصدقاء يبدو وكأنه اتفاقية، فلا يبدو أن هناك مكانا للأصدقاء وسط السرد المشوش بالأحداث والأشياء المعقدة بداخل الإنسان، ومع ذلك فأنا أحب أن أضع فى الرواية بعض الأصدقاء على أمل أنهم سيوفرون بعض التحرر من الانعزال الروائى المتعمق، الذى قد يبدو فى غير ذلك الموضع وكأنه فارغ ومثير للشكوك.

أقرب أصدقاء أليسيا هى ليندا ماكبيث وهى مستشارة فنية والتى تعمل فى نفس المجلة التى تعمل بها أليسيا، ولها دور فى روايتى My Thyme Is Up، وبالتالى فهى تظهر فى الرواية المكملة. تجلس المرأتان بجوار بعضهما فى العمل، وتذهبان معا لحضور فصول اليوجا مساء كل خميس ثم تذهبان لتناول الشراب وتتحدثان كثيرا، وقد تسكران فى بعض الأحيان، ولدى ليندا مشكلة الوزن الزائد ولديها مشكلة مع الرجال أيضا، وهى مشكلة أنها تفتقد لوجود رجل، وتطلب من أليسيا أن تجعلها تعزز ثقتها بنفسها، ولكن

ليندا مرحة وموهوبة فيما يختص بعملها، ولديها بصيرة عندما يتعلق الأمر بالآخرين. "وقالت لأليسيا مرة: "أنا لا أعرف الكثير عن رومان، ولكنه شخص رائع ولكن فى بعض الأحيان يضخم الأمور الصغيرة".

فسألتها أليسيا: "أتقصدين أنه فى بعض الأحيان يبدو وكأنه يجلس على عرش؟"

فأجابت ليندا قائلة: "نعم، فدائما ما يبدو وكأنه يبحث عن نطاقه الواسع إذا كنت تفهمين ما أعنى، وهو ينظر للأعلى دائما حتى أن حاجياته تبدو وكأنها تركع أمامه".

فقالت أليسيا: "ممم، نعم".

لدى رومان صديق جيد أيضا، وهو مايكل هاميش وسيصبح أفضل رجل موجود فى عرس رومان وأليسيا والذى سيحدث قريبا، إلا إذا قمت بعمل شىء سريع لمنعه، فكان زميل رومان فى الغرفة فى برينستون، وهو سمسار بالبورصة وأعماله كانت مهددة، ولاعب كرة قدم فى عطلة الأسبوع، ومتزوج من جريتشن الشقراء والرزينة والتى تقوم بعمل الدعاية لشركة ويشوود للرقص. لدى مايكل هاميش فخذان مثل الخنزير وركبتان رجوليتان كبيرتان على شكل مربع، وقد تنحى برومان جانبا وحذره من هذه الزيجة قائلا: "إذا كنت تريد القيام بأى شى فلتقم به الآن، لأنه بمجرد أن تتزوج لن

يكون لديك أمل فى أى شىء حتى لو تزوجت امرأة عظيمة مثل أليسيا، هكذا تسير الأمور مع الأزواج وسترى، وهذا يحدث طوال الوقت وقد حدث مع جريتش ومعى إلى حد معين، ولكن أنت لديك الفرصة لتفكر فى الأمر، لقد أردت لشهور أن تعرف من أين جاءت عائلتك، وقد لاحظت ذلك جيدا، وعرفت أنهم من ألبانيا وهذا كل ما كنت تتحدث عنه، اسمع نصيحتى يا صديقى وافعل هذا الآن، لن تجد فرصة أخرى".

حتى الآن

تم قبول نورا فى جامعة ماكجيل عام ١٩٩٨، وبالطبع قبلوها بسبب درجاتها ولم يكن لدينا أدنى شك فى أنها سَتُقبَل، ولم يكن قلقنا إلا اختبارا ليقيننا، وتلقينا خطاب القبول بالترحيب الحار، ولكن ظهر حينها "حبيبها" وهو شاب فى الثانية والعشرين من العمر واسمه "بين أبوت"، وكان طالبا فى السنة الثانية بكلية الفلسفة فى جامعة تورنتو، ومما لاشك فيه أن هذا الأمر غير كل شيء، فألغت نورا أمر جامعة ماكجيل، والتحقت بتورنتو وانتقلت لتعيش فى شقة بالطابق السفلى فى باثورست مع بين، واختارت فرعا فى اللغات الحديثة لتدرس فيه، إنها فتاة جيدة، ولها قلب مثل قلب أمها.

ولكنى كنت قلقة لأنها لم تكن تعيش معنا بنفس البيت مثل ناتالى وكريستين، ولأننى لم أكن أعرف إذا ما كانت تتناول فطورا صحيا فى الصباح أم لا، ولأنها كانت تمارس الجنس طوال الوقت مع شخص غريب منذ مدة قصيرة، وهو الآن أصبح قريبا وعلى

دراية تامة بكل جزء فى جسدها، ومجرد التفكير فى هذا يشعرنى بالذعر. فى البداية كانا معا لمدة شهر ثم ستة أشهر ثم عام ثم عام ونصف، وبدأت أعتاد الأمر، ولكن ليس بشكل فعلى وليس بالكامل أيضا، وأدركت أننى من الأمهات اللاتى لديهن مشكلة فى التعامل مع أن تصبح طفلتها امرأة.

وتقريبا خلال عامها الثانى فى أول أيام شهر أبريل جاءت المنزل فى عطلة نهاية الأسبوع وكانت تتناول كوبا من القهوة على طاولة المطبخ، بينما كنت أرتدى ردائى الدافئ وأقوم بعمل البيض من أجل الإفطار، الهواء جيد فى هذا المطبخ العتيق وهو مشرق أيضا، وتذكرت كل صباح كانت فيه نورا هنا أيام طفولتها، عندما كانت تجلس بجوار الشباك لتطل على غابة الشتاء بنية اللون والعارية، وهى تأكل الخبز المحمص بالزبدة وتثرثر حول يومها. استيقظت فى هذا اليوم على صوت منبهها الصغير وكان هدية عيد ميلادها العاشر، كانت قد طلبته بشكل خاص، أن يستيقظ أحدهم على منبه طلبه بنفسه فهو علامة على النضج، وكانت مؤمنة بهذا وقلقة بشأن أمر النضج، ربما لأنها أكبر أطفال العائلة وهى الأخت الكبرى لناتالى وكريستين، وكانت قلقة مما تعنيه هذه الكلمة وكيف تصل إليها بسرعة. والأكثر أهمية من أن تصبح جيدة ومرضية ورائعة، هى الرغبة فى أن تصبح ناضجة فى فترة مبكرة من حياتها، وأصبح هذا المنبه البلاستيكى الصغير جزءا منها ومذهبا لها، مثل

الكنيسة تماما، وهى حالة من الديمومة، وقد أخذته معها عندما ذهبت للمخيم وهى طفلة، وكانت تحمله معها ذهابا وإيابا فى حقيبة الظهر للشقة السفلية فى تورنتو حيث كانت تعيش مع حبيبها، هل ضبطت منبهها الليلة الماضية؟

ربما تكون قد عادت للمنزل فى أورانج تاون فقط لعطلة نهاية الأسبوع، وها هى مستيقظة، بينما كان توم والفتيات فى الأعلى وبالكاد متحمسين لها، لم يطلب منها أحد أن تكون بهذا الانفعال، لم يطلب منها أحد أبدا أى طلب مثل هذا غير نفسها.

استمتعت بوجود أحدهم معى فى المطبخ فى الصباح الباكر، أحب شكلها وهو نائم وهى تتثاءب وغير مرتبة، ويتداخل هذا الأمر مع ما أظن أنه عدم اهتمام بنفسها، شقة باثورست غير المرتبة وبين وحب فلوبرت، وكل ما لم أفهمه يوما بشكل كامل لأنه خارج نطاق الزمن الخاص بى، فأنا من جيل الستينيات وهى من جيل التسعينيات. فى اللحظة الحالية هى معى فى المنزل، وهى معى الآن، وكانت ترتدى رداء من عندى ولكنه مهلهل ومفتوح من الأمام، ولونه عنابى ردىء، وجسدها له شكل أنيق، ولكن طرأ تغير ما فى حضورها، وهو أن وجهها كان باهتا بشكل غريب، وعينيها منتفختان ومليئتان بالدموع على ما أعتقد، ما رأيته فى عينيها كان صعبا وثابتا وقويا، ماذا كان هذا؟ ومن قال "نحن حقيقيون فقط فى لحظات إدراكنا"؟ فقد كنت أدرك شيئا ما الآن، فوضعت نظارة

القراءة ونظرت لابنتى مرة أخرى عن قرب، وجعلتها تستدير ناحية الشباك حتى يأتى الضوء على عينيها وبالذات على شفتها العليا، وفى النهاية تراجعت وأغلقت عينيها أمام الضوء وأمامى.

"هل هو بن؟"

"جزئيا".

"إنك لا تحبينه بالشكل الكافى".

"أحبه ولا أحبه، ليس بالشكل الكافى".

"ماذا تعنين أنه ليس بالشكل الكافى؟"

هزت كتفها وشدتنى من خصرى، وشبكت إصبعها فى حزامى وتعلقت به ثم ضغطت على بطنى بجبينها، أنا مستعدة لدفع أى ثمن كى أستعيد هذه اللحظة مرة أخرى.

فقلت: "حاولى أن تشرحى"

"لا يمكننى أن أحب أى شخص بشكل كاف"

"لماذا؟"

فقالت وهى تتنهد: "أحب العالم أكثر"

"ماذا تعنين بالعالم؟"

"أعنيه بأكمله، الوجود كله"

فقلت شيئا قد يبدو غبيا: "هل تعنين الجبال والمحيطات والأشجار وما شابه؟"

"كل هذه الأشياء، ولكن الأشياء الأخرى أيضا".

استرخيت فى الكرسى وكنت أقوم بعملية تدليك للمكان اللطيف بين كتفيها، أصبعى يناسبها تماما ويقوم بحركته الدائرية الصغيرة، ولم يكن لدى طريقة لمعرفة أن هذه ستكون آخر زيارة لها للمنزل، وأنها ستختفى. "هيا"

فقالت: "هناك أدب ولغة، حسنا أنت تعرفين هذا، وهناك أفرع للغات ولغات ميتة ولغات ميتة ومنسية وهناك ماتيس وهاملت، فالأمر كبير وأنا أحبه كله".

"ولكن ماذا...؟"

"وهناك قارات بأكملها والهند، وخاصة أماكن لم أزرها من قبل مثل الهند، فكل درب صغير يخرج من طريق ترابى مختف متفرع أيضا من طريق رئيسى، والشجيرات وممرات المشاة وميادين المدينة الصغيرة، ويجب أن يكون هناك الملايين من ميادين المدينة، ولن أراهم كلهم بالطبع، فما الهدف من كل هذا إذا؟"

"يمكنك أن تقضى سنة كاملة فى السفر، أنت تعرفين نورا" يمكننى أن أستمع لصوت ناتالى وكريستين يتحركان أعلى الدرج ويصرخان من غرفة النوم للغرفة الأخرى، ويضبطان الراديو على المحطة المحلية التى تذيع موسيقى الروك.

فقالت نورا: "وماذا عن المد، فكروا فيه، فهم لا ينسون أن يأتوا ويذهبوا، والأرض تتمايل فى الفضاء، ونادرا ما يفهمهم أحد".

"هل غادر بن المنزل؟"

"لا".

"ماذا إذا".

"لا أعرف".

"أين تعيشين؟"

"مازلت هناك، للوقت الراهن على الأقل، ولكنى أفكر فى أن أستقل بنفسى".

"وماذا عن فصولك ودوراتك التدريبية فى الربيع؟"

"ماذا عنها؟"

"لقد تركتِ الجامعة" لم يكن بإمكانى تصديق أن هذا التفكير هو ما جاء فى عقلى فجأة، وكان على أن أكرر الجملة مرة أخرى، "لقد تركتِ الجامعة".

"أفكر فى الأمر، أفكر ألا أحضر امتحاناتى".

"لماذا؟"

"نوع من عدم معرفة هدفى بالتحديد".

"وماذا عن منحتك؟"

"لا أحتاج لأية أموال، وهذا هو الغريب فى الأمر، فيمكننى أن أتنازل عن المنحة ..."

"هل يعرف بن بما تفكرين فيه؟"

"بشأن ترك المنزل أم الامتحانات؟"

كلاهما".

"لا".

"ولا تنوين إخباره".

"لا".

"هل ستتحدثين مع والدك؟"

"يا إلهى، لا لن أفعل".

"من فضلك يا نورا، لقد مر بمراحل صعبة فى حياته عندما كان شابا، أرجوك، تحدثى إليه".

"لا يمكننى".

"أرجوكِ يا نورا".

"حسنا".

عندما يصيب أحدنا جرح ما، فإنه يأتى من اتجاهات كثيرة ومتشعبة، وهى اتجاهات لم أحاول حتى أن أسلكها، مثل أن تأتيك أخبار من إندونيسيا أو القدس، وأخبار عن استعدادات بوش لخوض الانتخابات والتقدم المفاجئ فى أبحاث السرطان، لكن كل هذه الأخبار ليس لها أدنى علاقة بابنتى الأولى الجميلة ذات الشعر المضىء والرائع، التى كانت فتاة جيدة للغاية وذكية، والتى كانت تتحدث بصوت موسيقى هادئ غير معتاد فى مثل سنها، والتى كانت مطيعة للغاية وتقرأ لفروبيلت ولم تكن تستثير غضب أى شخص قد يسبب لها ضررا.

شعرت أن جدران المطبخ تقفز للخارج وكل شىء به انحناءات مثلما يحدث فى أفلام الكارتون، ثم ينكمش كل شىء للداخل وكأنها تضغط علينا، فقلت لها "أنت تدركين أن هذا أمر خطير، فأنت فى حالة نفسية خطيرة وتحتاجين إلى المساعدة، ومن الطبيعى أن تكونى محبطة، ربما يكون لديك نقص فى المعادن أو الفيتامينات، ربما يكون شيئا بسيطا".

"إن الأمر ليس خطيرا، وأنا أدرك ذلك جيدا، ولكنها الكثير من الأمور الصغيرة مجتمعة معا، وأنا أحاول أن أتجاوزها، ولكنى غير قادرة على ذلك".

فحاولت أن أتحدث قائلة: "نورا، يبدو العالم فى الكثير من الأحيان وكأنه يمنع شيئا ما عنا، وجميعنا نشعر بهذا فى بعض أوقات ما، وخاصة فى سنك، وعليك أن تواجهى الأمر...".

"وهذا هو ما أحاول القيام به بالضبط، هو أن أواجه الأمر، ولكنه كبير للغاية".

"هل حدث شيء ولم تخبرينا عنه؟"

"لا، لكن كل شيء ليس على ما يرام".

وبعدها سمعت نفسى وأنا أصرخ فيها وشعرت أنى قمت بعمل فجوة قاسية فى منتصف الكون، كانت فجوة عنيفة وخارج السيطرة، وقلت: "يجب أن تتحدثى مع والدك اليوم، اليوم".

"لقد قلت حسنا سأفعل".

"ولكن عليك التحدث مع شخص آخر أيضا، شخص يمكنه تقديم المشورة، وعليك فعل هذا اليوم".

هل قلت هذا بالفعل: "شخص يمكنه تقديم المشورة"؟، لا عجب أنها بحلقت فى وجهى.

فقالت: "اليوم هو الأحد".

"حسنا اذهبى للمستشفى، فخدمة الطوارئ تعمل اليوم".

"ولكن الأمر ليس طارئا".

"نورا، أنتِ بحاجة للمساعدة".

"أحاول أن أجد ما يناسبنى".

نظرت إلىّ بإحباط شديد، وكنت أفكر بسرعة، ربما هى تتناول المخدرات، أو خليطا بشعا من المخدرات، أو تمارس طقوسا دينية معينة، فحاولت أن أتخيل صورة لجماعة دينية رأيت أعضاءها يمشون حول الجامعة، وهم يرتدون أثوابا رمادية اللون وصنادل، أو المسيحيين الجدد الذى لا يسمحون للمرأة أن تضع المكياج ويقصون شعرها إذا تحدثت، فنظرت إلى فم نورا ووجدت أنها لا تضع أحمر الشفاه، وإنه وقت تناول الإفطار ولن تضع إحداهن مكياجا فى هذا الوقت، ولكن لازلت أحتاج لتفسير منطقى إذا كان بإمكانى أن أفكر فى الأمر بمفردى، هناك شىء تستعيده نورا فى وعيها، مما يضع فى وعيها حقيقة ساذجة عن حياتها يمكن تطويرها إلى حالة من الكمال، بالرغم من أننا نعرف أن هذا لا يمكن أن يحدث، أو ربما كان عدم اضطرابًا مؤقتًا فى الأذن الداخلية، وقد قرأت عن هذا مؤخرا، ربما يكون لديها اللحمة الغددية وهو مصدر الخوف القديم وهذا المرض عدو للطلاب بشكل خاص، وكان الناس يظنون أنه ينتشر عن طريق التقبيل، أو ربما بسبب ورم كبير فى المخ، ولكن يمكن إزالته بعملية جراحية، وقد يسبب هذا خللا فى العمود الفقرى، مما قد يتطلب تدخلا بسيطا من أحد خبراء بوستون، ويمكننا السفر إلى هناك فى أقل من ساعتين، أريد أن أتنفس.

كانت هذه أفكارًا حساسة، وأمثلة على التفكير الجانبى الذى تعلمته من توم، ورغم ذلك كانت دقات قلبى تخترق توقعاتى الهادئة،

أعرف ذلك، وكنت أعلم يقينا أن هذا بداية الحزن، وفى الحقيقة، لم تمض ساعة حتى رحلت نورا عن المنزل، خرجت خلسة من الباب الأمامى بحقيبة الظهر البرتقالية وذهبت إلى تورنتو غالبا، لم أصدق أنها رحلت دون أن تودعنا، نظرت فى أرجاء المنزل بحثا عنها وعن أشيائها، فلم أجدها ولم أجد شيئا يتعلق بها، وبعدها عرفت كيف كانت خارج السيطرة وكيف أصبحت خطيرة على نفسها، لقد ضاعت.

ضاعت! انفتح جزء من وعيى، مثل انفصال سحابة فوق بعض المشاهد بشكل مفاجئ، وتشرق الشمس على الشوارع التى لن تسير فيها نورا أبدا فى صمت، فى الأول من مايو منذ عشرة أيام، منذ عشر سنوات من الآن أو عشرين، لقد واجهت نورا قدرا كبيرا مما قدمه العالم لها، أخذت جرعة زائدة لن تتمكن من النجاة منها.

ربما ليس قدرا كبيرا، ولكن على العكس كما فهمت دانيال ويسترمان، وربما تكون نورا قد خدعها فهمها للحياة وظنت أن الحياة مليئة بالكثير كى نعيشها وجميلة كى نتحملها، ولكن الحقيقة مختلفة تماما عن ذلك، وأحاول أن أعرف ماذا يمكن أن تكون الحقيقة، وفى بعض الأوقات أكون قريبة من معرفتها.

وفى أحيان أخرى أشعر أنى مجرد أم قلقة تتعارك مع ابنتها، ابنة محبطة للغاية، وفاض بها الكيل بعد نهاية شتاء طويل، وغالبا قلقة بشأن علاقة الحب الأولى التى مرت بها وانتهت، أنا متأثرة

بشكل كبير لا شىء أكثر من ذلك، وأصب جام غضبى وقلقى على نورا فما الأدلة التى أملكها كى أفعل هذا؟ لا شىء، ستكون بخير خلال عدة أيام، وستعود للمنزل مرة أخرى وهى تشعر بأنها حمقاء وستعتذر.

أذهب جيئة وذهابا بين الرضا والقلق ولا يوجد من يمر بهذه الفترة فى حياته فى هدوء، فهذا درب من الخيال، وعلى العكس تماما أتذكر نظرة عينيها، وهى تجلس على كرسى المطبخ، وبالتالى تصبح أفكارى أكثر تهورا، وفى بعض الأحيان يحدث ألا يكون لدى تجاه نورا إلا القليل جدا، فغيابها ترك فجوة بينى وبينها، وقد اقتربت من نهايتى، فهناك شىء كبير مثل الوجبة السخية مع الموسيقى والثراء وأناقة اللغة ولكنها غير مدعوة، فهى تراها للمرة الأولى، ولكنها الآن لن تتمكن من رؤيتها أبدا، وقد حدث تدهور فى نسيج العالم، العالم الذى لا ينتمى لها كما قيل لها، مرارا وتكرارا، فقد أصبح دخولها محظورا، ومن الآن فصاعدا فالحياة لن تبدو كما كانت.

لست مستعدة لتصديق ذلك الآن.

بقدر ما

٨ أكتوبر ٢٠٠٠

ساداتى؛

كنت أشعر بالإحباط الشديد بالأمس بسبب بعض الأمور الشخصية، وحدث أن جلست على كرسى كبير بذراعين وأتصفح سريعا آخر عدد من مجلتكم، والذى اشتراه لى زوجى بعد تفكير من محل ماجس وفاجس (نحن لا نشترك لأننا نشعر أن منزلنا ملئ بالورق، ونحاول أن نكون مواطنين جيدين وأن نعيش فى سلام).

لم أتمكن من عدم ملاحظة أنكم قد بعتم واحدة من أغلى إعلاناتكم، لمؤسسة مزيفة أو شىء من هذا القبيل على ما أعتقد، إن كثافة الطباعة والخط البنى هى محاولة لتجنب الإعلان ذات الألوان الأربعة الفاقعة، ولكن دون جدوى، إن هذه الصفحة مزدحمة فى الواقع، والمنتج فى كل الأحوال هو عقول عظيمة فى العالم

الغربى المفكر: جاليليو وكانت وهيجل وباكون ونيوتن وبلاتو ولوك وديكارت، وهناك أشكال نقوش رؤوس هؤلاء السادة تطل بحجم صغير من شريط ضيق فى أعلى الصفحة، وما تم اقتراحه هو استمرار التعلم وهو حزام متحرك لا يتوقف من التفكير النبيل، وهناك مقتطفات مسجلة كلما نظرت فى أسفل الصفحة، وفى شريط أربع وثمانين ساعة من المحاضرات المسجلة على شرائط، والتى قد يستمع إليها الشخص بينما "هو" (يفترض أنه ضمير) يمشى أو يهرول، أو وهو مسافر أو يقوم بواجب منزلى (هى النقطة التى أريد التشديد عليها).

هذا عدد كبير من أنصاف الساعات للتوقف عن التعليم، وستوافقنى الرأى، ولكن على الأقل سيتم الحفاظ على مشترك، وطبقا لنسخة الإعلان "أعوام من القراءة المكثفة والمذاكرة" والأسوأ أيضا "الانسحاب الكامل من الحياة النشطة"، يمكنك أن توقظ عقلك "دون أن تحتاج إلى أن تستقيل من عملك أو أن تصبح ناسكا". ناسكا! سيتم توجيه الدارس فى دراسته بالكلية، وسأذكر أسماء؛ دارين (سأتجاوز الاسم الأخير) وآلان ودينيس وفيليب وجيرمى وروبرت وروبرت آخر وكاثلين (كاثلين؟) ولويس ومارك ودوجلاس، وسؤالى الآن هو: كيف تمكنت كاثلين من أن تخوض هذا السباق؟

قد أعترِف أيضا أنى مضطربة هذه الأيام (والليالى أيضا) بهذه الأسئلة، لدى ابنة فى التاسعة عشرة من عمرها تمر بمرحلة يمكن أن تكون نوعا من الغرق فى الاكتئاب، ولا يمكن أن أقول أن حالتها تم تشخيصها، وتشك إحدى صديقاتى أن هذه الحالة أتت بسبب عروض مثل عقول عظيمة فى العالم الغربى المفكر، وليس بالتحديد إعلان شهر أكتوبر، ولكنه تراكم طويل من الطباعة بنية اللون والمظللة التى يعاد إنتاجها عاما بعد عام، وكل هذا يضغط بمكر ويعبر عن افتقاد قوى للإحساس بالفضول لمعرفة عقول أعظم النساء وفى الواقع هذا عدم وعى كامل.

ستردين على تعليقاتى بقائمة طويلة من حقوق اكتسبتها النساء، وستصرين أن أرض الكفاح لها قوانين واحدة، ولكن يجب ألا ترينه هكذا، ولا يمكن أن أكون فقط من يرى هذا.

أدرك تماما أنه لا يمكننى التأثير على سياستك الإعلانية، ولكن أملى هو ألا تقع بين يدى ابنتى نورا نسخة من هذه المجلة، اقرأ هذه الصفحة وحاول أن تفهم كما فعلت فى المرة الأولى، وسترى كيف أنها لا تنتمى لعالمنا إطلاقا وبشكل كامل، لدى ابنتان غير نورا، وتدعيان كريستين وناتالى وأنا قلقة بشأنهما طوال الوقت.

ريتا وينترز

الناسكة

أورانج تاون، كندا

من ذلك

هناك مشكلة يجب أن يواجهها كل كتاب الخيال، إذا أرادوا أن يخلقوا شخصيات فريدة وجوهرية، عن هذه الشخصيات التى تحتاج لسياق ما، خاصة الشخصيات المهمة لتطور السرد فى الرواية، لا يمكن لتلك الشخصيات أن تظهر فجأة على الورق كأنها تحولت أو خرجت من الطين الدافئ. وقد وضع داروين حدا لهذا الأمر وكذلك فرويد. إن التوالد العذرى لا يصلح للبشر، على الأقل حتى وقتنا هذا وقد لا يصلح على الإطلاق، إلا إذا أصبح البشر كائنات غير تلك التى نعرفها، فالشخصيات فى الكتب تحتاج إلى أن يتم دعمها بنوع من الطفولة، مع وجود آباء على أقل تقدير، وأجداد فى بعض الأحيان، إن هذه الأحداث السابقة المتعلقة بعلم الأنساب ربما تكون ميتة أو مفقودة، وفى هذه الحالة لن يكون ضروريا أن يتم تقديمها فى السرد الجارى، ولكن يكفى التلميح إليها بكل بساطة. فمثلا الجد بارنى مع ميداليات الحرب الخاصة به، والجدة

فوستر وتركيزها على الوظائف الجسدية، والتمتمة القديمة المتوارثة تضغط مباشرة أو بمهارة على الشخصية المعاصرة وكيف تستجيب أو يستجيب لتقلبات الحياة. يمكن أن يتم تظليل هذه الفروق ببعض الجرافيت، سواء WASP أو اليهودى أو المال القديم أو الجديد، وعلى الروائى أن يدرك أن الجينات جزء من الحبكة الروائية، وأنه حتى أليسيا الرومانسية هى مجموعة من الكروموزومات المصنوعة بدقة بالغة. إن الآباء يؤثرون على الأطفال سواء بتقوية أو إضعاف عزيمتهم، ولا يوجد روائى له مصداقية سيقول عكس هذا الافتراض، حتى فى معظم الخيالات الدرامية، هناك عناصر محددة لا يمكن استخراجها من المواد والجغرافيا والأسرة والدم. فكل شخص هو ابن شخص آخر، والرواية هى أكثر المصطلحات فظاظة وهى قصة عن مصير الأطفال، هناك دائما الكثير من DNA يضغط بادعاءاته، والسؤال الآن هو: كم يلزم الكاتب أن يعود للوراء من أجل أن يحقق الاستقرار لشخصية وأن يحقق صلابة وقوة هذه الشخصية؟

من وجهة نظرى، ليس مهما أن تقدم تخطيطا كاملا بالأنساب، ولن تجد لدى القراء الصبر لقراءة هذا الكم الهائل من المعلومات إلا نادرا، وليس هناك إلا بعض الأسر التى تحتاج لأن تتبع نسبها، وهذا يعطى إحساسا أن التخطيط ليس اختراعا ذاتيا أو تعسفيا، وعادة ما تعود جين أوستون إلى الجيل السابق على الأقل، وفى

بعض الأحيان تعود لجيلين، رغم أنها كانت فى عصر ما قبل داروين، فهى تعرف أهمية هذه المعلومات الأساسية.

أعمل على إكمال روايتى My Thyme Is Up (والتى أسميها Thyme in Bloom بتحفظ على Autumn Thyme فى الحدث الذى قررت الذهاب إليه لحضور الثلاثية)، وها أنا أكافح مع كم العادات الموروثة التى أحتاجها كى أحمى أليسيا وروما فى نفس الوقت، وقد اتجهت فى الكتابة إلى البساطة والاتزان، وكل منهما هو الابن الوحيد لوالدين متحابين. أسرة أليسيا غنية بعض الشئ، وروما من الجيل الثانى للطبقة العاملة الألبانية ولكنها فى تصاعد (فكل الرجال لديهم رأس بشعر مموج والنساء ذوات صوت حاد ومثير). فى بداية روايتى كنت سأجعل الآباء ميتين، ولكننى أريدهم الآن أن يكون لهم دور فى تحضيرات الزفاف، وأن يكون لهم دور فى مشهد المطعم الذى لا فائدة منه، عندما يتجمعون معا للمرة الأولى. والد أليسيا (هل أجعله محاميا؟ لا لقد كتبت بالفعل أنه مهندس ميكانيكى فى الرواية السابقة، هذا سيىء للغاية) لا يصدق أن هناك رجلا أعزب على وجه الأرض يستحق ابنته العزيزة، وبمجرد أن يسمع أن هناك من يريد خطبتها يغضب بشدة، ويتجهم وجهه ويتمتم بالرفض. وفى نفس الوقت، نجد أن والدة روما (مفكرة من طراز فريد وهى تعمل لدى مركز أبحاث فى ويشوود) فهى تعلن وتعترف أنه لا توجد امرأة على وجه الأرض قادرة على تقدير ابنها

العزيز، وقد تبسمت ولكن بحذر، وضغطت على شفتيها بقوة، وفرحها الشديد ينفى أى مشاعر حقيقية لديها، وهى تؤمن بداخلها أن السعى خلف السعادة تصرف أنانى، وهو أمر لا يأخذه على محمل الجد إلا الأطفال، وفى رأيها أن الأطفال كائنات غير مروضة، ينتظرون أن يتم تشكيلهم من قبل أشخاص متحضرين.

لم أعرف توم كطفل، ودائما ما أعتبر هذا خسارة لا تعوض، وعندما أصبح بالغا أصبح صبورا وقلقا، وعادة ما يكون حزينا وساعيا خلف المتعة، وعادة ما يكون غاضبا وعصبيا وغير منظم. وعندما كان طالبا فى كلية الطب فى السبعينيات، كان يغضب بسرعة وتم القبض عليه مرتين بسبب مظاهرات سياسية، وسُجن مع زملائه لأنه ضمد تماثيل أبطال كنديين لهم قدرهم حول كوينز بارك، ووضع جبيرة على لوحة رئيس الوزراء الأسبق والملونة بلون الدم، وقد وضعها على الصدور البرونزية ذات العضلات، ولكن الذى كان يحبه حقا هذا الفتى النحيف الذى يجرى بعد العشاء وهو يحمل كرته بين يديه، هو صوت الباب القوى عندما يغلقه خلفه، والحشيش الأخضر الذى ينمو ذو الظلال الطويلة والذى تنمو فيه أوراق صفراء مبلولة فى الخريف ومنقطة! فهذا المشهد الخيالى يبدى أمنا، والرائحة النابعة من حرق الخشب وضوء الشمس، وأعتقد أن هذه اللحظات المزدحمة والمحددة سُرِقَت منى، وأنها خُطِفَت من قبل الخط الأصلى للوقت.

لكن ليس توم وحده كذلك، فبنتاى الاثنتان تفتقدان نفس نوع المحتوى المحدد، وقالت دانيال ويسترمان ذات مرة "المشكلة مع الأطفال هى أنهم غير مهتمين بالطفولة ("Autoreflections" حوار خاص عام ١٩٧٧)"، وعندما يثيرون فضولك بالدرجة الكافية، يكون الوقت قد مر (إنها ترفض طفولتها بالكامل فى لاروش فينوس حيث يوجد أبوها وأمها، فكلاهما تجاهل طفلته وهى تعترف بذلك، ولكنى أشك أن الأمر يتعدى ذلك، فهناك شىء أكثر قسوة جرحها بقوة وأثر فيها).

إن اكثر ما أتذكره فى سنواتى الأولى هو تجاهلى الزائد عن الحد، وكنت أرى العالم بشكل جزئى، فما أعرفه هو صف من المنازل فى منطقة كينجسواى بتورنتو، وكان على أن أتظاهر بمعرفة البقية، ومثلى مثل جميع الأطفال كنت مجبرة على أن أتنقل من معرفة خاطئة لأخرى، وفى كل مرة كنت أوشك على اقتراف فعل مشين، إن الأمر ليس عما نعرفه، بل ما لا نعرفه ونقع فيه، فالخجل واحمرار الوجه والتسرع والتردد، هى تعبيرات سطحية تعبر عن ألم عميق بالداخل، فإحساس الخجل بسبب التجاهل قاتل "لقد مت تقريبا" هكذا يقول البالغون عن عدم فهمه، وهم يعنون أن التعبير عن التجاهل يجعل الشخص يشعر وكأن قلبه توقف.

على الأقل هذا هو ما شعرت به ريتا وهى طفلة، وهى تبحث فى عقل الأطفال الأصغر سنا، وترى لا شىء غير دوامة من الصور قبل

الكلمات وقبل النحو والقواعد اللغوية، وكأنه نوع من الرسم، أو ألوان رطبة وحية ممسوحة تشير فى أغلبها إلى الغضب. أدركت من البداية أننى منفصلة تماما عما أفترض أن كل من فى العالم يعرفه، كنت مجبرة على تنظيم العالم ولكن فى صمت ودون أن يعلم أحد، لماذا تبدو السماء زرقاء اللون عندما تنظر للأعلى، وليس عندما تنظر لها من الجانب، ماذا لو سقط القمر فى حديقتنا أو صعد للسطح؟ إن هذه الأسئلة مثل المعجزات لأنها تعتبر ظاهرة، وكأنها تجمعت حولى وصنعت الأكسجين الذى أتنفسه، وما همسوا به إلىّ كان: من المحتمل جدا أن يقتلك تجاهلك، ويمكن لهذا أن يحدث فى أى لحظة.

دخل البعض إلى حديقتنا عندما كنت طفلة، وحملوا كل الزهور من شجيرات أمى الثلاث المزهرات، وكان رد فعل أمى على هذا الاعتداء هو التعليق بفكاهة، وكأنها لم تكن تعرف الخطر الحقيقى الذى يحيط بنا. أعرف أنه تم اختيار عائلتنا، وأن الزهور الضائعة تدل على شر عظيم، وأنها جزء من تصميم أكبر قد يؤدى فى النهاية للموت، ولكنى كنت غير قادرة على أن أحول مخاوفى إلى كلمات، حيث إننى عرفت على مستوى آخر أننى كنت سخيفة للغاية.

يجب أن نعيش لحظات الفجوة فى الحديث وعدم اكتمالها فى صمت، ويبدو أن هذا هو القانون الطبيعى، فالطفل يعلق فى خزانة

مغلقة للمجهول داخل حدود الأجسام فى هذا المكان المظلم، وإذا أطلقت على الحيرة اسما فكأنك تضخم منها، وفى نفس الوقت أدركت افتراء ما، وهو أن الأغلبية تظن أن ملاحظات الأطفال الطبيعية غريبة الأطوار ومثيرة للإعجاب، وأن أقوالهم واستفساراتهم خفيفة الظل تدعو للابتسام، ولكن لا يوجد ضمان لوجود الإجابة، لماذا يخاطر الأطفال بفضح الأسرار بشكل عام؟ ربما يكون بسبب اليأس أو الخوف، ولا عجب أنهم لا يلقون بأنفسهم من النافذة فى لحظات الارتباك.

دائما ما تغيظنا ابنتنا المشرقة نورا بملاحظاتها الفضولية، فهناك أصوات كثيرة فى رأسها كما تقول وطوال الوقت، ولكننا فهمنا ذات مرة أن هذا لا يعنى أى شىء، غير أنها أصبحت واعية بالحوار الطويل الذى يستمر مدى الحياة فى رأس الشخص منا، وهو أطول حوار قد يخوضه أى منا. أهلا بك .. إنه أنا مرة أخرى، إنه أكثر حوار ممتع يمكن أن نعرفه فى حياتنا، وأكثر الحوارات التى تعيد نفسها مرة تلو الأخرى بجنون. أرجوك لا تأتينى بهذه المرأة مرة أخرى ألن تصمت أبدا؟ (لهذا السبب أقرأ الروايات كى أتمكن من الهرب من حوارى الفردى الذى لا ينتهى)

أشك أن ريتا سامرز الصغيرة كانت أبطأ فى تقبل حقيقة الأمور الدنيوية والظاهرة، أو أنها كانت خائفة من أن يسخر الآخرون منها، حاولت أن أحل الأمور بالنسبة لى، فعلى سبيل المثال، كانت هناك

معركة وكان الجميع يتحدث عنها، وكيف أنها كانت بشعة مع كل هذا العدد من القتلى، حتى الأطفال الذين تم حرقهم ببشاعة، ولكن ما هى الحرب بالتحديد؟ وماذا كان النابالم؟ وكم تبعد فيتنام؟ لم يخبرنى أحد، ولكننى اكتشفت أنها ربما تكون فى الممر خلف الدكان فى شارع بلور، لأننى ذات مرة سمعت ضجيجا يأتى من خلف هذا المتجر، وبكيت عندما أخذونى إلى هذا المكان بالرغم من أن والدى ووالدتى كانا يمسكان بيدى، لم يسألانى عن سبب بكائى، أعتقد أنهما ظنا أن بكائى لأننى خائفة من السيد هوبكينز الذى كان لديه شارب وقطع فى اللحم وشفرة سوداء بطول ذراعه.

فهمت أن الشخص قد يكون له اسمان أو ثلاثة، اسمى الحقيقى هو ريتا روث سامر، وقبل ذهابى للمدرسة تعلمت أن أقول عنوانى: ٥٥٥ ستاراث أفينو، وكذلك هاتفى وكان الجميع يظن أن هذا شيئا رائعا لطفلة فى عمرى، وكان يسمح لى كل فترة أن امسك سماعة الهاتف كى أتحدث لجدتى أو عمتى جودى، وأخبرتنى أمى بحرص أن "العمة جودى ليست عمة حقيقية"، هكذا أخبرتنى أمى بحرص، كنت أعرف معنى كلمة "حقيقية"، يمكنك أن تلمس الشىء الحقيقى وتراه، لم يكن الأمر مثل القصص التى اخترعتها.

إن الملائكة تحرك أثاثها، هكذا قالوا لى عندما دوى صوت البرق فى ليلة صيفية، وهمست أمى فى أذنى بجدية قائلة بالفرنسية "الرعد"، وكانت عيناها كبيرتين، مما جعلنى أفهم أن هذا الأمر

جليل ولا يوجد ما يخيفنى منه، ولكن الجزء الخاص بالملائكة لم يكن مقنعا للغاية، ورغم أنهم يعرفون أنه هراء، إلا أن الطريقة التى قالوا بها هذه الكلمات، كانت تدل على أنهم يحبون ما يجعلهم يشعرون بنزوة، ولابد أنى أحببته أيضا، وعندما أفكر بهذه الطريقة، أستطيع أن أتقبل الأمر بسهولة.

دائما ما تتحدث إلىّ أمى بالفرنسية وأبى بالإنجليزية، وكان مسموحا لى أن أجيب باللغتين، وهذا جزء من اتفاق أبرمه الاثنان قبل مولدى، وهو أن أى مولود لهما سيكبر وهو يعرف اللغتين، وأنهما سيتحملان مسئولية هذه الخطة. أمى أصلا من مونتريال وتتكلم الفرنسية بموسيقية فى النطق، وأبى إنجليزى من أيدينبرج، إلا أن سنواته فى كندا أخذت من إنجليزيته بعض الشىء.

الغريب هو أن الارتباك فى سنواتى المبكرة لم يكن مسببا، ولكن خفف من حدته الانغماس فى اللغتين، فالازدواجية تجعل العالم أوضح، فهناك كلمات مثل الكرسى والستارة والكلب، فكل شىء وكل فعل له صدى وشرح. المعنى له قدمان وله جذران يمكن الاعتماد عليهما، أنا أسبح فى الإنجليزية، وكأننى أسبح على ظهرى بارتياح، ولكن فى الفرنسية أشرع وكأنى أقف على الوركين، وكان الكتاب المقدس لعائلتنا هو القاموس الفرنسى الإنجليزى ذو الغلاف الأزرق، حيث إننا عائلة لا تنتمى لأى جهة دينية رسمية.

ومع ذلك، فقد علمونى أن أتلو الأدعية وقت النوم "يا يسوع، بارك أمى وأبى وجدتى وجدى والعمة جودى واجعلنى فتاة طيبة"، ما أعرفه عن المسيح هو ما التقطه من الهواء، فالمسيح كان غير مرئى ولكن يمكنه أن يسمع كل شىء أفكر فيه أو أقوله، يمكنه حتى أن يرانى وأنا فى الحمام وهو شىء مهين. كان مثل الإله ولكنه ليس بقدم الإله، ولم يتوقف عن حبى عندما كنت فتاة سيئة، ولم أصدق ذلك أبدا للحظة، كان يرتدى ثوبا بنى اللون، وكان يحب أن يكون لديه أطفال ليلعب معهم ويتسلقون على حجره، لم يكن ليكون مختفيا حينها، دقوا المسامير من خلال يديه وقدميه، ولم أتحمل التفكير فى هذا الأمر، تمزيق الجسد.

تعلمت أن أتلو الصلوات بدقة "الطريقة التى تنطق"، وأخبرنى أبى رجل الدين السابق أن صوته ملئ بالمعادن الدافئة، وكانت هذه مجرد خدعة وقد تعلمتها، وبهذه الطريقة جعلتهم يحبوننى أكثر، وكانوا يقولون "أليست ماهرة فى القيام بهذا"، وفى كل مرة يقولون هذا أشعر وكأنهم يهدوننى وردة، وقالت لى أمى إنى جيدة؛ وهى التى لم تدخل كنيسة كاثوليكية منذ زواجها، أتذكر كيف كانت تحرك رأسها فى إعجاب، الأم الشابة الفخورة، وكانت تقف بخفة دم فى الشرفة الأمامية ببنطالها القصير ذى اللون الجيرى والصندل المكسيكى الحاد، هناك مسمى لهذا الحذاء الجلدى: يسمونه Huaraches، كانت أمى تحب أيام زواجها الأولى، وبيتها فى

تورنتو الذى كان يشبه منازل العصر الإليزابيثى والحديقة مستطيلة الشكل، هى تحب هذا الوقت من حياتها قبل أن تصاب بالإحباط.

أحببت الورود بسبب أمى، فأشكالها تتجمع داخل حبوب صغيرة الحجم، صغيرة ،لدرجة أن خمسين واحدة منها تملأ قعر كيس مسطح للبذور، إن هذه الورود لها دلالة إعجازية من البداية، فبقع صغيرة من الأشياء المعتمة نهزها فى أيدينا، ثم نضعها فى تربة الورود، تبدأ فى النمو ثم تخرج بترتيب مدروس، ثم نأتى للجزء المثير للدهشة، فهذه الأوراق المغلقة والمضغوطة تبدأ فى البزوغ، ولكن لا يوجد من يقول لنا هذا، لا يهتم أى شخص أثناء تكون البذور: البراعم، الجذع الطويل وأخيرا الأزهار. أحب أن أقطع حرير البتلة بين أصابعى، وأن أفرك حبوب اللقاح بين يدى، وكانت أمى تقول "هذا ليس جيدا يا ريتا، لماذا تودين أن تجرحى وردة جميلة؟" لم أكن أصدق هذا، فهل تجرح هذه الزهور ولكن فى كل الأحوال لن أفعلها ثانية، فقد كنت الطفلة غير الكفء التى تبحث عن لحظات الهدوء عندما كنت أجد تأكيدات من الكبار أو أرتاح من حيرتى اللانهائية.

خدشت الدرابزين ذات مرة بملعقة، ودعكته أمى بالزبدة وانمحى الخدش، لم تكن تعلم أنى من فعلت هذا، فطفلتها الصغيرة لن تفعل هذا أبدا، وانفجروا فى الضحك ذات مرة عندما قلت إن غطاء البيض مصنوع من البلاستيك، وعندما سألت أبى أيضا إذا

كان يمكننا شراء بعض رقاقات الثلج كى نعلقها فى السقف.، فجيراننا عائلة مكاندروز لديهم منها، أصابع طويلة منحوتة من الجليد فضية اللون الذى يظل كما هو طوال الشتاء، ويقولون ضاحكين "ريتا الصغيرة، عزيزتنا الصغيرة"، وكنت خائفة من الغرق فى هذا الاستحسان، لم يكن هناك أى شىء ثابت أتشبث به، فقد أفقد توازنى فى أية لحظة ووقتها لن أكون ريتا الصغيرة بعدها، مثلى مثل نورا، لن أكون أى شىء.

لم يكن لدى أشقاء، ولكننى لاحظت بعض الأطفال الصغار الذين دخلوا بيتنا، وهم أولاد أصدقاء والدىّ، وها هم يرقدون، صغار الحجم وفى مجموعات، ورائحتهم مثل اللبن التالف وموضوعون فى بطانيات من الصوف، رأيت من البداية أنهم يمتلكون قدرا متساويا من الفضول مما قلل وبسط من الغموض الذى يحيط بأسرتنا، لم يكونوا قلقين من الهالة التى توجد حول رأس الطفل يسوع مثلما كنت قلقة، مم كانت مصنوعة، ما الذى يجعلها تحوم فوق رأسه وتذهب معه أينما ذهب، كانوا يضعون أيديهم الصغيرة على الوجه البلاستيكى المضلع للراديو فى المطبخ ويضحكون على الاهتزازات التى تنتج عنه، يمكننى رؤية أنهم قبلوا تدفقات كهربائية بسيطة لما كانت عليه، فى حين أنه كان لدى معلومات متاحة: كنت أعرف أن هناك القليل من الناس يعيشون داخل الراديو، المواطنون الملتزمون للقرية المصغرة التى تتشبث بجبل حاد ومظلم، لا أحد غيرى يعرف هذا ولا يوجد من أثق به بالشكل الكافى كى أخبره.

لم يكن الإهمال هو ما أدى إلى حالة التجاهل التى انتابتنى، فكان الكبار مشغولين بتقديم تفسيرات معقدة، فى الواقع كان انشغال والدىّ هو ما يخيفنى جزئيا، والمسؤولية الجسيمة التى يتحملانها، فكان عملهما هو أن يبقونا أحياء، لم يشعرا يوما أنى قلقة، لأننى يمكننى أن أراهم من خلال أنفى عندما أنظر لليسار أو اليمين، ما عدا الخطوط العريضة للجسد والواضحة، ولم يتوقف أحدهما للتعبير عن استغرابه من العالم الذى يعيشان فيه، وأنهما يمكن أن يكونا قد أُغرِقَا بالمفاهيم القليلة التى اكتسبوها. أبى نحيل وله قدمان طويلتان، وكان يتجول فى الحديقة وتتأرجح سيجارته فى يده ويميل كى يتحقق من القزحية، كان أبى يمتلك يقظة البستانى، ولم يبد أنه تعجب من وجود هذه الزهرة الرائعة، والتى تفتحت رأسها أوانها لتبدو وكأنها ضوء تفتح، فكل جزء منها مصنوع سلفا وموضوع فى مكانه بإتقان، كان أبى يعمل تاجرا فى مكان لبيع الأثاث المصنوع من شجر الصنوبر الكندى، وكان يعمل أيضا فى مجال الكتب كعمل جانبى، فكان يأخذ طبعات الكتب الحديثة ويحول صفحاتها وحوافها إلى صفحات قديمة كى يعطيها عبق ورائحة التاريخ.

كان القمر يتبعنى، عندما كنت أترنح وأنا فى السابعة من عمرى على الحشيش فى حديقتنا الخلفية، وكانت رأسى ترجع للخلف، وكأنى أشعر بدوار، كان بإمكانى وقتها أن أرى كيف يتحرك القمر

بشكل مفاجئ مع كل خطوة أخطوها، كان يصطحبنى كلما تقدمت تجاه السرير الفاوانيا، لماذا اختارنى القمر دونا عن العالم كله كى أكون رفيقته؟ ما يعنى هذا؟ هل يعنى تكريما أم مسئولية أم عتابا؟

أخبرت صديقتى شارلوت بشأن موضوع القمر، ولكنها أصرت أن القمر يتبعها، ولذلك ذهبنا معا، وفى نهاية الممر توقفنا عن المشى وسلك كل منا طريقا، وعرفت فورا أن القمر يتبع كل منا، غالبا ما تريحنى هذه الرؤية ولكنها لا تخلو من القليل من خيبة الأمل.

شارلوت هى ابنة أسرة دانمركية كندية والتى تدير مشروعا للوحات الموقعة فى شارع بلور، كان سرها الأكبر والذى تخبئه فى قلبها هو اسم والدها الأول: أدولف، فهى تعرف الشر المرتبط بهذا الاسم، أدولف القاسى (لم يكن أى من هذا واضحا بالنسبة لى)، وكنا نناديه كريس كريستيانسن. وعدتها ألا أخبر أحدا باسمه الحقيقى، كان لشارلوت شعر أصفر اللون ومربع الشكل بشدة، كانت تنصاع للأوامر ومطيعة بشكل استثنائى، وأخبرنى بعض الأطفال الآخرين، أن الأشخاص الطيبين يموتون فى سن صغيرة، وكانوا يتحدثون عن شارلوت، وأن هذا سيكون قدرها، قال الأطفال هذه الكلمات بنبرة سلطوية ولا مبالاة، لدرجة أنى صدقتهم دون أى دليل عن جوهر شارلوت الطيب أو عن الموت المبكر الذى قد تتشرف به. إن الطيبة بداخل شارلوت وعقوبتها المفترضة دخلوا فى

حيز الحيرة والتى كونت افتراضاتى، فما هى مشكلة الطيبة؟ من أين تأتى؟ ما زال الأمر يستحوذ عن تفكيرى.

منعتنى الحيرة من أن أنظر للخلف فى أيام طفولتى من خلال الانجراف للحنين، وقد ذكرت دانيال ويسترمان شيئا شبيها فى الفقرة التى كتبتها بعنوان "عاطفية"، فهى الصوت الآخر فى رأسى ودائما ما تكون موجودة، فهى مثل صدى الصوت وأحيانا تعزف منفردة فى تفكيرى، الذى يتمنى أن الدكتورة ويسترمان المعروفة تقول - عودة لهذا الفهم مرة أخرى - أننا جميعا نحارب كى نظل أقوياء، ونحن نتصنع أننا نعرف كيف يعمل العالم؟ الحقيقة هى أننى لا أحتاج لمعرفة كل شىء، ولم ينتظر منى أحدهم مثل هذا.

يبدو أن لدى القدرة على أن أسامح نفسى، وهذه إحدى الوسائل التى تسبب لى الراحة فى سن ٤٤، وهو أنه لا يوجد أى داعٍ للمعاناة من الخوف والتجاهل، لقد كنت أراقب بناتى وهن يكبرن وكنت أحاول أن ألاحظ علامات تشتت مماثل، كما حدث معى وآمل أن أتجاوز الأمر وأنقذهم بثقة وبعلم، وبالطبع فإن نورا قد ضاعت بشكل مؤقت، لقد أصيبت بنفس مرضى، ولكن حالتها أسوأ منى، لقد كانت تستمع بلهفة وجدية وباهتمام كبير، إلى أن جاء ما أذاها رغما عنها وعلى حين غرة. أما بالنسبة لناتالى وكريس فيبدو أنهما بعيدتان تماما وفى حالة من الهدوء على الرغم مما يحدث لأختهما، ولكنى لا أستبعد رغم ذلك أن تكونا تخدعاننى.

كل

قالت لى ابنتى الوسطى كريستين فى الثانى عشر من أكتوبر "شكرا لأنك أنقذتنى من أسودك" وهو يوم عيد ميلادها السابع عشر.

أسود؟ من أين أتت بكلمة مثل أسود؟ وقد قالت لى إنها من رواية "توم ولفز"، "وهى تعنى الرحم للجنين أو الرحم".

كانت تقف فى المطبخ وهى تتناول فطورها من بقايا البيتزا ثم تناولت كوبا من عصير التفاح.

قلت مرحبة "أهلا بك" وكى يستمر الحوار بيننا على نفس المنوال، أضفت "لقد سعدت للغاية".

فقالت: "أنت لا تقصدين ذلك" كان لديها دقيقتان حتى ترتدى الجاكيت وتجرى حتى تلحق بأتوبيس المدرسة وقالت: "لا يمكن اعتبار الولادة من متع الحياة".

فقلت بلهجة حاسمة "حسنا، كيف تعرفين هذا يا كريس؟ كيف بالتحديد؟" ونظرت للساعة الموجودة فوق الموقد، ورأتنى هى وأنا أحدق فى الساعة وشاهدتها وهى تنظر إلى، كان فمها به قطعة بيتزا نصف ممضوغة وكان تقضمها بأسنانها القوية، ولم يكن المنظر لطيفا إطلاقا، ولكنى أحب هذه الابنة المكتنزة قليلا وأحاول يوميا أن أجعلها ودودة وقريبة منا.

فقالت باستياء "لقد شاهد الفيديو الذى يتحدث عن الولادة فى المنزل وأنت كذلك وزوجك أيضا".

عندما كانت تتحدث عن والدها مؤخرا لم تكن تشير إليه بكلمة "أبى" بل "زوجك" وفى بعض الأوقات تقول "الزوج السابق" وتقولها باستخدام لغة انجليزية فخمة ومبالغ فيها، وعندما تتحدث معه عنى تقول "زوجتك"، وقد قالت له الليلة الماضية وأنا آكل بقايا الكعكة "زوجتك تضعف أمام الشوكولاتة" "وعدتنى زوجتك أن تنظر فى مقالتى فى الليلة الثانية عشرة" "تحتاج زوجتك إلى بعض الأحذية الجميلة بدلا من تلك الأحذية البالية التى ترتديها منذ مائة عام" أتفهم أنا وتوم أن هذا التحول البلاغى فى الحديث قد يكون ساخرا، وأن أسماءنا العادية القديمة هى أمى وأبى، ولا يمكن أن يخرجا منها دون حرج.

وقالت "أردت أن أشكرك"، قالت هذا وهى ترتدى الجاكيت وقفازها وكان تتحرك تجاه الباب "يا إلهى، عشرون ساعة من العمل

كى تخرجينى من رحمك" ونطقت كلمة رحم بطريقة مختلفة، وكان صوتها مضحكا.

"اثنتا عشرة ساعة"

"لقد نسيتِ"

"أليس من المفترض أن أتذكر؟ لكل الناس؟"

فقالت "لديكِ كتب تراجعين منها التاريخ، وتريدين إقناعى أنت وزوجك أننا كفتيات جئنا العالم دون أن نسبب إزعاجا كبيرا، لماذا تبتسمين هكذا"

"جملتك عن الازعاج جعلتنى أفكر فى جدتك، الجدة وينترز، أنت تعرفين كيف كانت تريد أن تخلى العالم من الضجيج"

"ولكنها كانت ترغب فيها فى نفس الوقت، أليس كذلك؟"

ولكنها كانت خارج المنزل هذه المرة وتنزل الدرج وقالت بعد ذلك "شكرا على أية حال"

لقد قالت شكرا مرتين فى يوم واحد، وفى هذا الصبح فقط اصطدمت بناتالى ابنتنا الصغيرة وهى على مقربة من باب الحمام ونطقت الكلمات الآتية "أشكرك لأنك لم تسمنى أوفيليا"

"أوفيليا!"

"لدينا هذه الفتاة الجديدة فى المدرسة، جاءت من بريسكوت"

"واسمها"

"أوفيليا"

قلت وأنا أبحث عن الكلمات المناسبة "هذا هو، وهو غريب كى يكون اسما"

"اسم غريب"

"ربما ليس الاسم الذى قد يختاره أى شخص، أظن أنهم يرونه موسيقى، أقصد الأبوين" لماذا أضطر لاستخدام الدبلوماسية حتى فى أدق التفاصيل.

"الكثير من الأطفال لا يعرفون، لا يربطون الأمور ببعضها جيدا، حتى إننا لا ندرس هاملت حتى العام القادم"

"لا أتذكر أنى قابلت شخصا يدعى ..."

"أوفيليا؟ طلب منى السيد فوسديك أن أرعاها لمدة يوم أو يومين، وأن آخذها فى جولة بالمدرسة كى تتعرف عليها، هل يمكنك أن تصوريها؟ أحب أن أقابل أوفيليا، وحاولى أن تبقى وجهك غير متجهم".

ابتسمت لناتالى التى تبلغ الخامسة عشرة من عمرها، فكانت إحدى عينى تنظر لرقة فكها وأنا معجبة بشكله، والعين الأخرى تنظر بقلق، وهى عين الأم، هل هى نحيفة للغاية؟ ما هو نوع المعرفة التى تتفجر داخل خلايا جسدها البرئ؟

"ولكن أعتقد رغم ذلك أنك تحبين أوفيليا"

"أحبها؟ أعتقد ذلك"

"هل تزيدين دعوتها لتناول العشاء معنا بالمنزل؟ ليس اليوم، ولكن يمكن أن ندعوها غدا".

"أعتقد ذلك، سوف أسألها"

"حسنا"

"هل تذكرين نيستيا؟ من السنة الرابعة؟ اسمها غريب أيضا، نيستيا. لكننا كنا صغارا للغاية، وكنا فى عمر التاسعة، ولم نفكر أبدا فى أن اسم نيستيا غريب، ولم نثر غضبها أو نغيظها بسبب اسمها أبدا".

انتظرت وهلة قبل أن أجيب، فناتالى من بين أطفالى الثلاث هى أكثرهن سهولة فى الإقناع ،ودائما ما تريد إيجاد سبب للاستياء، وفى النهاية قلت لها "أعتقد أننا تعلمنا العيش مع أسمائنا".

والآن جاء دورها كى تصمت قليلا، ثم قالت بنفس التأثر الذى بدأت به "فأنت لم تمانعى أن يكون اسمك ريتا، أقصد أن أباك وأمك فعلا هذا وأنت كنت طفلة وقتها، أقصد أن جدى وجدتى أسمياك ريتا".

"كان يمكن أن يكون الأمر أسوأ"

"كان يمكنهما على الأقل أن ينطقاه بشكل صحيح"

"لقد أحبا نطقه هكذا"

"وأسمينا كلبنا بيت، وهو ليس اسما معتادا لدينا"

"نورا هى من ....."

"كان عمرها ١٢ عاما، أتذكر ذلك جيدا وكانت تريد حيوانا أليفا"

"لقد أسميناه حيوانا أليفا لعدة أيام، ثم أسميناه بيت واعتدنا على ذلك بعدها، إنه اسم عام للغاية، بدلا من أن نسميه اسما آخر"

نظرت إلي باحتقار وظننت أنها ستقول "سمعت هذه القصة ملايين المرات" ولكنها تراجعت وابتسمت ابتسامة خفيفة، كانت هى وكريس لا يريدان أى حزن، ولا حتى أى قلق ولو بسيط فى عائلتنا الضعيفة.

حسنا سأقول لأوفيليا أن تأتى مساء الغد، ولن تنفجرى ضاحكة عندما أقدمها؟"

"أعدك بذلك".

"حسنا"

"عندما تعيد ناتالى النظر لحياتها عندما تبلغ الخمسين من عمرها، فى مرحلة ما بعد انقطاع الطمث ستكون حادة وعنيفة، وتلعب الجولف وتعمل فى صفقات العقارات أو عندما تصبح فى

الثمانين من عمرها وعظامها متهالكة وتجلس على كرسى متحرك، أيا كان ما ستكونه فلن تتذكر أبدا هذا التبادل بيننا خارج الحمام، وحرجها تجاه فتاة ذات اسم غريب، ومحاولتها لأن تتحدانى وأنا أمها حول اسمى وما يعنيه اسمى لى. إن حياتها تسير تصاعديا وإلى الخارج وكذلك حياة كريس، إنهما لا يدركان ذلك ولكنهما فى وسط مرحلة الطفولة التى يريدان أن يتذكراها ولديهما استعداد أن يعيشاها كما ينبغى علينا أن نفعل، دون أمهاتنا. إن ثلاثة أرباع وزنهما يتمثل فى ذاكرتهما فى هذه اللحظة، ليس لدى أدنى فكرة عما سيتجاهلانه أو ما سيقرران أن يحتفظا به أو يجملاه، ولست متأكدة على قدرتهما على اتخاذ قرارات دائمة.

تحاول كل من ناتالى وكريس بقوة أن تبقى البيت فى حالة من الحياة، وهو ما آلمنى بشدة حتى فى تصرفاتهما ومحاولتهما أن يجذبا انتباهى أنا وتوم، كى يؤكدا لنا أنهما هنا، تريدان أن تكونا فتاتين منظمتين وأن تقوما بواجباتهما كفتاتين من عمل واجب المدرسة والأصدقاء، وعشاء العائلة وتدريب كرة السلة وفريق السباحة. لماذا يكون من المطمئن أن يكون لديك أطفال فى فريق السباحة بالمدرسة، لأن رؤية هذه الجلود الرطبة وهى ترتجف على طرف حمام السباحة ورائحة الكلور فى شعورهم يجتمع مع العدوى التى تنال منهم.

ما تركته الفتاتان هى الكرة الطائرة التى كانتا تمارسانها فى مدرسة أورانج تاون الثانوية صباح السبت.

وبدلا من ذلك كان توم يأخذ كريس وناتالى صباح السبت لأورانج تاون قبل الفجر، ومن هناك يستقلون الحافلة لتورنتو وينزلون فى محطة الحافلات القديمة بوسط المدينة، ومن هناك يسيرون مسافة مبنى حتى يركبوا مترو الأنفاق إلى بلور وباثورست ويقضون اليوم مع نورا على الرصيف فى تورنتو بوسط المدينة ثم يعودون لأورانج تاون فى آخر اليوم، وبدأوا فى فعل هذا عندما اكتشفنا أول مرة مكان نورا.

ذهبتا المرة الأولى دون أن تخبرانا، وخفنا ألا تعودا ولن نهتم أنهما فى فترة المراهقة، وصممنا على أن تعطيانا شرحا لما حدث وكانتا محرجتين للغاية وقالت كريس بتردد "لقد فكرنا فقط فى أن نراها".

أخذتا معهما حصيرا كى يجلسا عليه وبطانيات حيث إن الطقس الآن متقلب، وأخذتا معهما ساندويتشات وزجاجات مياه وترمس شاى وكومة من المجلات والكتب والمناديل وسدادات قطنية، لقد فكرتا فى كل شىء وأخذتا الجوارب والملابس الداخلية والسترات من درج نورا، حاولتا أن تأخذا بيت بكل الطرق ولكن لم يكن مسموحا للحيوانات أن تستقل الشاحنات، وعرفتا أن مجرد النظر لبيت كفيل بأن تعودا للمنزل، لعابه ونَفَسِهِ وحركة ذيله، ترددت أنا وتوم، ولم نكن نريد أن نضغط عليهما أو نبتزهما.

لم أكن أنا وتوم على دراية كاملة بما تفعلانه طوال هذه الساعات فى بلور وباثورست، لم يكن لدينا إلا مؤشرات فقط.

قالت ناتالى "لقد تمشينا"

وقالت كريس "لقد كنا مثل الزائرين"

أمسكت لسانى، لأن الكثير من الأسئلة قد تفسد الأمور غير المستتبة.

لدى السلبية قدرة على إثارة العنف، وهذا أكثر ما يقلقنى وهو أن نورا لن تكون قادرة على الدفاع عن نفسها، وأنا مخدوعة بشكل كاف كى أصدق أن رحلة كريس وناتالى يوم السبت كفيلة بحمايتها على الرغم من المخاطرة بسلامتهما، جاريت البنتين بشأن زيارة يوم السبت ولوحت لهما وودعتهما، ظنا منى أن هذا الروتين الجديد قد ينجح، حاولت فعليا أن أنقذ جزءا مما فُقِد.

فى الزيارة الأولى احتضناها بشدة وبكين جميعا، وقالت كريس أن نورا تبسمت لهما وجلست وابتسمت ابتسامة مريعة وقالت إنها سعيدة برؤيتهما.

قالت ناتالى إن رائحتها كانت كريهة، وأنهن يستحممن فى كرونك سيتى فى النزل، وأتمنى أن تتذكر كيف تستحم".

وقالت كريس أن رائحتها ليست كريهة وأكدت لى أن هذه مجرد رائحة الشارع.

قالت ناتالى "لم تتكلم معنا فعليا"

"فى البداية جلسنا بعيدا عنها بمسافة عشرة أقدام، لم نكن نريد إغضابها"

"وكأنها لم تكن مستعدة "

"والآن جلسنا بالقرب منها، تجلس ناتالى على جانب وأنا على الجانب الآخر"

"لم تكن تمانع، كانت تتبسم فقط وكانت الناس تعطيها أموالا"

"وفى أوقات لم يكونوا يعطونها"

"إنها تحصل على أموال أكثر من أى شخص آخر فى هذا الركن وهناك حوالى أربعة أشخاص آخرين، يبدو أن المارة يحبونها"

"لم يعطنا أى شخص أموالا لأننا لم نكن نحمل لوحة أو علامة"

"هناك رجل أعطانى دولارا، أسقطه فى حجرى ولكنه كان غريبا"

كان الأمر مملا للغاية ولكن يبدو أنها اعتادت عليه"

"وكأنها فى حالة سبات، كل شىء فيها يتباطأ"

"إنها لا تفعل شىء إلا الجلوس، فلا هى تقرأ شيئا ولا حتى تشاهد شيئا"

"أخذنا لها فرشاة أسنان فى حالة لم يكن لديها واحدة"

"ومعطفا قديما وضعناه بجوارها قبل أن نتركها"

"وضعناه فى حقيبة بلاستيكية"

"قلنا إننا سنعود فى الأسبوع القادم، وكان هذا آخر ما قلناه لها"

"لم نحتضنها، وكأنها لم تكن تريد ذلك"

"ولكن بدأ أنها لم تهتم بنا على الإطلاق، وكأنها تفكر أن من حقنا أن نكون معها إذا ما أردنا ذلك".

إن ناتالى لا تنام جيدا، وكريس غير جيدة فى الرياضيات، ولكن لن تعترف أى منهما بشىء، فهما تريدان أن تصدقا، وأن نصدق أنه لم يحدث أى شىء إضافى عن القصة التى رويتاها، فهما متآمرتان فى هذا الأمر.

لم تكن قصص الطفولة تهم نورا مثلما تهم كريس وناتالى وكذلك بالنسبة للشخصية المزدوجة المنبثقة من خيالى وهى أليسيا، ويبدو أن نورا علقت فى آخر أيام الطفولة التى لم تكن تتحمل فيها أى مسئولية، حيث إنها اكتوت بنار الظلم وهى فى سن التاسعة عشرة، بينما هناك شىء عنيف يتردد فى عقلها، إنه مثل الورم الحميد العدوانى بعض الشىء. إن مخالبها توغلت فى جميع أنحاء ذاكرتها، حدث هذا الغزو سريعا بينما لم يكن هناك من يهتم بها.

بخصوص

١٧ أكتوبر ٢٠٠٠

عزيزى ألكسندر فالنر

بدأت أشعر بالقنوط فى الأشهر الأخيرة (توعك بشكل عام وقلق حيال بناتى المراهقات وما إلى ذلك) وكان من المريح أن أقرأ مقالك، وهو رائع للغاية والذى كان فى العدد الأخير لمجلة Comment، وكان بعنوان "تاريخ القواميس"، بدت المواد استثنائية وجديدة وتمت صياغتها دون أى إثقال على القارئ، فأنا أيضا أعشق الكلمات وأقضى يومى بحثا عن المترادفات، فالتحويل الخاص كان طريقتك التى قفزت بها صعودا وهبوطا من على منصة المحاضرة، فكنت تتحدثين فى بعض الأوقات بطريقة المؤرخين المثيرة للاهتمام، وفى بعض الأحيان كنت تهمسين مثل الرجل ذى اللحية المجعدة الذى يجلس فى مكتبة عامة ويحاول أن يكتب روايات وفى يده قاموس

المترادفات. وقد انتقلتِ من الحميمية إلى الرقى ذهابا وإيابا، وكأنك بندول إيقاع رائع متحكم فى سرعته. أحببت الطريقة التى بنى موضوعك نفسه عليها بعناية، والطريقة التى قلتِه بها وسهولة فهمه، وأخيرا الميل للاعتراف، وأدركت أيضا وبشكل جيد اللحظة التى رغبت فيها من الاقتراب من بعض كتابنا العظماء لترى إذا ما كانوا منغمسين فى الأمر أم لا، وإذا ما كانوا يحتفظون بقاموس للمترادفات فى أدراج مكاتبهم أو ما يعادل ميكى جن. جون آبديك وساول بيلو وريتشارد فورد وتوم وولف وأنتوين لان، هذه بعض الأسماء التى اقترحتها، ألن نتساءل إذا ما كان كل هذا العدد يستخدم القاموس أم لا! تخيلى فقط تزاحمهم المخجل كى يخفوا المجلد عن الأنظار، ومن أيضا؟ ـ كالفين تريلين ووليام إف باكلى وروبرت لويل وأنطونى بورجيس وجوليان برانس.

هذه مجرد قائمة، وهناك قائمة عليا وقائمة سفلى وأنا أعرف أنك ستوافقيننى فى هذا، وأنا واثقة أنك قد أدركت أثناء قراءتك لإثباتاتك أنك تجاهلت ذكر دانيال ويسترمان أو جويس كارول أو أليس مونرو، ولكن ربما كان الوقت قد مضى حينها، وأنا متأكدة أنك شعرتِ بدغدغة فى الرأس، وأن هناك شكلا صغيرا يشير بإصبعه إليك ويقول: يوجد هنا شىء مفقود سيد فالنر، ربما تكون قد أسقطت اسم سيلفيا بلاث؟ كانت معروفة بأنها تستخدم قاموس المترادفات فى صياغة شعرِها، وهو أمر صادم عندما تفكر فيه.لا

تتخيل أن الشعراء يقفزون من أماكنهم ويطلبون نصيحة آلة ميكانيكية، وهو قاموس المترادفات.

ربما كنت مرهقا وأنت تبحث عن الأسماء الأدبية الكبيرة، وربما تكون محاولة إخراج الأرقام نفسها صعبة المنال، أو واضحة للغاية فى صحتها، ولكن هل لاحظت شيئا أكثر أهمية وهو أنك لم تذكر أى امرأة إطلاقا فى مقالك الطويل بأكمله (١٦ صفحة بعمودين) ولا فى أى سياق ولو حتى لمرة واحدة فقط! وكأن هؤلاء الرجال العظماء أتوا إلى الدنيا من تلقاء أنفسهم. من المرهق أن تعد كل هذه الأسماء، ولكن نبرة صوتك وعرضك للموضوع (تعلق) بهما نوع من التسلط، وأنت تعرف جيدا أن المرأة التى تقع تحت تأثيرك ولو بالصدفة يكون مقدرا لها أن تخدم شخصا متمرسا فى تحقير الذات.

سيفسر هذا يأسى ولماذا أتحدث معك عن مشاعرى، فأنا امرأة تبلغ من العمر أربعة وأربعين عاما، وكنت تحت تأثير أن المجتمع يتقدم، وأنه من يحمل ذاكرة الإيمان بشكلها الكامل. والآن وبشكل مفاجئ أرى الأمر من وجهة نظر فتاة فى التاسعة عشرة من عمرها، نحاول جميعا أن نفهم ما خطب نورا، فهى لن تعمل بوظيفة ثابتة وخرجت من الجامعة وتركت منحتها الدراسية وتجلس على الرصيف وتشحذ من الناس، كانت من عشاق القراءة ولكنها تركت القراءة ومؤمنة أنها تفعل ما تفعله الآن تحت اسم الخير، وهى لا

تهتم إطلاقا بالطوائف، ولا بالمعتقدات التى تخص الطوائف، أو حتى بتلك الطبيعة الخاصة بالانتماء للطائفة أو القبيلة بشكل خاص، وهى مشغولة للغاية بمشروعها الخاص بانقراض النفس، وهذا يحدث ببطء شديد وبأسى. ولكنى بدأت مؤخرا أتفهم الموقف. تقرقض ابنتى كريستين أسنانها بالليل وهذا علامة على التوتر، وناتالى تعضعض أظافرها، إن المرأة تجبر على أن تشتكى وبعدها تحتاج للراحة، ما تريده نورا هو أن تنتمى للعالم أجمع، أو أن تتمكن من تذوق طعم العالم فى فمها ولو لدقيقة، ولكنها لا تتمكن من هذا ولذلك لن تقم به.

عزيزتك

ريناتا وينترز

أورنجرى، مدينة وويشود

لذلك

تعيش ابنتى كالمتشردين فى شوارع تورنتو، ورغم ذلك على أن أمتلك أربعة ياردات من نشارة اللحام كى أنشرها فى المنزل هذا الصباح، وتكلفتها ١٤١,٩١ دولارا متضمنة الشحن. قمت بعمل إزالة للحشائش فى الحديقة وسننشر الآن هذه النشارة بين الشجيرات والنباتات المعمرة وسنضعها بالتساوى قدر المستطاع وسنشم الروائح غير الطبيعية الضعيفة والتى وضعت فى منتصف الطريق بين العفن والنضارة، وبحلول الربيع ستسلك طريقها داخل التربة، وبعدها تتحول جميعها إلى غبار ناعم.

استحضر فى ذهنى مجموعة كبيرة من الاستعارات ستفلق رأسى لنصفين، ولذلك تخلصت منها بطريقتى المعتادة، يجب أن أفكر فى شى آخر وأن أفعل شيئا آخر وعلى الفور. كتبت شيكا لصبى توصيل الطلبات وكان وجهه جميلا ولديه أسنان مستوية، لقد كنت مشغولة للغاية كى أنتبه للتقويم مؤخرا، وكان على أن اطلب منه أن يذكرنى بالتاريخ.

فقال "إنه عيد مولدى وأتممت عامى الثامن والعشرون"

فقلت "هذه سن جيدة"، لم أجد غير هذا لأقوله.

فقال متفقا معى "أعتقد ذلك وأتمنى أن يثبتونى فى عملى" وأشار على شاحنته وأكمل قائلا: "ووقتها يمكننى أن أستقيل من عملى المسائى فى توصيل البريد الوطنى، مما سيجعل من السهل على أن أرى صديقتى والتى تقطن عند بحيرة "إن ليت" ويمكننا بعدها التفكير فى الزواج وتكوين عائلة"

يمكننى أن أرى أنه يمكن أن يقول لى كل شىء إذا ما أومأت أو ابتسمت، كل فكرة صغيرة يمكن أن تقفز إلى رأسه وتجعله حيا، ما تلك القوة التى أمتلكها للسيطرة عليه، يمكننى أن أجعله يعمل أو يتوقف عن العمل مثل الراديو، شعرت بالعار لبعض الوقت، وقف ووضع يديه على صدره، وبدا وكأنه يفكر فى حياته وأهمية يومه بشكل شخصى للغاية وكيف أنه تمنى الكثير، ولم يكن هذا الكثير غير أشياء قليلة للغاية، لم ألاحظ أن هناك شيئا ما بقدمه إلا وهو فى طريق عودته للشاحنة فكانت تلتوى للداخل وكانت الركبة تتحرك بشكل غريب وينتج عن ذلك ارتداد بدلا من السير بسلاسة.

"بعدها وجدته ينادى على بصوته السعيد وقال "تمتعى بيومك أيضا"

وضعت أنا وتوم السماد فى آخر النهار، كان شكله النظيف ممتعا، ولكننا قمنا بالعمل فى الأرض جيدا، وبعدها توقفنا ولاحظنا صراع الظلام والنهار على الأوراق القليلة الباقية، ثم ذهبنا سويا إلى المطبخ الدافئ والمنظم والذى يبدو وكأنه توبيخ نوعا ما. لقد فشلنا فى جهودنا كى نعيش سعداء، لم نهتم أبدا بالترتيبات الدقيقة، وكدنا ننهزم، بالرغم من رائحة الطماطم المشوية للازانيا الآتية من الفرن. كانت كريس تلعب بالبيانو فى غرفة المعيشة وتعزف لموزارت، وقد تهت للحظة فى التكرار العميق للموسيقى، كانت ناتالى ممدة على الأرض أمام التلفاز وهى ترتدى الجينز، اما توم فجلس على الكرسى بجوارها، وبيت الذى يتطوع بالعمل كمسند للقدم فبدا وكأنه يريد أن يقول: أليس هذا بالنعيم! لماذا لا يكون الأمر كذلك طوال الوقت؟ كنا نشاهد أخبار الساعة السادسة ولكن ليس بلهفة وحرص ولكن باهتمام كافا، كانوا لطافا ومترنحين قليلا. نظرت ناتالى فى الشاشة وتساءلت أين ذهبت كل هذه الأزهار؟ بنيما كان توم يسجل ما يذاع، فقد تم عقد انتخابات فيدرالية بعد إصرار من رئيس الوزراء، وكانت أخبار الانتخابات الضئيلة هذه لا تساوى شيئا كما هو متوقع بجانب ضخامة خبر رقص جورج بوش فى الولايات المتحدة، فقالت ناتالى بكسل وهى على الأرض "لم أعد أحبه"، وكانت تقصد جين شهريتين، وتحدثت بقسوة والتى بدت

غريبة وقالت عنه "مغرور"، بينما كانت كريس فى الغرفة المجاورة تبدأ مقطوعة جديدة لموزارت، وهى تعرف جيدا أنى قد أناديها فى أى دقيقة لتجلس معنا على طاولة الطعام، كانت تريد إعلامى أنها تتحضر جيدا لدرسها فى الغد، تحققت من الفرن ووضعت الطاولة.

وفى السابعة ذهبت للفرن ونزعت الفويل من اللازانيا، وبعدها أغلقت ستائر المطبخ الحمراء وهى علامتى لحماتى فى الباب المجاور كى تضع معطفها وتسير فوق التل ومن خلال أوراق العشب كى تتناول الغداء، فهى تتناول وجبتها المسائية معنا، وقد استخدمنا علامة الستارة لما يقرب من عشرين عاما، ستشاهدنا من غرفتها المظلمة وهى تنتظر بشغف وأنفها عليها مسحوق بالفعل، وتضع أحمر الشفاه ومثانتها فارغة ومفاتيح منزلها فى جيبها، وسيستغرق الأمر منها أربع دقائق كى تسافر المائة ياردة حتى بابنا الخلفى والذى أتركه مفتوحا، لماذا امتلك ستائر حمراء فى مطبخى؟ لأن سيمون دى بوفوار تحب الستائر الحمراء ولأن دانيال ويسترمان تحب الستائر الحمراء بسبب احترامها بوفوار، وأنا أحبها بسبب دانيال، فهم يعملون كعلامة على أنك فى المنزل وعلامة على الراحة والهدوء والرفقة والطعام والشراب والعائلة.

وضعت اللازانيا الساخنة على الطاولة مع السلطة الخضراء فى الطبق الماهوجنى القديم الخاص بوالدتى الذى أتاها من البرازيل، وفى هذا الوقت حضرت هى وأبى مؤتمرا فى ساو باولو، متى كان

ذلك؟ فى بداية السبعينيات عندما كنت صغيرة، تركانى وحدى مع العمة جودى. ناديت عليهم "العشاء"، ثم ناديت بصوت أعلى "العشاء".!

إنهم مدربون جيدا. تلاشى موزارت مرة واحدة مع سقوط لوحة المفاتيح، جاءت الجدة وينترز من خلال الباب وهى تحمل التفاح كتحلية، علقت معطفها جيدا وتنهدت، وكالعادة فى الآونة الأخيرة. لم تقل كلمة تحية واحدة. أُغلِق التلفاز وجلسنا جميعا معا، كريس مع قبعة بيسبول إلى الوراء كما لو أنها كانت عازمة على أن توصل جدتها للجنون.

كنا فى خضم حب هذه الأسرة، وتنفست هذا الحب بامتنان، على الرغم من خليط الفوضى والاضطراب، وفى هذه الليلة الخريفية أضأت الشموع فى غرفة الطعام، وكنا نجلس كما لو كنا عائلة عادية، كما لو كان كوكبنا الصغير فى مساره الطبيعى، وكأن المواسم ستستمر، وسينتقل الخريف إلى الشتاء وكأنه يضع فى الخارج سمادا جديدا للحدائق، مثل معطف من الصوف يحمى ويدفئ الأرض. ومن المتوقع أن تتساقط الثلوج على الرغم من أننا فى أكتوبر.

دائما ما تتحمل ناتالى المسؤولية عن الصمت وقت العشاء على الرغم من أنها الأصغر، كانوا يتجاذبون أطراف الحديث حول مدرس التاريخ الخاص بها، وهو السيد جالفين الذى أعلن فى

الفصل اليوم أنه شاذ. وقالت إنها مفاجأة كبيرة، كما لو لم يكن لدينا ما نعانيه. فقالت كريس "آه هو"، وقالت الجدة وينترز "كنا نعرف أنه شاذ قبل عامين"، ثم سحبت اللازانيا الخاصة بها، وأخذت الطعام بسلاسة تجاه فمها مباشرة، إنها فخورة بشهيتها ولكنها لن تقول ذلك. ماذا أكلت اليوم؟ عيش محمص وقهوة للإفطار وشاى على الغداء، فلا عجب أن شهيتها مفتوحة فى آخر اليوم، وأخيرا خدم توم نفسه بنفسه وكانت يداه ترتعشان، متى بدأ ذلك؟ أشكر الله على كريس وناتالى على ثرثرتهما الفارغة حول المدرسة الثانوية، ورغبتهما الساذجة فى الاندفاع للأمام والتوغل والتوسع فى تفاصيل صغيرة يومية. السيد جالفين الذى شوهد فى تورونتو فى بار لمثليى الجنس فى عطلة نهاية الأسبوع، وهو يمسك يد رجل آخر ويقبله على شفتيه، وقالت كريس "لا، ليس على الشفاه!". لقد توترتا بعض الشىء بسبب الرغبة فى تعويض غياب نورا، فيحاولان الثرثرة ولكن دون انعكاس تذمر نورا أو وقفاتها المحكومة فى الكلام عندما يتم سؤالها. قلت لهما مذكرة إياهما "لا تنسيا السلطة" وفى الحقيقة كان هذا إسهامى الحقيقى الوحيد فى المحادثة على العشاء، وجزءا لا يتجزأ من رد فعلى بصفتى أم، مقدمة التغذية، ومن أقوم بوزن وجبات الطعام.

كنت أفكر فى أليسيا، فى روايتى والتى اتبعت نظاما غذائيا خاليا من الكربوهيدرات حتى تناسب فستان الزفاف مقاس ٨ والذى طلبته خصيصا، يا لها من امرأة تافهة. ماذا يرى رومان فيها

حقا؟ هذا الغرور القاتل مثل عدم وجود معاناة ـ إما هذا أو أن المعاناة لم تصل إليها بدرجة كافية. كان لديها انسداد فى النخاع، ولم يصل أبدا من لحمها إلى جذع الدماغ.

وفجأة أصبح واضحا لى أنه يجب تأجيل زواج أليسيا ورومان، والآن يمكننى أن أفهم إلى أين تتجه الرواية، لم يكن مخططا لها أن تكون شريكة، فكونها وحدها فى العالم هو الجنة بالنسبة لها، لقد ظل الأمر لفترة طويلة، واقتربت من التضحية به، أو بالأحرى، أنا كروائية كنت على وشك أن أنتزعه بعيدا عنها، لابد من تنبيه المدعوين فى حفل زفاف، وإعادة الهدايا، جميعهم، أليسيا ورومان وأسرهم وأصدقاؤهم، هذا غباء.. غباء. وكى تنجو الرواية لا بد من إعادة صياغتها، ستتقدم أليسيا فى فهمها لنفسها، وستتمدد الصفحات سأبدأ فى الغد، شعرت بالنبض فى حلقى.. غدا.

رن الهاتف فى هذه اللحظة، وكانت المكالمة من نيويورك وكان الخبر أن محررى السيد سكريبئانو قد توفى بعد الظهر.

التالى

توفى السيد العزيز Scribano فى المستشفى بعد سقوطه من على الدرج فى اليوم السابق. وستعقد جنازة خاصة صغيرة خلال ثلاثة أيام، وستكون هناك تعازى خاصة فى New York Times Book Review. اتصل بى شخص ما من الجريدة فى المنزل فى أورانج تاون وسألنى كيف عرفته كمحرر؟

لم أكن فى أفضل أحوالى ولبقة، وشرحت قائلة: السيد سكريبانو كان محررا لدانيال، ودانيال عرفتنى عليه فى روايتى الأولى وكان هذا من حسن حظى، سمح لى هذا بالمرور فى طريق مختصر، ونشر روايتى الأولى فى الأربعينات من عمرى. كيف وجدته كى أعمل معه؟ التقينا مرتين فقط وتحدثنا على الهاتف ربما عشرات المرات، كنا نتقابل بالصدفة وبشكل متقطع ووقعت عقدا فى وجوده وفى مكتبه الكبير، قليل الأثاث والمشرق، فى الطابق ٦٢ فى وسط مانهاتن. اعتذر السيد سكريبانو عن عدم دعوتى لتناول

الغداء، وهو أمر متوقع أن يفعله الناشرون، لكنه كان معتادا على تناول شطيرة ترسل إليه من الطابق الأرضى فى الثانية عشرة تماما. إنه وقت الظهر الآن. هل ستناسبنى شطيرة يومية؟ قلت إنها تناسبنى، وخلال دقائق قليلة كنا نستمتع بأكل الخبز من حبوب الجادوار والجبنة، والخس. كان يأكل بكياسة، وكان حريصا على ألا يلتقط الفتات بشاربه، وكان يرتشف الشاى الساخن بتأنٍ. كانت ضحكته قصيرة وعميقة وغير مصطنعة، واستطعت أن أرى أنه قد يكون جذابا للنساء، جلست على كرسى صغير وجلس هو على آخر كبير.

بعد ذلك بكثير، أثار موضوع كتابة الرواية الثانية، وهى تتمة، على الرغم من أننى أتذكر أنه لم يستخدم هذه الكلمة، والآن أرى فجأة أنه ميت. سمعت نفسى أقول فى الهاتف "أنا معجبة به كثيرا"، وقلت بعدها دون فهم "ليس لدى أى فكرة".

توم يقول إن الناس الذين يقعون من على الدرج لا يموتون عادة، وتحدث لهم كدمات وقد يكسرون أذرعهم أو أرجلهم، تحدث الوفاة فقط إذا ارتطمت الرأس بجسم صلب بقوة معينة أو زاوية معينة، وكنت أفكر طوال اليوم فى كيف أنه قد يكون على قيد الحياة فى هذه اللحظة إلا إذا، إلا إذا لم يكن قد انزلق دون أن يساعده أحد، لو لم يكن قد أصر على الدرج العارية غير المفروشة، إذا لم تكن رأسه قد ارتطمت بالجزء الكبير من الجرانيت التى احتفظ بها

للهبوط، وهو هدية تذكارية من جولة محاضرات فى إيطاليا فى الخمسينيات.

وقالت سكرتيرته أدريانى أنه توفى فى غضون ساعات من دون معاناة، فقد اتصلت هاتفيا لتقديم تقرير كامل، وكانت هذه المعلومات لى فقط باعتبارى واحدة من الروائيين الذين فى خطته للنشر. قالت إن كل كتاب سكريبانو ولورانس سيتم الاتصال بهم وإعلامهم بالوفاة تماما كما تمنى السيد سكريبانو. وقالت أدريان إن جميع المتغيرات كانت فى مكانها: الارتباك على درج مظلم وسقوط بتهور والسلاح حجرى الذى فى انتظاره. كان على الأرجح فى طريقه للمطبخ لعمل الشاى، بعض الأعشاب لمساعدته على النوم.

لم أكن أعرف انه انزعج، وأنه عاش وحيدا، وأنه حاضر فى إيطاليا، وأن لديه مشاكل كامنة، لم أكن حتى أعرف سنه، ولكن قيل لى وقرأته فى وقت لاحق فى نعيه، كان فى سن السابعة والسبعين. لا ينبغى أن يكون خبر له نفس تأثير الصدمة التى حدثت لى. بدا لى عندما وصلنى الخبر أننى لن أكمل روايتى، وأن السيد سكريبانو هو من بدأ المشروع وهو من أبقاه على قيد الحياة. (كنت أعرف أنه لم يكن هناك السيد لورانس، وأنه مات منذ عقود، وأن اسمه بقى فقط من أجل الشكل العام الجيد ونطق الكلمة).

كانت أنباء السيد سكريبانو سيئة التأثير على دانيال ويسترمان والتى كانت تعرفه لأكثر من أربعين عاما، وهى من قادتنى إلى الاعتقاد بأنه لم يكن فقط محررها لفترة وجيزة فى مطلع الستينات بل وحبيبها. كانت تناديه باسمه الأول، أندرياس، استقبلت الخبر بقسوة، مات الكثير من أصدقائها الجيدين فى العام أو العامين الماضيين وأخبرتنى على الهاتف أن موت المحرر يجعلنا نفهم ماهية البراعة فى الكتابة. وأضافت "بدون المحررين فإن الكتاب لا شىء سوى صانعى أخرام للأحذية".

لم أكن أتفق مع هذه الفكرة، وليس للحظة واحدة ولكن لم تكن لدى طاقة على المشاجرة. إذا كانت الحقيقة معروفة، فإن القلق على نورا أخذ الكثير من اهتمامى، وكان من الصعب أن نشعر بحزن حقيقى على وفاة رجل فى عمر الـ ٧٧ عاما مات بسبب الإهمال. كان حزنى على سكريبانو قصير المدى، حدادا متواضعا، وكان الأمر قد انتهى بالنسبة لى فى غضون أيام، أرسلت الزهور للمشاركة فى الجنازة التى عقدت فى كاتدرائية سانت باتريك وهو ما أدهشنى، وكتبت مذكرة الى السكرتيرة ولم يكن لديه عائلة وبعدها نسيت كل شىء عنه، وأبعدته عن ذهنى. كان لدى الكثير من التركيز فقط للحزن.

بدت الحيرة على دانيال بسبب هذا التسلسل الهرمى من القلق أو ما اعتبرته هى صلابة قلب. "مثل هذه الحياة الكبرى، مثل هذا

الوجود، مثل هذه المساهمة الكبيرة، سيكون من المستحيل استبدال مثل هذا الشخص بآخر".

نعم، لقد قلت، ولكن كانت لديه حياة طويلة. ما قصدته هو أنه لديه أكثر مما ستحصل عليه نورا.

أكره هذا الوقت من السنة فى مطلع نوفمبر، الصباح المظلم والمصابيح المكسورة على الطريق، وقسوة فصل الشتاء، ولكن أظل أفكر أقسى من ماذا؟ ونسمات الثلوج فى المصابيح الأمامية، فالأشجار العارية كلها قسمت السماء إلى قطع. كان يوم أربعاء قصيرا بدون ضوء الشمس وكان الهواء يمتد فى كل جانب مثل ورقة الشاش.

ذهبت إلى تورنتو يوم الأربعاء، ليس الأمر سهلا كما يبدو فقد كنت مستيقظة منذ السادسة صباحا. استحممت وارتديت ملابسى، وسرحت شعرى إلى الخلف. أيقظت كريس وناتالى ونبهت توم إلى بقعة على سترته. كان الفطور قهوة لتوم ولى، وشايا للفتيات وخبزا محمصا وزبدة ومربى، وفتات حول الخبز المحمص، وهناك أطباق وفناجين فى غسالة الصحون، كنت أحث الفتيات على الإسراع حتى لا تفوتهم حافلة المدرسة. لم تأكل ناتالى شيئا، كم من الوقت تستطيع أن تعيش على الشاى بالحليب؟ عانقت الفتيات، وتمنيت لهن التوفيق فى كل شئ: اختبار الرياضيات ومختبر الكيمياء، وكرة السلة. فصلت الكهرباء عن صانع القهوة وساعدت توم فى العثور

على التقويم والذى كان تحت بريد الأمس. عانقته ورحل بعدها، سمحت للكلب بالخروج لبضع دقائق وهاتفت والدة توم لمعرفة ما إذا كانت قد نامت بشكل جيد، وفحصت درجة الحرارة بالخارج ووجدتها ١٠ تحت الصفر. وأخيرا، أخرجت السيارة من المأرب، وذهبت إلى تورنتو.

هذه الرحلة لا تنتهى ومتكررة، حتى لون الأسمنت. تستغرق الرحلة ساعة واحدة والساعة الآن العاشرة والنصف، وركنت السيارة بجوار الركن الذى تجلس فيه نورا.

مشيت حول المكان الذى تجلس فيه، محاولة الحفاظ على مسافة صغيرة، لم أرد أن اخيفها بأى شكل من الأشكال، حبيبتى، ماذا فعلوا بك؟ لم أجرؤ على الاقتراب بدرجة كافية لرؤية وجهها بوضوح، ولكن ما أتصوره هو إحباط واضح، اختلاط من الاحتقار واللامبالاة التى تدعو إلى الصمت ولكن على استعداد لحرق كل ما يقدم لها. وفى هذا الجو القاس: الثلج فى الهواء، والرياح المتحركة، أجدها منعزلة عن أى وقت مضى، إن هذه الزاوية تثير الأعصاب ومحمومة، وصاخبة ورخيصة ووحيدة، يوجد عبر الشارع Honest Ed'، محل متعدد الأقسام وكبير، وبه خصومات وأرضياته متفاوتة وكل شىء للبيع بأسعار منخفضة، بدءا من مشابك الغسيل لأجهزة التلفزيون، لكن وضع نورا أبعد كل شىء من حولها، وكأن ليس هناك ما هو حقيقى باستثناء رأسها ورقبتها المنحنيين، وحقيقة أننى غير

مرئية وأستطيع أن أبقى غير مرئية، هو شعور مريح بشكل غريب، كما لو أننى أعطيها شيئا ذا قيمة، وهو فى الحقيقة مجرد ثباتى وحزمى وقلقى عديم الفائدة. ظللت أتجول فى المتاجر المحلية وكنت أراقبها من خلال النوافذ، لففت حول الشارع وأحصيت عدد الأشخاص الذين يمرون بها، كم منهم يعطيها قطعة نقود أو اثنتين، أحيانا أشعر أنها على علم بوجودى، وعندما اقترب منها أخيرا بقطعة من الطعام، لا تنظر حتى إلى أعلى.

وعند الظهر ذهبت إلى دانيال ويسترمان فى شقة روزيدال وأكلت السندوتشات الصغيرة على المائدة التى تضعها فى الغرفة التى تدخلها الشمس، ساندوتشات رائعة، لحم القبقب والخرشوف والدجاج بالكارى، فى هذه الأيام أعتبر تقريبا زائرتها الوحيدة، هناك قطعة قماش جميلة تغطى الطاولة الصغيرة، مناديل أنيقة وصغيرة مغسولة باحترافية وموضوعة كأشكال المثلثات الهندسية، نشرب شايا قويا جدا فى أكواب روسية، هذه إحدى تصرفات دانيال المتكلفة كانت تصبغ شعرها فى الكثير من الأحيان، حتى أصبح مثل الصدأ الناعم وغطاء رأس للهنود ذات اللون البنفسجى، احدى يديها تلامس شعرها، والذى كان غير مثبت بدبابيس ويكاد يسقط على عينيها. منذ عدة سنوات ارتدت .... على رأسها من أول جبهتها وأذنها وربطتها بالتوكة، وهى نفس الطريقة التى عليها شعرى الآن، ولم أكن على دراية بهذا إطلاقا بأن هذا ثناء

على دانيال الصغيرة، دانيال فى وقت مبكر من حياتها ، امرأة تنبض بالحياة وأعادت اختراع نظرية المساواة بين الجنسين. فى هذه الأيام ترتدى القطع الذهبية الصغيرة، والأحذية البيضاء التى تشبه أحذية غرفة النوم، وقدماها العاريتان يتميزان بالكثير من الكدمات والبقع. وتنورتها الرمادية المطوية وسترتها الصوف جزء من زيها اليومى، كما هو الحال منذ سنوات. أين وجدت هذه السترة الصوف الفظيعة؟ أتعجب من عدد السنوات التى حبست جسدها فيها، فكل ما رأت وفكرت فيه، وكل الكلمات التى صاغتها على الورق، والطقس الذى تحملته، والعشاق الذين واجهتهم والمعاناة خلال الحرب. نحن نتحدث عن النسخة الرابعة من الترجمةWe والتى لا أقوم بها لأنها تركز كثيرا على العمل بها وبعد فترة ناقشنا مشاكل أليسيا ورومان فى روايتى الجديدة والتى أصبحت أخيرا فى المسار الذى ينبغى أن تكون عليه، رفعنا أكواب الشاى كنخب لذكرى السيد سكريبانو، وتساءلت دانيال آلاف المرات إذا ما كان سكريبانو يمكن أن يكون اسمه الحقيقى أو اسما أطلقه على نفسه عندما امتهن هذه المهنة، وأخيرا قمت كى احتضن جسدها الضعيف وأصررت أنى سأخرج بمفردى من الباب، يمكننى أن أرى النوم فى عينيها.

بعد ذلك قدت ببطء أكثر إلى بلور وبثورست قبل أن أتوجه ألى الطريق السريع والمنزل، بحثا عن النفس الباسلة المألوفة فى

معطفها الذى يشبه زى القوات البحرية، هذه الرأس داخل الوشاح الآن، وأمنح نفسى المتعة السهلة التى يستدعيها الناس، عندما لا يتحسن أى شىء ولكن على الأقل لا شىء قد تغير، لا يزال هناك.. لا يزال هناك. هناك طمأنينة مترددة تشتد ضد خطورة الحداد، لم أبال بالسيارة خلفى التى تزمجر بفارغ الصبر، وأنا آخذ وقتى.

ومع ذلك

مازلت أنا وتوم نمارس الجنس، هل ذكرت هذا؟ ـ على الرغم من أن ابنتنا الكبرى تعيش فى الشوارع ومهملة، حدث ويحدث هذا مرة أو مرتين فى الأسبوع، وفى الواقع نحن نستلقى على سريرنا الكبير معا فى منتصف الليل، ويكون المنزل هادئا ووجوهنا قريبة من بعضها البعض.. أشعر بالدفء النابع من أنفاس توم على خدى، خصوصية جسده تبقينى بلا حراك، كما لو أننى أستمع للإشارة. يصل توم إلىّ وأستجيب، وأحيانا أستجيب ببطء، وفى الآونة الأخيرة ببطء شديد.............، دائما ما يرتفع، التركيز هو أهم شىء، نعم، فالتركيز يساعد كثيرا، وبعدها بوقت قصير نصبح شيئا واحدا ونمارس الجنس بقوة كزوجين من المجانين يتنفسان بصعوبة، وبعدها واحد منا سوف يبكى وأحيانا نبكى معا. حاجتنا المستمرة للجنس تكمن بيننا، وكأنه شىء لا نجرؤ على التقاطه، كما لو أننا ناضلنا للدخول

لغرفة نوم داخلية حيث تتلاشى فيها القدرة على المعاناة، إن الهمهمة التى نسمعها بآذاننا هى تاريخنا، ولا تختفى أبدا.

هل مازلنا نحب بعضنا البعض؟ يجب علينا إذا ما كنا نمارس الجنس بعد الأربعين، بالطبع لدينا خلافاتنا، ولكن ليس هناك ما لم نجد له حلا، مسألة الحب ليست ذات صلة بحالتنا، وليس فى الوقت الراهن. يمكن تأجيل هذه المسألة فنحن نعيش فى مأوى بعضنا البعض، فنحن نناسب بعضنا البعض. نحن معا بعد كل هذا الوقت وهذا هو ما يهم. عندما نذهب للنزهة معا، ينشب ذراعه بذراعى، ويده فى يدى، وبما أننى أقصر بعدة بوصات، يتطلب هذا أن رفع كتفى وأن أنحنى قليلا تجاهه. نحن نناسب بعضنا البعض بهذه الطريقة. وجزء الجنس فى حياتنا هو أيضا مسألة تكيف دقيقة ومسألة تتعلق بالإقامة، عاداتنا متشابهة، إنهم مثل الدخلاء على منزل ليس به ستائر بالليل، ووتد للطمأنة من ضوء مصباح، وهو ركن من إفريز مألوف فى السقف، وجدار من الكتب، والجزء العلوى من كرسى بأذرع، دائما ما يكون هناك، فهى نفس الترتيبات. قلت له بعد أن مارسنا الجنس بعنف "يا للغرابة،" (منتصف نوفمبر، ليلة أول عاصفة ثلجية حقيقية فى الموسم).

"غرابة؟"

"هذا ما فعلناه"

"أعرف"

"نفس الطريقة التى نهتم بها بالحديقة"

"ودفع الفواتير"

هل يمكن أن تنسى يا توم؟ أخبرنى، هل يمكنك أن تنسى بشأنها؟"

وتبعها سكون، ثم قال "لا أعتقد ذلك، ليس بشكل كامل أبدا، وأنتِ؟ (لا أحبه أن يرد على السؤال بسؤال).

"لا"

يبدو أننا نمنا بعد هذه المحادثة (إذن هذا هو: نمارس الجنس بانتظام ونحن قادران على النوم، غالبا هذا إهمال منا، فنحن أبوان مكسورا القلب، ويظهر بوضوح أننا قادران على استكمال حياتنا".

الكثير من عناصر الثقافة هذه الأيام تثير غضبى، ولا سيما استسهال عدم التفكير والذى يسميه الناس "الروحانية"، ولكنى لا أزال ممتنة وإلى الأبد للأيام الجيدة والتحررية التى نشأت فيها أنا وتوم وهى السبعينيات. وقد قال وردسورث الصغير "أن تكون شابا هو المتعة كلها"، وقد تمتعنا بهذه الأيام وتذوقنا طعمها حتى آخر قطرة، مارسنا الجنس فى أول ليلة تقابلنا فيها، كان توم وأنا طالبين يسيران جنبا إلى جنب فى مسيرة حقوق الإنسان فى ناثان فيليبس، وهى ساحة فى وسط مدينة تورونتو، وبعدنا نزلنا المدينة لنتحدث ثم تمشينا فى شوارع وسط المدينة، ثم عدنا إلى شقة توم فى

دافنبورت، كان يمتلك أريكة بنية اللون مع وسائد قصير ذات رائحة بشعة، وكل واحدة منها ترتكز على زر بنى مثبت، لم أهاتف المنزل ولم أهاتف السكن الجامعى، وكان ذلك خلال فترة زمنية بدا لى أنى أمتلك القليل فى طريقى للحياة الحقيقية، وهنا كنت نائمة بجانب رجل التقى به للتو، غريبان يحتضنان بعضهما فى عصر الحفاظ على الأرض. كانت يد توم تحت سترتى طوال الطريق من وسط تورونتو، كنت آخذ حبوب منع الحمل، ولم يكن هناك شىء لمناقشته، ولا يوجد ما يمكن أن يوقفنا، كنت أشعر أنى أحلق فى السماء. أتذكر بعد ذلك أنى تأملت وجهه فى محاولة لمعرفة ما العاطفة التى يحتويها، وحزنت للحظة فقط أنه لن يكون ولم يكن هناك حدث آخر على قدم المساواة مع هذا الحدث إلا إذا عشت حتى سن المائة.

إن حياتنا لا "تحدث" لنا حقا، ونميل إلى إثارة أنفسنا حتى نخترع شيئا ما وحتى نجد السكن، كنا فى الربيع عندما وقعت فى الحب، ولكننى واصلت دراستى، وكنت أدرس لغة الفرنجة القديم فى هذا التوقيت، وفى خضم حروف العلة والحروف الساكنة الغريبة وغير الواضحة، نقلت جزءا كبيرا من حياتى لهذا الشخص، المدعو توم وينتر، فصوت أيام الستينيات كان هو صوت موسيقى "دو ووب"، ولكن فى السبعينيات يبدأ الحديث عن المنزل وعن عمل منزل جديد وإنشاء منزل خاص بك، وأن تلبس نفسك ملابس ذات ألوان دافئة، ثم تعود للواقع وتبدأ الانغماس فى حياتك وقد بدأ الناس فى إنجاب الأطفال مرة أخرى.

تحدثت مع بناتى فى أوقات مختلفة حول تحديد النسل، كانت نورا فى سن ١٧ ووضعت يدها على معصمى وقال مبتسمة: أنا أعرف ذلك بالفعل، بينما ضحكت كريس وقالت بغموض: حسنا، حسنا .. فهمت، اما ناتالى فقالت ـ كان هذا قبل عام فقط عندما كان عمرها ١٤ سنة ـ وهى تسند ذقنها: لا تقلقى سأهتم بهذا الأمر عندما يحين الوقت.

ولكن ينبغى على أن أبدأ التفكير جديا فى الحياة الجنسية لأليسيا ورومان، يجب أن أكون شجاعة حيال ذلك هذه المرة، وأجد بين صفحات روايتى جوا عذريا فظيعا، وعفة ليس لها أى علاقة بالجنس فى القرن الواحد والعشرين، نام رومان وأليسيا معا وذابا فى أذرع بعضهما البعض، كان الأمر ممتعا وجميلا، كان الأمر يتحول لشىء حسى كلما غاصا للأسفل، نعم حدث هذا فى لقائهما الأول، لم يسبب الواقى الذكرى مشكلة سواء لديه أو لديها، ولم يكن هناك شعور بالذنب ولا بالمحاسبة الاكتوارية، لا توجد أى أوضاع أخرى، فقط جسدان يهيمان صعودا وهبوطا مع الموسيقى النابعة عنهما وعن احتكاك الجلد والعظم والشقوق فى الجسد معا، ولكن كان الشراب الحقيقى وشهوة الجنس غائبة، يمكنك أن تقول ألا شىء من هذا سيكلف الكثير، يمكنك بالكاد أن تسمع أليسيا ورومان يتنفسان، كانت قبلاتهما لها طعم الأرض المشجرة، مثل الصابون والمياه العذبة، أمر سهل المنال ولائق وعلى استعداد للنشوة، ولكنه

صعب المنال، كان الأمر حماسيا، وكانت الرغبة موجودة عند أليسيا ورومان. ربما افتقرا للنسيان الذاتى بأن ممارسة الجنس بشكل جيد مطلوب، فالأمر يتعلق بالرغبة ثم التراجع عنها.

يعرف الكتاب الآخرون كيف يصفون المشاهد الجنسية الحية. فهم يأخذون الأمر بشكل زمنى تسلسلى للخلف، ففى البداية إزالة الملابس بهدوء وربما بعض الرقص البطىء على تسجيل قديم لسيناترا، وبعد ذلك القضم والفرك والمص ثم التشمم وتذوق الآخر ثم إعطاء الأوامر والصراخ النابع من الاستسلام، نعم، نعم .. نعم وفى النهاية "يدخل عضوه فيها" حسنا فلتأتِ إلى عزيزى ولتستمتع وكأنك فى بيتك.

لدى ثلاث بنات، وأنا بطبيعتى أنكمش بداخلى من فكرة إحراجهن فيما أنشر، فسيحدق الناس فى توم فى مدينة أورانج تاون إذا ما أخطأت، وكتبت عن السياط والجلد وغيرها؛ وقد يذهب مرضاه لطبيب آخر بدافع الشك. وعلاوة على ذلك، أنا لا أعرف الكثير عن أن جميع مكامن كينكس وجينكس، لم ترد مخيلتى أن تذهب فى هذا الاتجاه.

فلتهدئى سيدة وينترز.

إن الحديث عن الجنس مهلك وهذه هى المشكلة، فكلنا تعلمناه من التلفزيون والسينما هى من قدمه لنا، فلتفعل أى شىء بى،

خذنى أو اضغط على فأنا آتية .. كيف كان الأمر؟

لا يمكن، لا أستطيع، فقد ملأنى الاشمئزاز، ليس من الجنس ولكن من مصطلحات الجنس نفسها ، فقصص الخيال الكوميدى خفيفة، لا تعطينا خطوات بالصور لمص الحلمة والقضيب والفرج والبظر، فأليسيا امرأة حساسة وتفهم جسدها جيدا ولكنها لا تطيل الحديث عن موضوع شعر العانة، فشعر العانة ليس له أى اعتبار فى هذا الموضع، كان مسموحا لرومان أن يظهر جسده الرياضى فى السرير، فهو رجل يعزف على الترومبون، فبعد كل شىء هو يعرف عن اللجة واللعق باللسان بشكل ثلاثى، فكل من أليسيا ورومان يريدان ولديهما الرغبة، إن كلمة الرغبة كلمة سخيفة، هل تريد شيئا؟ احذف هذا.

إنهم يريدون الحنان كما يريدون العاطفة تماما، هم يتوقون للمسة ناعمة وجميلة. فهم يتوقون أن يكونوا مولعين ببعضهم البعض، وهذا ما لا أستطيع أن أقبله فى قاموس مصطلحاتى، أن يكون رحيما ومعتدلا، أن يكون كل منهم جميلا فى عين الآخر كما هو وعلى طبيعته.

والآن نحن فى أحد أيام نوفمبر، يوم ملئ بالرياح والقلق، والأشجار ترمى فروعها العارية خارج نافذتى، أغلقت جهاز الكمبيوتر الخاص بى لهذا اليوم، غير راغبة فى هذه الساعة، كانت الساعة الخامسة، أن أعطيهم ما لم يكتشفوه وحدهم.

وحينها

فى بداية كل شهر الآن، أنا أجلس فى مكتب توم وأكتب شيكا لبيوت بروميس فى تورنتو، أسمح لنفسى بأن أبكى قليلا وأنا أضع الشيك فى الغلاف وأختمه، وأكتب العنوان فى شارع باثورست، أستمر فى البكاء بينما أنا ألصق الطابع، وأبكى وأنا أسير فى الطريق إلى البريد، إن هذه الدموع تقدير للخير الشديد لأبناء الطائفة الإنجيلية فى تورنتو، والذين حولوا منذ عدة سنوات المدرسة فى الحى إلى ملجأ للمشردين. من أين ياتى مصل هذا الخير؟ أعرف أن هناك اجتماعات لا نهاية لها ودعوات للمتطوعين، ومجلس إدارة رسمى ولجنة للتمويل ومواجهات مع مجلس المدينة ومع السكان المحليين، وكل هذه الأمور البيروقراطية والأعمال الورقية التى تصاحب المشاريع الحماسية العامة؛ ولكن من أين يبدأ الخير، ومن أى تأتى بذرة الخير والفكرة المبدئية لتوفير الغذاء والمأوى للغرباء؟

يمكن أن تقول الطائفة الانجيلية إنهم يفعلون هذا اقتداء بالمسيح، على الرغم من أننى أشك فى ذلك، ليس فى هذه الأوقات الكنسية. إن المسؤولية الاجتماعية هى نوع قوى من الفضيلة تتدفق فى عروق الرجال والنساء الذين لن تتم مكافأتهم ولن يُعرَفوا على أنهم أصحاب هذه المجهودات. فرانسيس كوين المدير هو من يحصل على مرتب، ولكن مهاجع بروميس قد اجتاحها الكثير من الناس الذين يأتون ويذهبون من مكاتبهم وهى عناوين أعمالهم المهنية، ومن منازلهم التى تساوى أكثر من مليون دولار فى فورست هيل أو روزيدال أو آنيكس. نفس الأشخاص الذين يقومون بالابتهالات الكنسية، هم أيضا من يقومون بأعمال الغسل ويغسلون الشبابيك وينظفون البول والقىء، يقومون بعمل مئات من فطير الدجاج فى الطابق السفلى الكبير بالمطبخ.

حالما اكتشفنا أن نورا تقضى لياليها فى مكان ما ذهبنا لنرى هذا المكان مع توم و كريس وناتالى، اتصلنا قبلها وكان يوم السبت بعد الظهر فى أوائل مايو الماضى، كانت الأمطار تهطل بغزارة لمدة أسبوع، وعندما وصلنا إلى وسط المدينة، كان هناك رجلان يجلسان القرفصاء على سقف الطابق الثانى وكانا يحاولان ترقيع فتحة فى السقف، فى الداخل كانت فرانسيس كوين مشغولة بالهاتف، ولكنها أشارت إلى أحد المتطوعين كى يرشدنا، وهو رجل فى الخمسينيات كما خمنّا، وفى هدوء تام أرانا كنيسة صغيرة فى الطابق الأرضى،

وعنبرا للنوم لأكثر من عشرين امرأة، وكان به تشكيلة من أسرّة المخيم والتى كانت موضوعة بدقة، وكانت الجدران بها خزائن وهناك حمام مشترك. قلت لنفسى إن نورا تعيش هنا وتنام فى هذه الغرفة، كانت هناك منشفة نظيفة مطوية فى نهاية كل سرير، كانت الغرفة نظيفة، ولكن ذرات التراب كانت تسبح فى ضوء النهار القادم من الشباك، وهو هذا الغبار الذى لا يمكن إزالته، كانت الأرضية الخشبية العارية تصدر صوتا تحت الأقدام. هناك أربعون رجلا ينامون فى عنبر نوم مشابه فى الطابق العلوى، أما فى الطابق السفلى فتوجد قاعة الطعام والمطبخ، حيث يتم جمع أربع نساء حول طاولة من الخشب والصلب وهن يتعاون معا، كن رقيقات ومرحات ويتعاملن بيسر، وكل منهن ترتدى مريلة الشواء مطبوع عليها كلمة "بروميس". أخبرنا أحدهم أن التبرعات الغذائية يتم تسليمها عند المدخل الخلفى، وأتهم تسلموا اليوم طماطم معلبة ودائما ما يرحبون بالتبرعات، وهناك دائما الكثير من الهبات المقدمة من فنادق ومطاعم وسط المدينة، على الرغم من أن هذه تميل إلى أن تأتى فى اللحظة الأخيرة، والإبداع مطلوب من ناحية الطهاة المتطوعين الذين قد يتسلمون المطبخ فى الرابعة، وبقيت رائحة البطاطس والعفن فى زوايا الغرفة، ولكن كل سطح كان نظيفا، ربما تكون هذه رائحة منظفات الأطباق أو شيئا أقوى انتشر فى الهواء. تحدثت النساء عن كيفية قضاء الكثير من الوقت فى معرفة طرق إعادة الحياة

للخبز القديم ، وكانت لديهن العديد من الحيل، وهذا سبب ذكر إعادة الحياة للخبز المرسل من أشخاص مجهولين. وأشاروا إلى شاشة التلفزيون الضخمة التى حصلوا عليها مؤخرا فى قاعة الطعام، وهى هدية من تاجر عقارات كبير فى المدينة. فى الساعة السادسة يتم فتح أبواب النزل حتى المساء، وفى الشتاء من الساعة الخامسة، ويتم إطفاء الأنوار فى الحادية عشرة، ويتوقع أن يكون الجميع فى الشارع فى الثامنة والنصف بعد وجبة الإفطار الساخنة. لم يكن مسموحا بالكحول أو المخدرات، ولكن بطبيعة الحال كان هناك من يكسرون القواعد، وفى الطابق العلوى توجد امرأة تعزف على البيانو وتغنى بزهو، وكانت تكرر نفس السطرين عدة مرات لتتدرب وكانت توقف نفسها وتبدأ من جديد، وعند هذه النقطة سحبت كريستين يدها من يدى، على الرغم من أنها كانت فتاة صغيرة.

بعد الجولة تمشينا حيث تركنا سيارتنا وركبناها وانطلقنا، كانت السماء لا تزال تمطر، وجلست الفتاتان فى المقعد الخلفى فى صمت، لم أحتمل أن أدير رأسى كى أنظر إليهما، جلس توم خلف عجلة القيادة وهو يربط حزام الأمان، ولكنه لم يتحرك بالسيارة على الفور. جلسنا نشاهد الأمطار المتدفقة على الزجاج الأمامى، ونظرنا إلى الشارع الطويل الضيق المليء بالمنازل بأفنيتها الأمامية الصغيرة وصناديق إعادة التدوير الزرقاء، كانت أشجار عارية من

أوراقها، أحب هذه الأشجار الخضراء الشاحبة الضبابية كثيرا، وضعت أطراف أصابعى على ركبة توم برفق، وفجأة تحرك وهو يغطى وجهه بيديه، بدأت ناتالى فى المقعد الخلفى بالبكاء وبعدها بكينا جميعا.

بالرغم من ذلك

على الرغم من كل شىء، استمررت فى العمل على الرواية، فدائما ما نأخذ بعض القرارات، هل لدى أليسيا كلب أو قطة أو أى شىء؟ اتخذت قرارا بأن تمتلك قطا يدعى "كستنائى". قط عجوز يرى بعين واحد فقط. أليسيا ليست مغرمة بالقطط، ومع ذلك فهى تهمل كستنائى وهو يعرف ذلك.

اتصلت بى سكرتيرة السيد سكريبانو، وقالت بلهجة جادة للغاية كيف يتطلعون إلى رؤية مخطط روايتى، وكم أن السيد سكريبانو كان يعول عليها كى تكون على قمة قائمة كتب العام المقبل، ويودون لو يكونوا قادرين على ذكرها فى كتالوج الربيع، كانوا يريدون فقط العنوان ووصفا موجزا، ووصفت الأمر بالدعابة، لم يكن هناك أى سبب للخوف من أن وفاة السيد سكريبانو من شأنه أن يعرض شركته القديمة والراسخة للخطر، كانوا على وشك تعيين محرر جديد على، ووعدتنى بأن تبقينى على اطلاع بالجديد.

استمررنا فى الاستماع إلى الأخبار، لدى توم وأنا آراؤنا بشأن الأخبار والتى نعبر عنها، على الرغم من أننا نعرف كيف تسير الأحداث السياسية الواضحة بشكل غير منطقى، فالناس يدخلون ويخرجون من العالم، وهذه هى الأخبار الحقيقية، أما باقى الأخبار فهى غير مهمة مثل القشرة التى تترك فى طويات العين أو الفم. أربكت نتائج الانتخابات الأمريكية الجميع، ففى هذه الأمة العظيمة قد حسم القرار الرئاسى بفارق ٢٠٠ شخص فى ولاية فلوريدا، مائتا شخص يمكن أن يتجمعوا معا فى المكتبة العامة بأورانج تاون كيف يمكن أن يكون الأمر؟ ماذا عن الدستور الأمريكى القديم الذى يفخرون به، بنظامه التى بشَّرَ كثيرا بالضوابط والتوازنات؟ ظهرت جانيت رينو على شاشة التلفزيون، وكانت تقول شيئا عن أن كل صوت مهم وهذا يثبت أن الديمقراطية مطبقة. ولكن مهلا، إنها غير مطبقة سيدة رينو، إنها شىء نتحدث عنه مثل الجروح البسيطة والدمامل فى الجسد، بحثت ناتالى عن كلمة chads فى القاموس ووجدتها، فلطالما كانت هناك طوال الوقت، وقالت كريس انها كلمة تعنى الخربشة.

كل منهما تذاكر للامتحانات، ليس لمجرد أن شقيقتهما الكبرى تعيش حياة مهجورة، فهذا يعنى أنه لن يكون هناك امتحانات، فهما يدرسان الفرنسية والتاريخ والرياضيات وفنون اللغة، هذه وحشية: فجدول الامتحانات تم وضعه، وجورج دبليو بوش أصبح موجودا،

والسيد سكريبانو سقط من على الدرج للأسفل، والناس يحجزون الرحلات الجوية لقضاء عطلة عيد الميلاد، ودانيال ويسترمان تتهمنى بعدم الحزن الكافى، وأنا أمسح بهدوء المطبخ بعد العشاء بفطيرة شيبرد (فطير الراعى) وسلطة السبانخ، وفى نفس الوقت أحبك ما ستقوله أليسيا لرومان حول الحاجة إلى إلغاء حفل الزفاف، ومراقبة الجو فى الخارج والثلوج المتساقطة والانحرافات التى تبنى جدرانا منحوتة بشكل كثيف أمام الجانب الشمالى الجانب من منزلنا، أما توم فيجلس فى كرسيه المفضل وهو يقرأ كتابا جديدا وصله بالبريد حول التريلوبيت، لا تزال الرياح تهب، وأنا ما زلت أنا، وأعتقد أنه من الصعب والأصعب أن تنطق هذا الضمير البسيط وأن تحافظ على رباطة الجأش.

فى هذه الأثناء

فى وقت مبكر كنا نظن أن مشكلة نورا هى مشكلة مع حبيبها، وبن أبوت فتى حقا، وله وجه فتى وطويل ونحيف، كان هو من أحبته نورا فى البداية، وكنت أشك فى هذا وكتفاه كانا نحيفين ورقبته نحيفة، وأضلعه تبرز من سرواله الجينز، بالكاد يغطيه اللحم، وإذا كان لديه هالة ستكون ملونة باللون الطوبى، وعندما يبلغ الثلاثين سيكون قد اكتسب مرونة وجسدا أكبر لممارسة الجنس، ولكنه الآن متسرع وسريع التعصب، ويبدو دائما على استعداد لينزعج بسبب جسده، وهو يعتبر غرابته جزءا من شبابه، لم أره قط حتى الآن وهو يجلس على كرسى فى حالة استرخاء، هو طويل ويمكنه الرؤية من أعلى وعيناه متيقظتان وفمه له فتحة صغيرة، هو فتى شديد الانتباه وله فم جشع.

نحن نعيش فى عصر الطفولة الطويلة، ولا أحد يتوقع بطولة من طفل فى سن ٢٢ لا يزال طالبا، والذى لا يزال يتلقى مبالغ شهرية

من والديه فى ساداري، ولا يزال يعيش فى شقة طالب غير مرتبة، درجاته فى الفلسفة دائما عالية وهو يعمل بكد، ولكنه أعمى بسبب هذا الظلام الذى يمثله العمل حقا، وعلى استعداد أن يؤخره لأطول وقت ممكن وهو يفكر بالعمل على درجة الدكتوراه، ثم ربما مرحلة ما بعد الدكتوراه.

تقابل هو ونورا فى حفلة لصديق بعد وقت قصير من الوصول لسن ١٨، وانجذب لها على الفور، كانت نورا ذكية وجميلة وجذابة، وبمجرد أن تنظر إلى وجهها مرة واحدة ستعرف أنها من الناس المحظوظة، هكذا تعيش الناس المحظوظة، جزء مع حب العائلة، تتعلم تعليما جيدا وهى ممتنة وليست شخصية سيئة، وهذه الناس المحظوظة قادرة على أن تفرد رغباتها بطريقتها، وبهذه الطريقة يمكنهم تجنب العصبية، ويمكنها أن تقرأ أو تركب الخيل أو تلعب كرة السلة أو تعزف على البيانو أو أن تطهو، الناس المحظوظة ليست ملزمة بأن يكون لديها دهاء، فهم يمتلكون حسا سليما وتوازنا بشكل طبيعى، وعندما يأتون فى النهاية فى مواجهة الحياة الجنسية، فهم يقبلون بها كابتزاز لأجسامهم، وهم يفهمون فى آن واحد أنه قربان وأنه أحد أعظم الهدايا التى ستُعطَى لهم.

بن ونورا رأيا بعضهما البعض مرتين أو ثلاثا ولم يفترقا بعدها.

بعد أن اختفت نورا، فى تلك الأيام المخيفة فى أبريل بعد أن اكتشفنا أنها ذهبت لتقيم بشكل يومى فى باثورست وبلور، ذهبت

لرؤية بن، كان توم وأنا مضطربين من القلق، وبدا أن بن هو الشخص الأكثر منطقية كى نسأله، لم أهاتفه فورا، ولكنى ذهبت ببساطة إلى تورنتو، وأوقفت السيارة فى شارع جانبى، وقرعت جرس الشقة فى الطابق السفلى.

لماذا سيتواجد شاب فى سن ٢٣ فى المنزل فى منتصف ما بعد الظهر، إنها الساعة الثالثة بعد الظهر؟ من يدرى لماذا، ولكنه كان موجودا، جاء إلى الباب وهو أشعث، وبدا وكأنه كان نائما. لم نتصافح أو نتبادل الأحضان، نظرنا فقط إلى وجوه بعضنا البعض، ثم أنحنى برعونة وهو يومئ إلى بأن أدخل.

كان الهواء ضبابيا ودخل فقط القليل من الضوء الطبيعى من النوافذ الصغيرة التى فى مستوى الشارع. كانت الغرفة قديمة للغاية، كان يمكن أن تكون شقة طالب من الجيل الذى أنتمى إليه، مكانا به بلاستيك ممزق، وقماش أثاث بال، وملصقات على الحوائط، ورزم من الكتب والأوراق، وهناك غبار فى الجو. غرق هو فى أريكة قديمة لجيش الخلاص، وأراح مرفقيه على ركبتيه، وضم أطراف أصابعه معا، تلك الأصابع الحادة والمشذبة التى فاجئنى بها فى الاجتماع الأول، كان شخصا ذا جسد شهوانى غريب.

أمسكت نفسى على حافة الرفض مع بن، وكانت لدى رغبة فى اختيار مشاعره الرقيقة، ثم فكرت: إنه شاب ولقد ذاق طعم الخيبة، ولديه صديقة قد يكون يحبها أو لا، وتركته لتعيش فى الشارع، لقد

استثمرا أكثر من عام فى الشعور ببعضهما، عام من استيعاب هذا الأمر الخيالى، هذه أمور لمن وصلوا سن الشيخوخة وليست لشاب لديه شوق للرضا وإيمان بأنه سيحصل على ما يستحقه. لقد اقترب من الحب بطبيعته كشاب يشعر بالعجب مما حوله والامتنان، فقط ليجد انسحابها المفاجئ.

قال لى: "لقد تغيرت، فخلال بضعة أسابيع فى أواخر يناير وفبراير ومارس، كانت سريعة الغضب وبعدها كانت تهدأ، كانت تكره أستاذها الدكتور هاميلتون لبعض الأسباب، وسألتها عما فعله الرجل وإذا ما كان حاول أن يقترب منها أو يغريها، وكانت غاضبة لأننى فكرت فى شىء من هذا القبيل، وأن هذا هو ما كان يمكن أن يحدث لى، أذى جنسى مثلا. وبدأت تنظر لى تلك النظرات الطويلة الحادة، وأنتِ تعرفينها، نظرات دقيقة للغاية وكأنها اكتشفت فجأة أننى أحمق أو شىء من هذا القبيل، وبعدها رحلت، فى أحد أيام الأسبوع الماضى بعد الظهر، ظننت أنها ذاهبة إلى Honest Ed's، ولكنها لم تعد، ومعظم حاجاتها لا تزال هنا وتوقفت عن الذهاب للمحاضرات منذ مارس، كانت تتجول فقط حول الشقة وهى تقرأ أو تحدق فى الفضاء، كنت لأهاتفك بعد أن رحلت، ولكننى ظننت أنها ذهبت للمنزل وأنها معكِ، كانت تفكر فى الخير والشر والأذى الذى تتعرض له الأرض وأمور من هذا القبيل، وبعدها بيومين جاءت فتاة أعرفها وقالت إنها رأت نورا تستجدى الناس فى

باثورست وبلور ولم أصدق ما قالت، فذهبت بنفسى لألقى نظرة عليها وكانت هناك تحمل تلك العلامة وتجلس على جانب الطريق، فذهبت إليها وقلت "ماذا تفعلين يا نورا، ولماذا كل هذا؟"

شاهدته يتكئ على وسائد الأريكة الممزقة، وبدأ فى التنهد بارتياح، وبعدها صرخ صرخة طويلة وقوية لن أنساها ما حييت، انهمرت الدموع على وجهه ولم يبذل أى جهد لمسحها، وضع يديه دون جدوى على بنطاله الجينز، أردت أن أذهب إليه وأضربه على يديه، ولكن لم أستطع ولم أفعل، أعلم أن الأمر ليس ذنبه، فهو طفل فقير، ولكنى شعرت بأننى قاسية للغاية، شعرت بالرغبة القوية فى اللوم، جلست هناك فقط وشاهدته يبكى، شعرت أن آمالى تتلاشى وتسحقنى بثقلها، عرفت الآن أنه كان صحيحا، لم يعد هناك أى شىء يمكن أن أفعله لإنقاذ نورا من نفسها.

بعد ذلك

كم عمر أليسيا بطلة روايتى؟ هذه المسألة بالغة الأهمية، فهى تعيش فى مدينة ويشوود الكبيرة، وهى محررة لمجلة موضة ومن المفترض أن تتزوج من رومان، الذى يبلغ من العمر ثمانية وثلاثين عاما، وحفل الزفاف على بُعد أسابيع وهذا هو زواجها الثانى، وقد عاشت لفترات قصيرة من الوقت مع رجلين آخرين، أردت لها أن تظل رزينة وذكية، رغم أنها صغيرة كى تستثار حماستها، فهى مفعمة بالحيوية والنشاط أكثر منها مرحة، وامرأة يقظة تفهم بالفعل أن الكون غير كاف، لقد كانت سنها أربعة وثلاثين عاما فى الرواية الأولى قبل عامين، والآن سأجعل عمرها ستة وثلاثين، وسن الأربعين ينتظرها، وهى على وعى جيد بذلك ولكنها ليست خائفة منه، ربما تنفق الكثير من المال على المنتجات الجلدية ذات الجودة العالية، على الرغم من أنها تعرف الغش فى صناعة مستحضرات التجميل، هناك شىء محكم فى تصرفاتها، ولكنها حتى الآن لا تعرف هذا.

هل تتحدث عن قصتها الشخصية؟ أو بعبارة أخرى، هل سيكون السرد من البطل نفسه؟ نعم ولسبب واخد، وهو أن روايتى My Thyme Is UP بها سرد البطل نفسه، ويجب أن تكون التتمة متسقة فى مثل هذه الأمور، صوتها المثير للسخرية والتساؤل فضفاض وبه حميمية، فضفاض صوتها، ولكن به حميمية قوية للغاية، إنها ليست خجولة من أنها بعيدة عن شرائح واسعة من الثقافة الشعبية، ربما تقول "سحقا" إذا تعثرت وجرحت ركبتها، ولكنها لن تصف شخصا أو شيئا بأنه "مقرف" تحت أى ظرف من الظروف، وهنا حيث تظهر رقتها فى مفرداتها، ربما يسمى بعض الناس هذا تشددا، وهى شخصية محبة للموسيقى وتعزف على البيانو قليلا، وذات مرة عزفت على الناى بشكل معقول، وحصلت على شهادتها فى الصحافة من كولومبيا وكان متوسط درجاتها A ـ. (ربما كانت لتحصل على درجات أفضل إذا ما أحبت الرجال أقل)، وهى ترتدى ملابس تشبه الشال وسترات فضفاضة، وتنانير طويلة وحريرا ثقيلا وجواهر فضية نحيفة وأقراطا جميلة.

هى لا تستطيع أن تكون جميلة بشكل مذهل، وأن تمتلك شخصية متكاملة، وكان هذا واضحا فى الرواية الأولى، فأدب الخيال يستبعد الكمال الجسدى، فغير مسموح لنا أن نمدح فى رجالنا ونسائنا بشكل استثنائى، أما الروايات الرومانسية من ناحية أخرى قادرة على ملء صفحاتها بعشرات النساء الجميلات

اللافتات للنظر، وتسمح الروايات الأدبية بوجود بطلة واحدة ذات جمال نادر، واحدة فقط. عن الأدب الساخر قريب من الحياة الواقعية، حينما يختلط الواقع بالخيال قد يشوبه بعض النواقص، وربما كانت دائما تلك طبيعة من يملكون أنفا طويلا إلى حد ما، وذقنا أصغر من المعتاد وربما ليس من الضرورى التطرق إلى عيوب أخرى مثل المؤخرة الضخمة أو الكتفين ذوى المظهر الرجولى، أو حقيقة امتلاكها عينا أكبر من الأخرى، بالرغم من أن الصدر قد يكون بهذا الحجم الصغير أو أكبر قليلا من المعتاد، ما كنت أريده لأليسيا أن تمتلك مسحة من الجمال، أريد أن أنقل هذا الجمال دون الكثير من التفاصيل.

هل تؤمن بالله؟ لا، على الرغم من تربيتها الدينية، إن الله وابنه مجرد استعارات، ربما يمثلان الخلق والتجديد، وصلت هذه الدرجة من اليقين إلى ذروتها، عندما كان عمرها اقترب من العشرين، كانت تجلس فى مقعد بالكنيسة مع والديها ويقرؤون عقيدة نيسين، إنها لا تتحدث عنها تقريبا فهو شئ غير مهم فى حياتها إطلاقا، وهنا تراودنا قضية الإيمان أو الكفر، ولم تكن قد تطرقت هى وروما ن للموضوع، فهناك موضوع مهم لم يتحدثا عنه، وقد بدأ هذا يقلقها قليلا.

هل تريد طفلا منه لها؟ نعم ولكن بيأس وبشكل غير واضح. هل ترى نفسها تفك أزرار قميصها وتلقم ثديها لطفل جائع؟ حسنا، لا،

فهى لم تذهب بتفكيرها إلى هذا المدى، ولكن فتاة صغيرة ستكون جميلة، أو ولدا صغيرا، إن جنس المولود لا يهم كثيرا، من المفترض أنها ستستمر فى العمل بالمجلة، بعد أن تقضى وقتا قصيرا فى المنزل، ستة أشهر أو نحو ذلك، لقد بدأت للتو سلسلة جديدة شهرية عن الإكسسوارات، وهى الآن تبحث فى تاريخ الحقائب النسائية، إنه أمر مدهش حقا. لقد بدأ الأمر كله بالسلسلة التى توضع على حزام المرأة من القرون الوسطى، ومديرة المنزل الهائمة تحتاج إلى شىء كى تحمل فيه مفاتيحها وحساباتها الداخلية، ومن الحقيقى أنك ترى كثيرا مريم العذراء فى رسومات على المحفظة الصغيرة على الأرض بجانب كرسيها، ولكن على الأرجح هذا شىء عفىّ عليه الزمن، كما قالت أليسيا لرومان بالأمس بينما يتناولان العشاء فى مطعم موريس، وقد تناولا اللحم والبطاطس وزجاجة جيدة من النبيذ الأحمر.

وقال باندهاش ""وماذا؟"، لم يعد يستمع إليها، ورمقته بنظرة طويلة وقاسية.

قالت وهى تقاطعه "لا تهتم"، ثم ضربته على يده، يعمل رومان عازف ترومبون فى سيمفونية (ملاحظة لنفسى: معرفة المزيد عن الترومبون)، لقد كانت وظيفة رومان غامضة بالنسبة لى فى المرة الأولى، وهو يشكو أحيانا أن عالم أليسيا الخاص بالكتابة ضيق

وفطرى، ونسى أنه هو وزملاءه الموسيقيين يشكلون مجموعة فرعية منغلقة وذات مرجعية ذاتية.

أنا أيضا على علم بأننى فى مياه راكدة، كاتبة تكتب عن كاتبة تعمل بالكتابة، أعلم جيدا أنه يجب على أن أكتب عن أطباء الأسنان وسائقى الحافلات ومضرمى الأظافر، وهؤلاء الناس الذين يصممون أسرّة من ثمانى طبقات، ولكن لا فأنا أركز على بدايات الكتابة أو "الضعف طويل الأمد" وهى جملة لفرانسيس كورنفورد، عن حياة نقضيها فى لصق الكلمات الصغيرة بالكبيرة فى صفحات فارغة. قد ندعى غير ذلك، ولكن بالنسبة للكثير من الكتاب هذه هى أغنى منطقة يمكن أن نتصورها، هناك الروائيون الذين يعانون من حجب أبطالهم فى ثياب فضفاضة، ليحولوهم إلى رسامين أو مهندسين معماريين، ولكن هذا لا يخدع أحدا، فهذه الأمور مهمة، إعادة صياغة هذا العالم الذى لا يمكن الدفاع عنه بجرة قلم، إن هذا أمر مهم للغاية ولا يمكننى التوقف عنه.

بصعوبة

ليس الأمر أنى أكتب بقلم جاف، وليس أنى أعرف أى شخص يفعل هذا فى هذه الأيام، ولكن لا تزال هناك بعض الرومانسية متعلقة بفكرة القلم الحبر، ويشهد زورا على استقلالية الكاتب الأساسية وحريته، لا يوجد من هو مستعد تماما للتخلى عن الصورة المجازية للقلم والورقة، كنت أفكر فى هذه الأفكار عندما رن جرس هاتف المطبخ فى وقت مبكر من صباح أحد أيام نوفمبر.

قال رجل ذو صوت رنان "من فضلك أود التحدث إلى السيدة ريتا وينترز"

أجبت وأنا أمسك سماعة الهاتف بيدى اليسرى وأفرغ غسالة الصحون بالأخرى "نعم أنا ريتا"

فسألنى الصوت الرنان قائلا "هل اتصلت فى وقت غير مناسب، هل لا تزالين تتناولين الإفطار؟"

فأجبته بعدما توقفت عن العبث بالصحون قائلة "لا بل الوقت مناسب"

فأجاب بصوت رجولى عميق ذى نغمة موسيقية رقيقة "اتصلت فقط كى أعرفك بنفسى، اسمى آرثر سبرينجر من سكريبانو ولورانس وإنه لشرف عظيم سيدة وينترز أن اكون المحرر الجديد الخاص بك"

فأجبت وأنا شاعرة بسرور قائلة: "آها، حسنا انه لشئ لطيف أن تتصل بى لتعرفنى بنفسك سيد سبيرنجرز". وقد أثارت كياسته المهنية إعجابى.

"أتمنى أن تنادينى بآرثر عندما نعرف بعضنا بشكل أفضل"

"حسنا يجب أن تتصل بى .."

"انه لمن دواعى سرورى، وأنا سعيد انك تشعرين بهذا وذلك سيمنح عملنا بداية طيبة، وأود هنا أن أقول إننى أعرف أنه لا يمكننى أن أبدأ بأن أحل محل السيد سكريبانو"

يالها من مأساة..."

"وأريد أن أخبرك يا ريتا أن السيد سكريبانو كان سعيدا بعملك على روايتك الثانية المتممة لرواية My thyme Is Up، لقد أخبرنى بهذا قبيل وفاته بأيام قليلة"

هل قال ذلك حقا؟ لطالما كان طيبا ومشجعا"

"أكن له كل الاحترام كإنسان ومحرر، لقد عملت مع الشركة منذ بداية العام الماضى، ولقد كنت محظوظة بأن أتعلم منه الكثير بالرغم من أننا من جيلين مختلفين ولكل منا نهجه المنفصل، فنهجى الخاص يعتمد على الحوار وتدريبى كان أصلا بجامعة ييل ثم جامعة بيركلى."

"حسنا إذا..."

"هل يمكنك الآن أن تعطينى أى فكرة عن موعد قدومك لنيويورك".

"حسنا .."

"أعتقد أنه لمن الضرورى أن نجلس سويا لمراجعة مخطوطة الرواية، فأنا أحب المراجعة الدقيقة، وعلى عكس الكثير من أقرانى المعاصرين، فأنا لا أثق كثيرا فى التواصل عبر البريد الإليكترونى أو الهاتف".

فقلت له "ولكن لا توجد مخطوطة للرواية بهذا المعنى" أجبته بينما كنت أفرغ غسالة الأطباق من محتوياتها، ولكن بهدوء هذه المرة حاملة الأطباق واحدا تلو الآخر واضعة إياها على الرف ثم أضفت قائلة "المخطوطة فى الطريق ولكن ليس بهذه السرعة"

"كم تبقى لكِ من حيث النسبة المئوية؟"

"أعتذر.. فأنا لم.."

"هل أنتِ في منتصف الطريق يا ريتا أم في ثلاثة أرباعه؟ أم ماذا؟

"حسنا فأنا لست متأكدة، ولكن على أى حال فأنا أخشى أنه لا توجد خطة كى آتى لنيويورك، ليس فى المستقبل القريب".

"حسنا فلترسلى لى ما انتهيت منه حتى الآن".

"أعتقد أنه لا يمكننى فعل ذلك، فأنت تعرف أن ما كتبته على الورق أو على الحاسوب لا يزال غير واضح كما تعلم.."

"أؤكد لكِ يا ريتا أنى اقدر حقيقة أن المسودة ستظل مسودة، وهذه أحد أول الأشياء التى يجب أن يتفهمها المحرر الأدبى".

"لا أعرف كيف سيمكننى.."

"انظرى يا ريتا، سأعطيك رقم الإيداع، هل معك قلم رصاص؟ كل ما عليك فعله هو أن تحزمى الأوراق، وسأتصل بك وأقوم بعمل الترتيبات كى أرسل أحدهم ليأخذها". ماذا عن بعد الظهر؟ فنحن نأمل أن تكون روايتك فى مطبوعات الخريف، مما يعنى أنه يجب أن نتحرك بسرعة، وستجديننى محررا أُقَدِر الأمور جيدا، فأنا أحب أن أخرج أفضل ما فى الكاتب، هل قرأتِ Daring Buds، هو أحد كتبى".

"Daring Buds؟"

"سأرسل لك نسخة الآن".

"آها، سيكون ذلك ..."

"هناك شيء واحد فقط أريد أن أقوله يا ريتا قبل أن نقول وداعا، أنا أحب أليسيا، أليسيا التى كتبتها، أريدك أن تعرفى أن التفانى لها من جهتى لا حدود له، فأنا منجذب لها بشكل فطرى، لقد قرأت My Thyme Is Up عدة مرات وفى كل مرة أحبها أكثر، هناك جودة ذهبية فيها، كما لو كانت ورقة الخريف الذهبية بين ورقات ذهبية أخرى أقل منها، لقد فكرت وفكرت فيما جذبنى لأليسيا، ليس حسها، وليس لأنها غير متواجدة بقوة فى هذا الجزء على أقل تقدير، طريقتها فى الجلوس بثبات على الكرسى، الجلوس فقط ، وكرمها الذى هو جزء منها، وتسامحها أيضا، ولكن ما جعلنى أريد حقا أن أضمها بين ذراعى هو الخير فيها".

"عذرا لم أسمع ما قلته سيد سبرينجر، هل قلت ....؟"

"الخير فيها، الخير الإنسانى العميق بداخلها".

"آها الخير"

"نعم الخير"

"هذا ما ظننت إنك قلته"

منذ ذلك الحين

قال بعض الناس عندما ذهبت نورا لباثورست وبلور "رتبوا لخطفها ثم أبطلوا تأثير ما حدث عليها بشكل احترافى".

وقالت سالى "هل استدعاها البوليس ليحقق معها، لقد رأوا الكثير من هذه الحالات ويعرفون كيف يتعاملون معها".

قالت صديقات أخريات مثل لين وآنيت "استخدموا معها القوة الصغيرة، فإذا أخذتِها أنتِ وتوم ووضعتماها فى السيارة عنوة وأحضرتماها للمنزل، ربما تعيد الصدمة إليها رشدها، وهذا هو ما تحتاجه كى تنهى هذا الوهم بداخلها، هى تحتاج لصدمة". لقد جربت هذا ذات مرة، فركنت سيارتى بالقرب منها فى باثورست بشكل غير قانونى، وخرجت من السيارة وشددتها فصرخت بشدة وسحبت نفسها من بين يدى، وشعرت بأن قفازها ينخلع من يدها وكأنها أمسكت بشىء ملتهب أو أمسكت بفحم محترق، وبدأ حينها

الناس فى التجمع وعدت للسيارة سريعا وابتعدت، فلتسامحينى يا نورا، أرجوكِ.

قالت لنا فرانسيس كوين من فندق بروميس "إنها بصحة جيدة حاليا، ويبدو أنها عاقلة ولكن لم نحدد أى شىء آخر بعد ذلك، لقد عرضت عليها الاستشارة ولكن يبدو أنها تعرف جيدا ما تفعله، إنها لم تبلغ العشرين من عمرها بعد، ولذلك فالوقت فى صالحها، لقد رأيت حالات مستعصية وعنيدة من قبل ولكن فى النهاية يستسلمون ويخضعون ".

وأخبرتنى صديقة، ويمكن القول إنها إحدى معارفى، قائلة: "إنكم قلقون بلا داعى، فالأمر ليس كبيرا، إنها مجرد طفلة تقضى موسما فى الشارع وهذا أمر عادة ما يحدث".

نصحنا الدكتور ديفيد مكلو، الطبيب النفسى الذى استشرناه ألا نتدخل فى الأمر، وقال: "تصرفاتها تدل على أنها تعطى لنفسها شيئا، تهدى نفسها الحرية والحق فى أن تكون غائبة داخل حياتها الخاصة. قد لا تعتقدون ذلك، لكنها قامت بعمل ترتيبات عملية للبقاء على قيد الحياة، فالتشرد قد يكون مدروسا أو مهملا، وقد اختارت الأولى. وفى النهاية فهى ذكية، والذكاء هو ما سيعبر بها من هذه الأزمة، لقد قلت الأزمة، ولكن هذه ليست حقا الكلمة التى كان يجب على استخدامها، إن الأمر يتعلق بطبيعتها فى أنها تريد أن تأخذ قسطا من الراحة والتى عن طريقها تهرب من شىء لا يطاق إما أنها تعانق شيئا مقدسا".

"ماذا تعتقد فى هذا الأمر؟"

"هذا سؤال لا إجابة له".

فقالت ابنتنا كريس: "ماذا حدث؟ ما الشيء الفظيع الذى حدث لها؟ يجب أن يكون هناك شيء ما".

وقالت ناتالى: "لا أصدق الأمر، ولن أصدقه أبدا، لم تكن لتفعل هذا إذا كانت فى كامل قواها العقلية".

وقالت حماتى لويس: "لا أستطيع تحمل هذا، ليست نورا، لا ليست نورا".

وقالت ويلو هاليداى: "لطالما سمعت أن من يتسولون فى الشوارع محتالون، وأنهم يكسبون أموالا كثيرة، بضع مئات من الدولارات يوميا ومنهم من يحمل هواتف محمولة، ولقد رأيت ذلك بنفسى فى تورونتو".

هل حكيت عن مدى الصعوبة التى واجهتها فى إيجاد ويلو هاليداى والدة إحدى صديقات نورا؟ ويلو طباخة رائعة وقد قالت لى عشرات المرات - أعتقد أنى أبالغ وأنها أخبرتنى مرات قليلة فقط- أنها تقرأ كتب الطبخ كما يقرأ الآخرون الروايات. وكدت أقول "ولكن ألن تستمتعى أكثر بقراءة رواية؟"، ولكنى لم أفعل بالطبع.

تراسى هاليداى، فتاة شعبية مولعة بالخيل، وهى صديقة لنورا منذ الطفولة، وهى من أرشدت نورا على طريق باثورست وبلور بمساعدة صديقة أخرى، حيث قدما لنورا جرة ضخمة من الرخام (كانت ناتالى وكريس هناك وأخبرانا أنا وتوم بالحادثة) ركعت تراسى وصاحت فى أذن نورا موضحة أن كل قطعة من الرخام تمثل يوم السبت، وأنه لو عاشت نورا حتى سن الثمانين، فإنها ستتمتع بـ ٤١٦٠ يوما مذهلا، وبطبيعة الحال وهى تقترب من سن العشرين فمن المؤكد أنها استخدمت بعضا منها فى صباح يوم السبت، ولكن لا يزال معها أكثر من ٢٦٠٠ قطعة متبقية، وإذا أخذت واحدة منها كل أسبوع، فسترى أن مخزونها يقل ببطء، وستبدأ فى تقييم الوقت وحياتها الخاصة.

عندما أحاول تخيل تراسى وهى تنظر إلى نورا، أفهم أنها لا ترى أحدا، فللحظة كنت أنا نورا، نورا الناسكة، نورا المنبوذة، ارتعدت من فكرة ما قد تظنه تراسى عنى.

نورا الحقيقية فشلت فى أن ترد، كانت تجلس طوال اليوم مع جرة الرخام بجوارها، وتركتها هناك عندما عادت إلى السكن فى تلك الليلة، وعلى ما يبدو أنها اختفت فى الصباح، لست متأكدة عما أظنه فيما يخص هذا الأمر، أخبرنى أحدهم أن فكرة الرخام انتشرت عبر الإنترنت، كان الناس يهيمون على وجوههم فى الإنترنت من أجل اللهو والتسلية، وبدلا من ذلك حصلوا على بعض

من الواقع الأليم والإلهام العاصف حول روعة الحياة، هل موضوع عد قطع الرخام هذا وصفة لقضاء وقت جيد، أم هو تذكير قاطع بأن ذلك الوقت لا يمكن أن يعيد نفسه مهما تمنينا ذلك؟

يمكننى ألا أرى إيما ألين لمدة شهور، الصحفية فى سانت جونز نيوفاوندلاند، ولكن خمس دقائق فقط فى حضورها أقنعتنى أنها الشخص الوحيد فى العالم الذى يمكننى إخباره كل شىء. قالت لى إيما عندما مرت على فى الأسبوع الماضى "نورا على قيد الحياة"، لقد مات ابنها بجرعة زائدة من الهيروين فى سن الثانية والعشرين، وأكملت إيما قائلة "أطرافها سليمة، ولم تشوه نفسها أو حتى حلقت شعرها، وليست فى حالة سكر، وعلى الأرجح لا تتعاطى المخدرات وهى لا تشتم أو تبصق على الغرباء، وأنت كوالدتها تعرفين أين تمكث نورا وتعرفين بعضا من عاداتها اليومية، هذا هو الشىء الذى يجب أن تتذكريه، وهو أنكِ ما زلتِ متصلة بها من حيث الوقت والمكان".

وقال البروفيسور هاميلتون الذى يدرس دورة فلوبير التى التحقت بها نورا: "كانت طالبة ممتازة حتى توقفت عن المجىء إلى الصف، لم يكن هذا بوقت طويل قبل الامتحانات، لقد أتت المحاضرة التى كانت بتاريخ ٢٨ مارس وتقريبا أنا متأكد من هذا، ولكن كما تعلمون فالكثير من الطلاب يفشلون عندما يبدأ الجو فى التحسن، لطالما كانت فى حالة تأهب ودائمة الاستفسار. حسنا،

لقد كانت لدينا مشادة أو اثنتان، وأنت تعرفين كيف تسير الأمور هذه الأيام، فهل يمكن أن يتخيل فلوبير نفسه فى حياة المرأة؟ كانت هذه هى القضية التى انقسم حولها الفصل، وهذا هو ما يحدث كل عام، فنورا ترى بوفوار كامرأة متملقة ومثالية بسبب فلوبير، ثم أصبحت رومانسية وغير قادرة على أى شىء غير أن تشكل قلبها اللين، هذه هى رؤية ابنتك نورا وهى وجهة نظر قابل للتطبيق بشكل ممتاز، وهو أن السيدة بوفوار اضطرت للتخلى عن مكانها باعتبارها المركز الرئيسى للأخلاق فى الرواية، ولا أحتاج أن أقول إن الآخرين عارضوها".

لم يقل توم ذلك، لكنه فى بعض الأحيان يشير إلى أن نورا تتلاعب بنا أو أنها تعاقبنا لسبب ما. قاومت هذا التفسير. يذهب توم صباح كل يوم جمعة لرؤيتها فى الطريق إلى اجتماعه الخاص بأبحاث التريلوبيت، وهو فقط مجرد عضو خبير فى هذه المجموعة الصغيرة بجامعة تورنتو، لقد يئس من التحدث معها، والآن يجلس معها فقط لمدة نصف ساعة على كرسى يأخذه معه دائما لهذا الغرض، ويضع لها بعض المال فى مظروف، كان يضع لها نقودا وليس شيكا، تعيش نورا خارج نطاق الشيكات والبنوك والتوقيعات، بالرغم من أن هناك بنكا فى الزاوية التى تجلس بها، وبنكا آخر عبر الشارع. فكر توم وهو يفكر فى العشرينات من عمره: هل تتلاعب بنا؟

أرسلت لى صديقة قديمة من أيام المدرسة جوابا، وتدعى جيما والش وهى عضو نشط فى الكنيسة المتحدة، لتخبرنى أن اسم نورا تمت إضافته على قائمة كل الصلوات فى أونتاريو، رددت عليها بخالص شكرى، وكنت أعنى هذا بكل صدق، لم أكن أعرف أنى أمتلك كل هذا العمق من المصداقية بداخلى، ظننت أن الصدق انمحى مع جيلنا، وأنه اختفى مع خيبة الأمل بعد الستينيات وسيطرة التجارة والمال.

وأرسلت لى ماريتا جلاس زوجة كولن جلاس جوابا، ولكنهما منفصلان، وقد أرسلت لى من كالجارى نقلا عن جوليان من نورويتش قائلة: "كل شىء سيصبح جيدا، ويجب أن يكون كل شىء بخير، ويجب أن تكون كل الأشياء بخير". وهو يعنى أن كل شىء على ما يرام فى الوقت الراهن وفى اللحظة القادمة والتى تليها أيضا".

ولكن دانيال ويسترمان مع يقينها الذى لا يتزحزح، لم تتخلص من وجهة نظرها وهى أن نورا ببساطة قد وصلت إلى معرفة العجز بالنسبة لها، ولا تعرف ماذا تفعل حيال الأمر، "التخريب فى المجتمع ممكن لعدد قليل؛ فالانقلاب هو التكتيك الأكثر شيوعا للعجز، وهو تراجعها من المجتمع الذى يحده الجمود" (على قيد الحياة، ١٩٨٧، ص ٣٠٤)، لم أكن أميل إلى الاعتقاد فى صحة هذه الجملة عندما ترجمتها للمرة الأولى، ولكنى الآن أؤمن بها يقينا، ففرضية دانيال انتقلت إلى جسدى وتحتل مساحة أكثر وأكثر.

فقط

٢ ديسمبر ٢٠٠٠

عزيزتى دينيس فورد هيلبيرن

لقد انتهيت مؤخرا من كتابك "فجوة الأخلاق" وتكونت لدى انطباعات أريد عرضها، لقد استغرقت وقتا طويلا لقراءة هذا الكتاب واستيعابه (فقد احتجت لقراءته مرتين بالمكتبة العامة).

لقد ذهلت بنظريتك عن الأخلاق كنوع من الحلول للمشاكل، وكلما استغرقت فى النص والخاتمة كنت أرى معضلات أخلاقية تتبلور مثل المناضد والكراسى على الرصيف، والتى تتنامى سريعا متأثرة بالتقدم التكنولوجى وانهيار النظام البيئى، هنا تقف الحلول للمعضلات الأخلاقية عاجزة أمام المشكلات التى تطرأ ومن هنا تظهر "الفجوة"؛ إن نموذج الأربعة عشر فصلا تمثل نموذجا للنجاح والفشل فى حل المشكلات، وسد الفجوة يعتمد أساسا على القرار

السريع والتفكير فى الحل من جميع الجوانب بشكل خلاق. إن كل من يقومون بحل المشاكل فى أمثلتك فى الأربعة عشر فصلا هم رجال، ولقد تحققت من الفهرس ونادرا ما تم ذكر أى امرأة مما يجعلها معضلة أخلاقية فى حد ذاتها، ألا تعتقدين هذا؟

استمعى لى، كيف أثرث مثل امرأة تماما، والطريقة التى أتحدث بها بلا طائل عن أوهامى حول الاضطهاد. الواقع أننى امرأة وأم لابنة فى التاسعة عشرة من عمرها فى ٢٠ مايو، والتى تعانى بشدة، فهى تنفر من عائلتنا والمجتمع. نحن لا نعرف سبب الضيق الذى تشعر به نورا، ولكنِ مقتنعة تماما أنها تتفاعل أخلاقيا ومن ناحية المسؤولية بالطريقة الوحيدة التى تستطيع أن تفعل ذلك بها، من أجل أن تبتعد عن هذا الكون. ما تراه هو عبارة عن سلسلة لا نهاية لها من العقبات، والمواءمة بين الأبواب المغلقة. حتى الآن هى لا تسعى إلا للخير، وطبيعة الخير، وكيف نتعلم أن نكون جيدين وما يعنيه هذا.

لا اعتقد أنك كنت تنوين أن تكونى مُحبِطَة فى كتابك، أعتقد أنك قد أغفلت أولئك الذين يتم تجاهلهم بشكل طبيعى، وهذا يعنى نصف سكان العالم، بالمناسبة قد لا تكونين قادرة على التقاط نبرتى فى هذه الرسالة، ولكن أحاول أن أطرح اعتراضى بلطف، فأنا لا أصرخ كما يمكن أن يخطر ببالك، ولا حتى أشكو بالتأكيد لا أحاول أن أترك بصمتى، ولكن يمكن أن تقولى إننى أهمس فى أذنك،

الشيء الأخير الذى أريده هو أن يتملكنى الشعور بأنى مصابة وهذا ما يجعلنى أغضب يوميا، الغضب شيء غير إنسانى، وهو مثل الأداء الذى لا يأتى أبدا، حاولى أن تتخيلى عالمى الخاص من المشاعر فى هذا الوقت من المتاعب، واعتقادى أن هناك دائرة تربط منهجك الفلسفى واستقالة ابنتى من الحياة، وكمية الخلل الوظيفى التى حدثت لها، ربما سترفضين هذا باعتباره رسالة من إحدى النساء اللاتى يحاولن التسول كى يتم الاعتداء عليهن، ولكن يجب أن تفهمى أنى أسعى لحماية نورا وأختيها الصغيرتين، كريستين وناتالى اللتين تريدان فقط أن يسمح لهما بأن تكونا إنسانتين كاملتين. ويجب أن تعرفى أنى أكتب هذه الكلمات وأنا أرتعد مثل شجرة من الأعصاب.

عزيزتك

ريتا أورانج دى فيل

إلا إذا

قلت لدانيال ويسترمان يوم الأربعاء عندما كنا نتناول الغداء سويا فى الغرفة المشمسة "الفضيلة هى الأداء، نوع من الأفعال، لقد قال أحدهم هذا ولكن لا أتذكر من تحديدا".

فتمددت على كرسيها وقالت وهى حالمة "أعتقد أنه ييتس"

"نعم هو ييتس"

إنها امرأة تملك ٢٧ درجة شرفية وقد أعطت العالم رفا كاملا من الكتب، وقد أعطت أفكارها وخططها لعالم جديد وأفضل.

هناك مدرسة ثانوية فى أونتاريو باسمها وفى فرنسا فى مدينة صغيرة تدعى ماكون، وهناك ميدان دانيال ويسترمان، ومساحة عامة جميلة مع أشجار الزيزفون والمسارات المرقعة وقد تمشيت فيها أنا وتوم فى أوائل مارس الماضى، وبدا أننا نتحرك فى فصل ربيع دائم، وكذلك ظن الناس الذين كانوا يمرون بجوارنا والأسر

وكبار السن، لم يعرفوا وقتا للكآبة الثابتة أو العار، وأنهم لم يروا هناك أشعة الشمس الدافئة قط.

وفى سنواتها الأخيرة أصبحت دانيال غريبة الأطوار وحتى معى أنا مترجمتها، وقد شكت أنى تخليت عن "الخطاب" كما تصفه دائما لعدم الجدوى من كتابة الرواية، لديها طريقة لخفض فكها عندما تتجنب الحديث فى هذا الموضوع، وتبدو عيناها منتعشتين بخيبة الأمل، لديها قوة إقناع تجعلنى كثيرا ما أجد نفسى متفقة معها، ما هى الفائدة من كتابة الرواية عندما يعوى ويتلوى العالم الظالم؟

إن الرواية تساعدنا فى أن نخفض صوت "خطابنا" الداخلى، إلا إذا كان يمكنها تقديم البديل، خطاب به تفاؤل وأمل، إنها مجرد سرد متفتت، إلا إذا .. إلا إذا.

إن كلمة إلا إذا هى كلمة القلق فى اللغة الإنجليزية، فهى تطير مثل الفراشة حول الأذن فبالكاد يمكنك سماعها، ومع ذلك يعتمد كل شىء على وجودها، إلا إذا هى الكلمة الشرطية التى تحملينها بين تجاعيدك، فهى دائما موجودة أو غير موجودة (إذا أضفت حرف Sزائد لكلمة unless ستحصلين على Sunless أو Sans So-leil، وهو فيلم قديم لكريس ماركر).

إلا إذا كنت محظوظة، إلا إذا كنت سليمة وخصبة، إلا إذا أحببتِ وتغذيتِ، إلا إذا كنت واضحة تجاه اتجاهاتك الجنسية، إلا إذا

عُرض عليك ما عُرض على الآخرين، أنتِ تذهبين إلى الأسفل فى الظلام، إلى اليأس. إن كلمة إلا إذا توفر لك بابا مسحورا، نفقا فى الضوء، الوجه الآخر لا يكفى. إلا إذا تمنعك من الغرق فى الترتيبات الرئيسية، وبشكل ساخر، فإن كلمة إلا إذا هى الرافعة التى تحول الواقع إلى منظور جديد أخيرا، لا يمكننى التعبير عنها بالفرنسية، moins que ليس لها نفس الثقل؛ sauf هى كلمة خام. إلا إذا هى معجزة اللغة والإدراك، هكذا تقول دانيال ويسترمان فى مقالها الأخير "ظِل على العقل". إنها تجعلنا قلقين، وماكرين، ماكرين مثل الذئاب التى تنشأ فى معظم الحكايات الخيالية المثيرة، ولكنها تعطينا أملا.

فى سن الخامسة والثمانين، لم تفقد اعتقادها بالخرافات فى سوء الحظ وحسن الحظ، فقد نالت كفايتها من الحظ السيئ والجيد، حتى عندما يتعلق الأمر بتغيير العالم، لقد أتت مثل راهبة ذات طراز قديم وقد تقبلت طبيعتها المختلطة. إن كتابها الجديد يبيع بشكل رائع فى كل مكان وبسرعة، وقد أحبه الناس بسبب أصالته وتحليله القوى. لم تقم بعمل جولة لنفسها وبالكاد قامت بعمل إعلانات للكتاب، ولكن ردة الفعل على الكتاب كانت قوية، تحدثنا عن استعراض الكتاب اليوم ونحن نأكل السمك المدخن والبيض المتبل الحار، يا له من استعراض غنى للغاية، أحدهم يشير إلى التدفق "السحرى" فى النثر وأنا أحب ذلك، وآخر طالب دانيال

بأن تكون كنزا وطنيا، وهو لقب يجعلها تتشنج قليلا ولكن بالنسبة لى يجعلها تحصل على سلطة ما، وبعدها انتقلنا لموضوع كيف نحمل تاريخا مزدوجا فى رؤوسنا، ما هذا وما يمكن أن يكون وكيف يمكن أن نحاول ألا نجعلهما يتضخمان أو يتقلصان مع بعضهم البعض.

لقد حذفت الجذور القديمة من حياتها، أو أنها تتظاهر بأنها فعلت ذلك، لقد عمل أبى فى البريد بمدينة ماكون، وأمى فى حانة فى لاروش فينوس، كانت شقتهما فى هذه القرية مكونة من ثلاث غرف فى منزل بشارع Allemagnes، لكنها ترفض التحدث عن تلك الأيام (على الرغم من أنها لم تتردد فى أن توصى الناس بالذهاب إلى لاروش كوجهة سياحية)، وفرت طاقتها من القمع فى سنواتها الأولى، وقررت أن تنفقها فى مكان آخر، لابد أن هناك يوما أو لحظة عندما اتخذت هذا القرار، وقالت إنهما ميتان وكانت تقصد إما والديها أو السنوات الأولى، وأضافت قائلة: "بالنسبة لى هما ميتان"، بدأت مذكراتها عندما كانت فى سن ١٨ فى باريس، كانت قد حصلت على شهادة الثانوية واستقلت القطار والتحقت بجامعة السوربون، كانت هذه الأحداث كثيرة على طفولتها، وقد استطاعت بأعجوبة أن تخرج بهذا المخطط للحياة حتى الآن على الأقل.

سألتها اليوم "كيف لكِ أن تتحملى ذلك؟"، لقد أخبرتها بالفعل عن رئيس التحرير من نيويورك، الذى أجبرنى على إرسال النصف

الذى انتهيت منه فى الرواية، وأخبرتها أنى رأيت نورا فى وقت مبكر من صباح اليوم، وكيف أنها كانت واقفة على قدميها بدلا من الجلوس على الرصيف، تخطو بين مخرج مترو ومحطة الحافلات، ذهابا وإيابا، وضعت يديها فى جيوب سترتها وكانت رقبتها ملوية داخل السترة من أثر البرد، وتعلق فى رقبتها اللافتة المكتوب عليها "الخير"، أخبرتها كيف أن ناتالى وكريس قررتا عدم الذهاب إلى تورنتو لتكونا مع أختهما، كان الجو باردا جدا على حد قولهما، وكان أمرا عارضا بعض الشىء، وكانت هناك مسابقة للكرة الطائرة فى أورانج تاون، وفى النهاية أخبرتها عن الإحباط الذى أعانى منه وأنا أقرأ كتاب "فجوة الأخلاق"، والجواب الذى كتبته بسرعة إلى صاحبته.

"وهل أرسلت هذا الجواب بالإيميل؟"

"حسنا، لم أفعل".

"آها!"

شرحت لها أننى أحيانا لا أصدق ما أكتب، فلا أستطيع الاعتماد على تعبيراتى، وآرائى وتصوراتى عن الظروف الحالية والمدمرة. وفى كثير من الأحيان فى اليوم التالى أنظر فيما كتبته، وأتركه وأنا أهز رأسى: من هى المرأة العجوز التى تشفق على نفسها لتكتب مثل هذه الكلمات، من هو الشخص المثير للشفقة الذى يكتب رسائل إلى

الغرباء؟ فى الأسبوع الماضى تعرفت على أليكساندر (ساندى) فالكنر فى حفلة، وهو من كنت قد كتبت له رسالة توبيخ، وتبين لى أنه متواضع وكيس وطيب.

فمن هى هذه المرأة المجنونة، التى تقوم بكتابة قصص الخيال عن استبعاد الإناث وتطبقها على ابنتها؟ فى كثير من الأحيان - لا أخبر دانيال بهذا ـ لا أهتم بكتابة تلك الكلمات، فأنا أفكر فى خطاباتى سطرا بسطر، وأرتبها فى رأسى مثلما أزيل الغبار من تحت السرير، وهذا يكفى كى أظل بكامل قواى العقلية. حتى الآن أريد أن أعرف أننى لست وحدى فيما أفكر فيه وأدركه، وهذا النقص البشع الذى يعيش بداخلى كل هذا الوقت ولكن لا أجرؤ على النطق باسمه، فأنا غير مستعدة لفضح نفسى.

هل فهمت دانيال الأمر بالفعل؟ أعتقد أنها فهمته ولكنى لست متأكدة من هذا الآن.

لقد استهانت بجمال سترتها النسوية القصيرة، أكمام رقيقة وضيقة وسترة زرقاء من الصوف ينبغى استبدالها، والأسورة الفضية على المعصم التى تبدو أنها مصنوعة من الشمع القديم، وثلاث حلقات فضية ترتديها بشكل فضفاض على يديها الرفيعتين، وأظافرها الجميلة التى تحافظ عليها طويلة وقرمزية. كيف تتحملها؟ كل الكلمات التى كتبتها وكل السنين المدفونة بداخلها. ماذا

يساوى رف الكتب الخاص بها، ما القوة التى تملكها هذه الكتب على العالم؟

كيف يمكنك أن تتحمل ذلك؟ أنا أنتظر جوابا، ولكن ليس فى القريب العاجل، قولى لى، قولى لى، أعطنى جوابا، أعطنى فكرة مليئة بالأناقة والفائدة مثل بستان التفاح وراء بيتى، شيئا يمكن أن أستمد منه بعض الشجاعة، إنها تتجاهل هذا مرة أخرى، ولجزء من الثانية فسرت هذا التجاهل على أنه استسلام، ولكن لا، ولدهشتى، ابتسمت فجأة ابتسامة مشرقة، وكانت أسنانها الصناعية تبرق مثل السيراميك، وبعدها رسمت فى الهواء قوسا رشيقا وببطء، وحيتنى بكوب الشاى.

فى هذا الاتجاه

تمشيت وأنا أمسك يد توم فى أحد صباحات ديسمبر عند المقابر فى أورانج تاون، ويعلم والله ما كنا نبحث عنه، لا يهم كثيرا فنحن هنا معا نسير ونتحدث، وقد بدأت برودة الجو تقل، أما قمم المعالم الأثرية القديمة من الحجر الجيرى، فلم يكن عليها ضوء الشمس فى صفوفها الأنيقة، وكانت تلمع مع الجليد الذائب. كنا نرتدى سترات خفيفة وأحذية مطاطية، وهمست تلك الأحجار: بهدوء من فضلكم. هذا شىء نقوم به فى كثير من الأحيان بعد ظهر يوم أحد، ليس لأننا مرضى ولكن مجرد الرغبة فى التواجد بمكان هادئ، تقريبا نحن فقط من نتواجد هنا، منذ سنوات كانت الناس تزور المقابر بانتظام، وتأتى للقبور وتزودها بالزهور التى توضع على النصب التذكارى، وينطقون بكلمات التحية لمن يرقدون تحت التراب، وكأنهم يؤمنون تماما أن الموتى متواجدون بالفعل على بُعد بوصات قليلة ويتطلعون لمحادثة بسيطة. إن أحجار مقابر أورانج

تاون تجعلها باردة فى الأيام الحارة، وهى تشتهر بالرعاية الجيدة فيها وغرابة النقوش الموجودة بها، ويوجد هنا مخزون من الآثار المقدسة والحديثة واحتضان عاطفى للموت، واستحضار أغلى لحظات العمر، والبكاء بجوار الأضرحة والتاريخ المؤلم. يندهش الناس من العثور على قطعة من الجرانيت منحوتة فى حجم طفل رضيع مستلق على ظهره، وهو يبتسم ويلاغى السحب بالأعلى، كان مكتوبا على النقوش "صغيرنا جاك ذهب إلى السعادة الأبدية"، ولطالما بكت بناتى كلما رأين هذا الطفل من الجرانيت، وكن يصممن وهن صغار أن يزرن جاك الصغير كلما تمشينا هنا فى المقبرة ويستمتعن بدموعهن كلما لمست أيديهن رأس الحجر المجعد، إنها مأساة؛ طفل صغير محبوب انتزع من بين ذراعى والديه، وهنا حيث تتفجر الذاكرة وتتبدد ويتم استبدالها عن طريق ملاك متجمد، وهو يخدش الهواء بالبهجة الأبدية.

وعلى حجر آخر قبيح واسع ويأسرك منحوت عليه "مارى ليلاند، ١٨٦٣ ـ ١٩٢١"، وتحتها كلمات بسيطة تقول "كانت تعتنى جيدا بدجاجها".

إن هذه النقوش محيرة، ولهذا السبب يرسمها الناس، وهذه الحجارة المعمارية تعنى الأطفال، وليس الدجاج. إن هذا ما يظنه بعض الناس، وهو أن الأزميل يتراجع قليلا ليطبع رسالة خاطئة، ولكن ربما لم يكن لدى ليلاند مارى أى أطفال، وربما لم يكن لديها

غير الدواجن لخدمتها وكى تقوم بعمل دعاية للخير الذى تقوم به، أو ربما كان هناك زوج، أصيب بالمرارة بسبب إهمال زوجته، وكان يسخر منها فى قبرها. حاولت فى الآونة الأخيرة أن أركز تفكيرى على عموم الأشياء وليس على أشياء بعينها، وهذا يتطلب إرادة، وجهت أفكارى بعيدا عن دجاج مارى ليلاند، وبدلا من ذلك أركز على صفوف البقايا المتقوسة وأحجار الجرانيت المائلة، المساحة كلها حوالى ثلاثة أفدنة، وقد مات الكثير من الناس.

هناك أناس يصنعون الحياة من التفكك، إن الإيجار هو كل ما يطلبونه فى رفضهم للاندماج مع جيران معينين أو غرف معينة. لكن توم مختلف، فهو يعمق فكرة المنزل، وأنا أعرف هذا من البداية، منذ أول لقاء لنا، على الرغم من أننى لم أكن قادرة بعد على التعبير عن هذه الفكرة.

ليس صحيحا أن الناس فى الزواج طويل الأمد يذوبون فى بعضهم البعض ليصبحوا شخصا واحدا، لامست كوع توم، لامست كم سترته، فوضع ذراعيه الطويلين حولى وأمسك ثديى بيديه بأقصى طريقة ودودة ممكنة، نحن شخصان فى لقطة واحدة ولكن مع القليل من قص الصورة والتركيز علينا يمكننا أن نتواجد معا، ولكن ليس هذا ما نريده. ما زال الإطار ثابتا ويحتوينا معا، وهذا هو ما نريده، وهذا هو ما يلزم للحفاظ على العالم من الانفجار، هناك سترته المدبوغة، الواقية ذات السوستة والفيبر الناعم

السلس، لا شىء يدعو للفت الانتباه لنفسه، أكثر الملابس شمولية. وعلى الجهة الأخرى، هناك هؤلاء الرجال الذين يثيرون الصخب من شارع باى والذين يختارون ألوانا زاهية مثل ألوان البط البرى أو اليوسفى كى يرتدونها فى عطلة نهاية الأسبوع، أو جلود الحيوانات والماعز والخرفان، وهكذا. ورجال يلمعون بسبب الكتافات والمسامير والعلامات والشارات وخارقى القانون على إعلانات نوتيكا والمجرمين فى رداء الببلين القطنى، الملمع بالضوء، ولكنهم يعرفون أنهم يرتدون الملابس الصحيحة، وأنهم بذلوا مجهودا كبيرا، أكثر من رجال آخرين مثل توم لم يجبروا على بذل مثل هذا المجهود.

زوجى لديه شكوى واحدة فقط منذ مرحلة الطفولة، وهو أن أمه كانت مديرة منزل سيئة، وذات مرة كانت تحك صابون الغسيل فى أنحاء الحمام، وهو يتذكر كيف أن الكتلة الذائبة من البالموليف تعرقت بالأوساخ التى بها، وهو شىء يثير الاشمئزاز وقد رفض لمسه، ولم يلاحظ أى شخص تجنبه للصابون، واستمر معه هذا الأمر لسنوات. لم يكن أحد يتصور أنه أمر مهم أن تقع عيناه كل يوم على الصابون، أخبرنى بهذا الأمر فى أول أيامنا معا، فقد أرادنى أن أتفهم حساسيته الشديدة تجاه الحمام وترتيباته، وكان قلقا أنى ربما أظن أنه أحد هؤلاء الرجال العصبيين بشكل هزلى الذين نقرأ عنهم فى الروايات. لو لم يكن لديك أم مثل هذه فلن تتفهم الأمر، ولو لم يعط لك لمحة بديلة عن الانتظام، فلن تمانع.

ستحتاج أن تعرف عن هذا الشريط الحريرى الجديد فى طبق به القليل من الخزف، وأن أمرا مثل هذا محتمل، إن طفولة أى شخص يمكن أن تكون مفككة إذا ما أعيدت ورددت فى نمط معين، ولكن لسبب ما استطاع توم أن يتعافى تماما من خوفه من صابون الأطباق المتسخة، وفى هذه الأيام أصبحت والدته مهووسة بنظافة المنزل حتى أنها استخدمت تلك المياه الزرقاء المطهرة فى مرحاضها.

كنا نتحدث عن والدته ونحن نتمشى بين القبور، لويس وينترز - ماكسويل -، أرملة منذ اثنى عشر عاما حتى الآن، وتحب ابنها بشدة، فتوم هو طفلها الوحيد، وتعشق حفيداتها الثلاث، وتحبنى بشكل كاف على ما أعتقد، ولكن هناك فجوات كبيرة بيننا، فهى مثلا تأخذ كتبى طوال الوقت وتكدسها على طاولة القهوة ذات السطح الزجاجى، ولكنها لم تقرأ أيا منها، وهذا أمر يشعر به الكاتب على الفور، وتتصاعد حواسها فورا عندما تسمع اسم أحد كتبى، أنا أتفهم تماما هذا الرفض من جانبها وأسبابه، وليس للأمر علاقة بالرفض، ولكن كل ما فى الأمر هو كونى أم أحفادها وزوجة ابنها، ولا يمكن تحدى هذا الترتيب بهواياتى، أو تسليتى أو حياتى المهنية أو شغفى.

لقد تغيرت منذ أن ذهبت نورا إلى الشارع، كما لو أن دماغها أصبحت بطيئة بعض الشىء لفترة طويلة جدا، مثل ورقة الخس فى

الزيت والخل، وتدهورت حالتها ببطء، وبما أنها تتناول العشاء معنا كل ليلة فهى من تحضر الحلوى، شىء حلو مصنوع بالمنزل، واستطعنا أن نلاحظ تدهورها التدريجى يوم بعد يوم. ومع ذلك هناك وقت حيث تحتل دورا حيويا فى الحوار، وتسأل البنات كيف يحبون مدرسيهم وكيف حال فريق السباحة. ورغم أنها امرأة مزعجة بشكل دائم ولكن لها آراء سياسية، وليست محافظة، هذا صحيح، ولكن لها آراؤها وهى تستمع الى الراديو وتتابع الشؤون العامة.

ظلت تسأل "أين نورا؟" "متى ستعود نورا للمنزل؟" وفى النهاية أخبرها توم القصة بحذر شديد؛ أن نورا قد خرجت من الجامعة، وأنها انفصلت عن صديقها، وأنها تسير فى طريق الخير الروحانى، والذى لا تستطيع العائلة أن تتفهمه، وهى تبعد نفسها عنا وتنام فى مأوى، وتتسول الأموال فى زاوية فى باثورست وبلور فى وسط مدينة تورونتو، ولكن الجميع يتمسك بالأمل فى أن تعود نورا تلك الفتاة التى عرفناها وأحببناها، وأنها ستتعافى من أى وهم اعتراها، وأننا نفعل كل ما بوسعنا من أجلها، وأنه على جدة نورا ألا تقلق..

حسنا هى قلقة بكل تأكيد على حفيدتها الكبرى وأقربهم إلى قلبها، وإذا أفصحت عما فى قلبها ستقول إن نورا هى حبيبتها، تطور الأمر من أنها تجلس على طاولة العشاء فى سكون حتى أصبحت لا تتحدث، وفى الأسابيع الأخيرة أصبح صمتها انعكاسا

غير طبيعى لصمت نورا، حتى حالتها أصبحت انهزامية مثلها مثل نورا، وأتساءل فى بعض الأحيان إذا كنا قد أصبحنا جميعا، توم وناتالى وكريس ولويس، ممثلين فى مسرحية الظل التى تلعبها نورا، وإذا كنا فى الشهور الأخيرة أصبحنا حذرين ومتخوفين وغاضبين وننتظر أن يعود لنا ما كان لنا فى يوم من الأيام، فكلنا تجمدنا وبقينا فى مكاننا حيث لا يتغير أى شىء، حتى بيت نفسه تباطأت حركته، حتى ابتسامته بدأت فى الخفوت بإذعان .

لكن هذا ليس صحيحا للحياة خارج منزلنا، فأنا أنظر حولى وأرى جميع أنواع التغييرات وبعضها يثير الدهشة. ولسبب ما عاد أصدقاؤنا كولن وماريتا جلاس معا من جديد، وهذا آخر ما كنا نتوقعه، فقد ودعت حبيبها فى ألبرتا، لقد سامحا بعضهما، فالله وحده يعلم التجاوزات التى حدثت والهدوء الذى حل على خلافاتهما، فمن المدهش رؤية مثل هذا الانعكاس العاطفى، ويجب الاعتراف أن كولن يصبح حنونا ومحبا فى حضورها، فمن الرائع رؤيته وهو يساعدها على الجلوس فى مقعدها على طاولة الطعام، وفى المقابل هى تكافئه بنظرة ناعمة وحنونة كفتاة صغيرة.

عادت شريتين لقوتها بنسبة كبيرة على الرغم من تعثر نتائج الانتخابات الأمريكية، وفازت مارجريت أتوود بجائزة البوكر، وقد ضمنا أن نحظى بكريسماس هادئ، وقد قامت نورا باستبدال شارتها القديمة بآخرى جديدة مُوَقَّعَة حديثا وهذا أيضا قد يكون مصدرا للبهجة.

تزوجت شيرلى باتيرسون، أمينة المكتبة فى أورانج تاون، من طبيب أسنان من بومباى، يدعى سام سوندوهى والذى جاء طلاقه أسرع مما كان متوقعا، وأقيمت الخدمة المدنية يوم السبت منذ أسبوع مضى بعد حفل الاستقبال الذى أقمناه فى منزلنا لثلاثين من أصدقاء شيرلى وأصدقائنا، وقدمنا على الغداء الشطائر والشمبانيا فى أجواء احتفالية، من الذى لا يحب حفلات الزفاف! غنيا كان أو فقيرا، جيدا كان أم سيئا. أضاء توم المدفأة فى غرفة المعيشة وغرفة العشاء وبالطبع كانت هناك شجرة عيد الميلاد فى البهو، وقد تم وضعها منذ عدة أيام لتتماشى مع حفل زفاف شيرلى وسام، عمت تلك الاجواء السعيدة فى جميع أرجاء المنزل، بينما كنت مرتدية تنورتى الطويلة الصفراء المخملية، مررت على الضيوف بقطع كعك بالفواكه على صينية من الفضة، وقد كانت تلك الصينية الوحيدة التى أخرجتها من دولاب الفضيات من أجل وقت الأعياد، استخدمت دبوس الشعر الذى أهداه لى توم منذ عشر سنوات لتثبيت زينة الكريسماس الفضية الصغيره فى شعرى، كنت أبتسم وأبتسم أينما ذهبت، أليست معجزة أن يجد اثنان مطلقان بعضهما فى مكان كأورانج تاون فى أونتاريو فى قارة أمريكا الشمالية الكبيرة المتلألئة. كنت أبتسم قائلة: "من فضلكم تذوقوا كعكة الفواكه الرائعة تلك التى أعدتها حماتى من وصفة عائلية قديمة، وكان توم واقفا عند الباب الأمامى للترحيب بأى ضيوف قادمين

للحفلة، نظر إلى مبتسما ابتسامة واسعة، إنه حب حياتى. وعلى طاولة البوفيه يوجد سلمون وردى اللون. فى مثل تلك اللحظات بلا سبب محدد أشم رائحة خشب التفاح يحترق فى المدفأة مما زاد من اقتناعى أن الأمور ستسير على ما يرام.

وبعد ذلك سوف أبتعد عن دائرة الأمان، وأنا أتألم بشكل كامل وأشعر بأن روحى التى تسكننى منكسرة من كل زواياها، بمجرد أنى عرفت أن نورا تجلس فى البرد والثلج بوسط مدينة تورنتو، وأنها قد ذهبت لأبعد مكان يمكن أن تذهب إليه، كلما كان ممكنا أن تذهب إليه.

فلأتوقف عن هذا ولأعود للهمهمة وأتناول بعض الكعك، هناك قهوة فى غرفة الطعام، وأسمع صوتا فى رأسى يقول: فلتكونى حذرة.

نتظاهر فقط بأننا منخرطون فى الوقت، وإذا استمعت جيدا ستشعر فى كل مكان أن صوت المستقبل يصدر وكأنه ينكسر، وبغض النظر عن مزاجى المتخبط، ولكنى أنهيت روايتى Thyme in Bloom، وقد أنهى كل من أليسيا ورومان علاقتهما ببعض الحجج التى تحدثا فيها وبتصرفات سيئة من الجانبين. الآن هما يتناولان الطعام والشراب، ويمارسان الحب، ولكنهما دمرا بشكل منظم ما كان يوما بينهما، وطحنا جوهر الحب بحججهما الفلسفية بحيث لا يتبقى شىء غير أرز محروق، وكأنهما يحاولان بشكل مؤثر ويائس

أن يطهوا وجبة رومانية فى شقة رومان. أصبحت أليسيا أكثر رغبة وأناقة وجمالا فى استقلاليتها، يمكن أن نرى تزايدا مطردا فى ملاحظاتها، فى حين يكشف رومان عن سلوك غريب ومزعج، مثل تلك الجوارب الصفراء المخططة. أصبحت ذقنه القوية أقوى، وشهوته الجنسية أقوى، وعندما يتدرب على الترومبون الخاص به غالى الثمن، فإنه يصدر ثقوبا خشنة كبيرة فى الهواء، وهو يفكر بصوت عال فى كثير من الأحيان عن علاقاته فى ألبانيا التى لم تعد موجودة وهو يتحسر عليها، كل ما مر به، ومع ذلك ماذا يمكن أن يفعل؟ ذهب إلى تيرانا فى عام ١٩٨٦، وحاول أن يتواصل ولكنه لم ينجح، ووصل إلى السجن وتم تهديده ولكنه أحب هذا المكان الملعون.

يتبقى لى فصلان أو ثلاثة للانتهاء من Thyme in Bloom، ثم الخاتمة والتى ستحتوى على تحريف، من المؤكد أن يتحدى أى نية جيدة لدى القارئ، ولكنى مصممة على المضى قدما فى الأمر، وأنا أعمل لهذه اللحظة المليئة بالاختراعات، كيف يمكن أن يكون هذا؟ كيف يمكن لامرأة فقدت ابنتها وتعانى من قلق حاد أن تكون قادرة على كتابة الخيال الهزلى؟

على الرغم من أنه يجب القول أن محررى الجديد السيد سبرينجر لا يوافقنى الرأى على أن Thyme in Bloom خيال هزلى، ولكن على العكس تماما.

أيا كان

كان ضوء الشمس فى وسط النهار يتسرب للمطبخ ورن الهاتف،

"مرحبا، هل يمكننى التحدث مع السيدة ريتا وينترز من فضلك؟"

"أنا ريتا وينترز"

"أنا آسف ريتا لأننى لم أعرف صوتك"

"لدى برد نوعا ما"

"أنا آرثر، آرثر سبرينج"

"آرثر"

"أنا من نيويورك .. من سكريبانو و..."

"آها أعرفك بالطبع، كيف حالك؟

أتمنى لكِ وعائلتك أن تكونوا قد قضيتم أجازة عيد سعيدة".

"نعم، لقد كان عيدا جيدا، وماذا عنك...؟"

"أعتذر على اتصالى فى المنزل"

"فى المنزل؟ لا داعى للاعتذار، فى الحقيقة هذا هو حيث ..."

"أعتذر أيضا على اتصالى فى أجازة الكريسماس، فهذا هو الوقت الوحيد فى العام الذى يجب أن ننحى فيه أمور العمل جانبا وأن يكون الاحتفال هو همنا الأول".

"حسنا، نعم..."

"هناك واقع مفروض علينا، وهو أن سكريبانو ولورانس ستغلق حتى بداية العام الجديد كما هو معتاد، ولكنى متحمس للغاية لمخطوطتك وبالتالى أردت أن أتصل بك فورا، وظننت أن ما بداخلك من طيبة سيجعلك تسامحينى على قطع أجازتك بهذه الوقاحة، ولا شك أنى اتصلت فى وقت غير جيد على الإطلاق".

"لا عليك فنحن تقريبا فى نفس المحيط الزمنى".

"من أين يمكن أن أبدأ، Thyme in Bloom"

"حسنا أنا..."

"انتهيت الليلة الماضية من قراءة المسودة ونمت بصعوبة، كنت أفكر كثيرا فى أليسيا ورومان، شىء أقوى منى يضغط على وعيى، كل ما يتحملانه والشجاعة الشخصية وإحساسهما بأنفسهما كلما

نمت بصيرتهما، ورؤيتهما الداخلية الخارقة مثل الليزر، يمكنكِ أن تتخيلى ما كنت فيه، والحزن الذى شعرت به عندما استيقظت، متعجبا أيضا، وأنا أفكر أن هذه هى الحياة، لم يعدنا أى أحد أننا لن نعانى ونحن نشق طريقنا، فتوقعاتنا محكوم عليها بخيبة الأمل".

"ولكن يا آرثر"

"وأليسيا والطيبة الموجودة بها، أخبرتك بذلك فى آخر مرة تحدثنا أليس كذلك؟"

"نعم لقد أخبرتنى وسعدت بهذا للغاية، أحاول أن أعرف ما هى الطيبة أو الخير، إنها جوهر .."

"إنه الخير فى الروح والقلب، شىء تكاملى، لا تحتاجين حتى أن تحدديه أو تكتبى عنه، أظنك عرفتِ لماذا اتصلت بك فورا رغم أننا فى أجازة الكريسماس، حتى لو.."

"ولكن يا آرثر.."

"وهذا الرجل المدعو رومان .."

"نعم؟"

"لا وصف له، هى الكلمة الوحيدة التى لا ينبغى أن يستخدمها الكاتب، ولكن بالنسبة لنا كمحررين فيمكننا أن نفكر عن ماهية الشخصية التى لا وصف لها وتعقيداتها، هذا ما أعنيه"

"حقا؟"

"لا وصف لهذا، لا أعرف كيف سنقدمه على الورق، ولكننا سنعمل على هذا"

"أنت تعرف سيد آرثر سبرينجر أن هذا ليس النص كاملا، ومتبق لدى على الأقل ثلاثة فصول لإنهاء الرواية وما رأيته مجرد مسودة ـــ"

"أعرف يا ريتا أن ما قرأته مجرد مسودة وأتذكر حديثنا جيدا، وأعرف أنها مسودة جزئية، ولكن الشىء الرائع هنا بغرابة أننى أعرف ماذا تريدين من هذا، وأرجوكِ لا تقاطعينى الآن.. ما أعنيه هو أننى أعرف ولا أعرف، فأنت لم تفوتى شيئا وكنت صارمة وقريبة من القارئ، ولم تعطه/ تعطيها فرصة أكثر من أن يتنفس، ولكن بالنسبة للشكل من حيث الجمال الحسى الشامل فيه، أجده متماسكا وبقوة وكذلك الاحساس بأن الشكل سيكمل نفسه بالطريقة التى يمكنه فعل ذلك بها".

"سعيدة أن هذا هو فكرك عن الرواية.."

"أنا أحدثك من المكتب فى الحقيقة، ولو عرف السيد سكريبانو أنى خرقت أجازة الكريسماس فلن يكون مرتاحا فى قبره، ولكن كان على أن آتى وأنظر فى My Thyme Is Up، كان بإمكانى أن أنظر فيها على الإنترنت، ولكنى أحببت أن أشعر بثقلها فى يدى وأن

أستمع فعليا لما يقوله المراجعون فى هذا الوقت، وأنا واثق يا ريتا أنك قرأتِ بعضها بنفسك".

"أعتقد أننى قرأتهم كلهم".

"رائع، فلم أرتح أبدا للكتاب الذى يرفضون قراءة التعليقات الخاصة بأعمالهم ويهتمون فقط بآرائهم، ويبدو لى هذا على أنه غرور، على الرغم من أن مواجهة الانتقادات أمر مؤلم، إلا أنه جيد من ناحية أنك تعرفين إذا كنت متصلة بالقارئ فعليا أم لا وعلى أى مستوى، وهذا هو ما أنا مهتم بالحديث معك عنه يا ريتا، المستوى والنغمة والغرض من الكتاب".

"حسنا إن..."

"وبالتالى قرأت كل ما كُتب عن روايتك الأولى فى النيويورك تايمز وواشنطن بوست وغيرهما، وكانت هناك تغطية ممتازة للرواية الأولى وهذا ما أشعر به حقا، وأنا أعنى ما أقول بالفعل".

"حسنا، أنا متفاجئة بكل هذا.."

"كلهم على مكتبى الآن وأنا أجلس هنا منذ ساعة أضع خطوطا ودوائر حول الكلام المهم، وها هو سؤالى لكِ الآن يا ريتا، كيف تشعرين حيال استقبال الكتاب؟"

"لقد سعدت للغاية وذهلت من الاستقبال فعلا".

"جميل، فهل تشعرين بأن الغرض من الكتاب قد وصل للقارئ الناقد".

"أعتقد .. أعتقد أنه وصل".

"ما غرضك إذن من الرواية الثانية Thyme in Bloom،"

"هل تعنى ما أهدُف إليه؟"

"بالضبط".

"حسنا إنها تتمة، فافترض أن غرضى كما قلت أنت، نفس الفكرة تقريبا، نفس الأشخاص ونفس المكان فى ويشوود واستكمالا لنفس المشكلة..."

"المشكلة يا ريتا أنك تكتبين الآن شيئا مقدسا، ولطالما جذبتنى هذه الفكرة بعمق، وقد كتبت قائلة أنك أنتجتِ رواية عن الرغبة البشرية، ولم أنس إطلاقا أن ما قرأته هو مسودة، هل تعرفين كم هذا نادر؟ كانت روايتك السابقة رواية رومانسية وبها كوميديا خفيفة الظل عن الأشخاص العاديين، وأرجو أن تسامحينى على هذا التوصيف".

"أتذكر أن أحد النقاد أطلق على من قبل لقب شاعرة تافهة، وكان هذا التوصيف فى نقد لطيف، وضحكنا عليه كثيرا".

"نعم نعم هذا صحيح، ألا ترين يا ريتا أن هناك مشكلة فى تقديم روايتك الجديدة على أنها تتمة أو استكمال للقديمة".

"ولكنها كذلك بالفعل، فهناك أليسيا ورومان وخطة للزواج و..."

"على أى حال، لقد اتصلت كى أعرف متى يمكنك أن تأتى لنيويورك، أرجو أن تأتى الأسبوع القادم إذا استطعت".

"لا يمكننى فى الواقع أن آتى لنيويورك قريبا".

إنه من المهم للغاية أن نتحدث الآن سويا، قبل أن تنهى المسودة وقبل أن تمضى قدما فى الكتابة".

"أخشى أنه لا يمكننى ترك المنزل حاليا يا آرثر، فهناك بعض الأمور العائلية.."

"أتذكر كلام السيد سكريبانو عن المشاكل وابنتكِ التى تعانى بسببها، ولكن أظن انه يمكنك الهروب منها ليوم أو اثنين".

" لا ليس هذا ممكنا"

"إذا سآتى إليك فى أورانج تاون، فى ذلك المكان قريبا من مونتريال؟ أنا أعرف مونتريال جيدا"

"إنها قريبة من تورنتو"

"حسنا أستطيع الوصول لتورنتو بسهولة، سأستقل سيارة أجرة لمكان النزل الذى تقطنى فيه"

"باستطاعتك تأجير سيارة"

"سوف يستغرق يومين على الأقل يا ريتا لقراءة المخطوطة ,هل هناك أية فنادق فى بلدة أورانج تاون؟"

" هناك نزل أورانج تاون، إنه إلى حد ما ...."

"دعينى أتفقد جدول مواعيدى، إنه أمامى حاليا، هل سيكون الثانى من يناير وقتا مناسبا؟"

"دعنى أرى، أليس ذلك يوم الاثنين؟ عذرا لقد اختلطت على الأيام فأنت تعرف كيف يبدو أسبوع الأعياد، إذا كان ثلاثاء أو أربعاء ربما لا أستطيع..."

"الثانى من يناير، سوف أكون على متن أول طائرة، حسنا "نزل أورانج تاون"، سوف أتصل على الفور وسأحجز لليلتين، الثانى والثالث من يناير، ليكن ذلك واضحا لكِ فهناك الكثير لنتحدث بشأنه"

"هل أنت واثق أننا نحتاج إلى....؟"

"إنها لفكرة رائعة، الهروب من ضجيج نيويورك للريف سيكون مفيدا فى جميع الأحوال حيث الهدوء وما أدراكِ ما الهدوء، فلقاء مثل هذا سيكون بداية رائعة للعام الجديد، عام سعيد ريتا"

"عام سعيد لك أيضا آرثر، هل مازالت هنا؟"

وانقطعت المحادثة

أى شىء

٣١ ديسمبر ٢٠٠٠

عزيزتى إيملى هيلت:

لأسباب واضحة أنا لست بقارئة عادية فى شيكاغو تريبيون، ولكن محررى فى نيويورك (سكريبانو ولورانس)، أرسل لى كتابا لأبدى رأيى فيه وقد وجده على الإنترنت، وهو عن نقدك الطويل لرواية سوزان برايت An Imperfect Affair، وهى رواية أعترف أننى لم أقرأها، وقد سعد هو كثيرا أنك ذكرتِ اسمى فى مقدمتك، مؤمنا أن كل أنواع الدعاية هى دعاية جيدة، وقد سمعت عن هذا فى كثير من الأحيان، ويبدو أنه صحيح.

لقد قلت إن النساء الكاتبات هن من فنانى المنمنمات، مطرزات المشاعر. بدلا من اتخاذ طائفة عريضة من المجتمع مثل دون دى ليلو أو فيليب روث، الذى يفسر العلاقات من خلال "عدسة الرغبة

الجنسية" عن النساء الكتابات، قد ذكرتِ هنا قائمة بعدد من أسماء الإناث بمن فيهم اسمى ـ اللاتى يجدن حقائق عالمية فى "حياة فردية صغيرة"، وقد قلت إن هذا "اقتراح صعب"، والذى لا يحدث إلا فى بعض الأحيان.

أستسلم لحكمك عن روايتى، My Thyme Is Up، كانت كتابة سريعة وكذلك قراءة سريعة، مع عدم وجود فكرة عامة فى الأفق ولكن فقط إشارة نحو الرغبات الجنسية.. حسنا، حسنا.. على الأقل لم تتم إهانتى، أحاول أن أكون موضوعية وأحاول أن أتجاهل الأمر بشكل خاص، إنه تجاهل عارض فقط إذا جاز لى قول ذلك! ـ إن هذا يثير جنونى، فلا يشك فى هذا أى أحد، ولا حتى عائلتى والأصدقاء المقربون، فى طريق العودة من المدرسة الثانوية تعلمنا أن الموضوعات الرئيسية للأدب، كانت الولادة والحب والتفاهم والعمل والشعور بالوحدة والتواصل والموت، وآمنا أن قراء الروايات هم أنفسهم "حيوات فردية صغيرة"، وكذلك الكتاب، فهم يعانون كما قلتِ من نقص فى نطاق الموضوع، فهذه الحيوات تحتوى هذا العالم الواسع الذى تسبح فيه، ومن أقلام كتابهم نجدهم يداعبون الشوق الجنسى لديهم، ولكن تركيزهم كان على الوعى المنغلق للفرد بداخلهم والإنسان والمخلوق، وكيف أن كلا منهم يستوعب بشكل منفصل كل ما هو خير أو شر، لم تكن هناك أى قواعد حول الخير والشر، ولا توجد قاعدة عامة، ولكن يبدو فقط أن جنسنا يسعد

أكثر عندما نكون خيرين، إن هذا سهل الملاحظة ولكن كتابته صعبة للغاية.

أنا أم لابنة عمرها ١٩ عاما طردت من هذا العالم من خلال بعض الاقتراحات بأن هذا مكتوب عليها ومقدر لها، استراتيجيتها هى التضحية بالنفس وأنا أعرف هذا الشعور. وإذا استخدمت جملة دكتورة دانيال ويسترمان المشهورة "هى يمكن أن تكون خيرة وليست عظيمة". وكما قلتِ فهذا "اقتراح مخادع" وهى قد خدعت.

عزيزتك

ريتا دى أورانج

إذا

لقد استوعبت دانيال ويسترمان بأقصى درجة ممكنة، ولأقصى درجات التحمل المفارقة فى الاستيعاب، فقد أتت لمكان تعرف جيدا أنه جيد، بما فيه الكفاية، عن أى وقت مضى، فهى لا تمتلك الطاقة للمقاومة أكثر من ذلك ولكنها لن تستلم أيضا، فعلى سبيل المثال رفضت أن تحتوى آلهة القدماء، وقد قالت: لا يوجد مثل هذه الإله، ولكن فقط يوجد الترضية والشرود والفتات.

قالت سالى: "لقد عاشت حياة صعبة"

وقلت بإصرار: "لا، لقد عاشت حياة مميزة ومرضية"

وقالت لينا: "ورغم ذلك هى لا تكره الرجال"

"هى بعيدة عن هذا"

فقالت أنيت: "وهو ما لن يدهش أى شخص إذا ما كرهت الرجال"

فقلت مترددة وأنا لا أريد التحدث بلسان دانيال: "إنها فقط كانت تأمل فى أن تحرز شيئا أكبر، وليست تلك الخطوات الشرعية الصغيرة التى قلما تجعلها تصل لما تريد".

هزت كل من أنيت وليت رأسيهما ولكن سالى نظرت بحيرة قائلة: "يا إلهى، إن مجرد امتلاك غسالة ومجفف فى حد ذاته تقدم، وحتى مجرد امتلاك مياه جارية، لقد ذهبت لأفريقيا ورأيت نساء لا يفعلن شيئا طوال اليوم سوى حمل أباريق المياه".

سالى لم تفهم الفكرة ولا أعتقد أن لين فهمتها أيضا، ولكن آنيت فهمتها على ما أعتقد، ربما لأنها امرأة سوداء.

فهزت آنيت رأسها ببطء وقالت: "أعرف المأساة!"

اليوم هو صباح الثلاثاء، ٢ يناير ٢٠٠١، اتصلت بمكتب السيد سبرينجر فى نيويورك وتركت له رسالة بها مفاجأة وحاسمة، وقلت فيها أننى لن أكون متواجدة حتى يوم الجمعة الخامس من يناير، فيوم الثلاثاء أتناول القهوة مع أصدقائى فى أورانج بلوسوم بغرفة تناول الشاى، ويوم الأربعاء أذهب لتورنتو، لم أشغل بالى بشرح التفاصيل الخاصة للسكرتيرة أدريان، ولكنها اتصلت بى بعدها مباشرة لتقول لى أن آرثر أذعن للأمر، وهو لن يستطيع أن يكون متواجدا فى الخامس من يناير ولكنه حتما سيصل الجمعة فى التاسع عشر، وسيأتى للمكتب فى الثالثة بعد الظهر. ويتطلع لأن يقضى أجازة نهاية الأسبوع فى القرية.

"قالت لين كيلى بطريقتها الممتعة " يقضى أجازة نهاية الأسبوع فى القرية؟ فيم قد يفكر؟ أحصنة وأشياء من هذا القبيل؟

فقلت "أعتقد أنه بإمكانى حضور حفل عشاء ولكن فعلا يجب ألا أكون منزعجة"

"حفل عشاء ريفى؟"

"وليمة نشارك فى إعدادها؟"

"يمكنك أخذه معك لسوق يوم السبت صباحا، لقد تحسن كثيرا فى الآونة الأخيرة، هناك امرأة تقوم بعمل الخرز من بتلة الزهور اليابسة.."

نعم ويفترض أن لديها رائحة عطرة لا تنتهى، ولديها بعض الطرق كى تدمجهم معا".

"هكذا تصنع مسابح الدعاء الأصلية..."

"حقا! لم أربط بينهما من قبل"

"وهناك ذلك الرجل الذى يصنع الكراسى من الغصون الصغيرة.."

"التى لا يمكنك الجلوس عليها"

"إنها نحت وليست مجرد قطع أثاث بالنسبة له، وهناك شخص جديد شعره طويل، حتى أنه وصل لخصره وهو يأخذ قطع الخشب

ويركب بها أدراجا سرية صغيرة وداخل الأدراج توجد أدراج صغيرة أخرى".

وسألت سالى "كيف تظنين أنه سيكون؟ آرثر سبيرنجر مع..."

فقلت "لا أعرف، ولكنى خائفة جدا من أن يكون.... لا أستطيع أن أقول الكلمة المناسبة، ولكن.."

"نيو أيجى؟"

"نيو يوركى"

"هل هو رائع؟ أم لا؟"

هززت رأسى وقلت "أخشى أن يصبح متملقا"

"يا إلهى"

"لا تدعيه يفعل ما يروق له"

"تملقيه إذا"

"مغرور مثل..."

"سيتوجب على أن أطلب منه البقاء حتى العشاء، أعتقد أن توم سيكون مستاء، وكذلك البنتان أيضا فهن صعبتا المراس، وقد تعلمتا كلمة جديدة فى المدرسة تعنى: تبا أو شيئا من هذا القبيل ويقلنها لبعضهما البعض وينعتان توم بها وهو يحب ذلك، ويحييهما فى بعض الأحيان، إن ناتالى تقوم بهذا التقليد الماكر..."

"دعى المراهقين يتعاملون بألفاظهم الحقيقية"

"خاصة ألفاظ نيويورك، عندما كنا هناك.."

"تحدثت معه على الهاتف مرتين حتى الآن ولم أتمكن من عدم ملاحظة أنه دائما ما يقاطعنى عندما آتى للنقطة.."

"دائما ما نقاطع بعضنا البعض، هل لاحظت كيف نفعل هذا نحن الأربع.."

"هذا أمر مختلف، ليست هناك مشكلة عندما نقاطع بعضنا عندما لا يكون هناك أساس قوى للحديث.."

"حقا؟ هل تؤمنين بهذا بالفعل؟"

"هكذا يسير الحديث، وهكذا يتم الأمر، خطوة بخطوة ولكن مع هذه التدخلات البسيطة.."

"ولكن هناك اتفاقا واضحا بينك وبين .. ما اسمه .. آرثر"

"هذا الرجل هو الناشر الخاص بك"

"هو المحرر وليس الناشر"

"ولكنه من يمكنه تحديد ما سيتم نشره وما هو مقبول .."

"يمكنه بكل وضوح أن يؤثر على رواية ريتا"

"إذا تركته يفعل ذلك"

"على الأقل ستكونين فى أرضك .. دائما ما يقولون فى كرة القدم أن الملعب على أرضك له..."

"أتعرفين يا ريتا حقيقة أنه "غير قادر" على أن يأتى فى الخامس من يناير كما اقترحت وتأجل الموعد للتاسع عشر.."

"قرار يظهر بوضوح قوة اللعبة"

"بالطبع"

"القول الفصل"

"لقد قلته بنفسى"

"كيف سيتم الأمر يا ريتا، أعنى الرواية؟"

"ببطء، هذا ما قلته".

إن الضغط من نيويورك لا يساعد إطلاقا، وبعد أجازة الكريسماس بفترة قصيرة، سيتوجب علينا أن نتأهب للعمل مرة أخرى".

"لديك حق، مجرد التفكير فيه يجعلنى مضطربة، وكلما مدح فىّ زادت شكوكى تجاهه".

هذا صحيح، أنا لم أنظر فى المخطوطة لعدة أيام، قبل التحدث لآرثر سبرينجر كنت منشغلة بطفلتى الحبيبة، والتى هى أعظم إلهاء بالنسبة لى، والسبيل الوحيد الفعال كى أخفف من قلقى حيال نورا

هـو أن أذوب فى واقع بـديل، أن أنـزل إلى مـنـطـقـة وسط المدينـة بويشوود بمنـاطقهـا المالية، وقاعات الحفلات الموسيقية، والتماثيل وزوايا الشوارع، والأضواء المحيرة للمناطق الفارغة بها، والآن أنا خائفة من ذلك، أخشى أن أفتح الرواية، وبدلا من ذلك حاولت أن أجد معلومات أكثر حول الترومبون، ودهشت من العثور على مقال كبير حول الموضوع، تبدو الترومبون بسيطة بشكل مستفز، ولكن فى الواقع إنها تتحدث عن الأسطورة والرومانسية، وحتى العظمة، وهذا إلهاء آخر، فأنا أفكر فى هذه الآلة النحاسية كما أفكر فى حثالة فنجان القهوة، وأقلبها حتى تتسع الدائرة الموجودة فى الجزء السفلى من الكأس لتصبح بحيرة بيضاوية، هناك الكثير لمعرفته.

الرواية متوقفة فى الوقت الحالى نتيجة لكثرة المماطلة، كانت أليسيا مازالت تحاول أن تقرر ما الذى يمكن فعله كى تنقذ نفسها، فهى لا تريد إيذاء مشاعر رومان، عزيزها رومان بخصلات شعر رأسه المجعدة، ورائحة المسك التى تفوح منه كرائحة طبقة الجبن الذائب، لكنها يجب أن تخبره ما أرادت منه أن يفهمه منذ وقت طويل مضى، حتى وإن تسبب هذا فى حزن والدتها وغضب والدها أو أن تسىء عائلة رومان الظن بها، فالكل سيكون فى موضع محرج، ولكنها يجب أن تضمن استقرار حياتها بالرغم من أن ذلك قد يبدو أنانية. هى تريد أن تفسخ خطبتها، ولكنها تريد أيضا أن تكون ذات ضمير حى، ربما ذلك سيعرضها لحكم أخلاقى مغلوط، ففى كل

مكان يوجد أحباء ينهون ارتباطهم، ولكنها نادرا ما تكون جريمة، أليسيا تعلم أن رومان سيعبر تلك الأزمة، ولكنها ستكون هى موضع الاتهام وكاسرة الوعود وقاسية القلب الفظة، التى تسببت فى تدمير كيان كان مشهودا له بالكمال، فالحب والزواج والأطفال هم العش الذى يؤوينا ومصدر الراحة الذى نتشبث فيه بطبيعتنا.

كلما فكرت أليسيا فى الخير المثالى، يتبادر لذهنى صورة الجرانيت بسطحه المصقول وقوته المنيعة، ولكن يمكن أن يتم تحطيم الحجر وبسهولة فى الواقع، لقد زارت أليسيا المحجر بالقرب من تل سترو ورأت الآلة العملاقة وهى تعمل، فالخير ليس مضمونا، وحياة قائمة على مبدأ يتطلب ممارسة، وعلى الرغم من وجود الأخلاق بكثرة، إلا أن الناس لا تزال ترتكب الأخطاء، فالخير أصبح مجرد مسألة ما أردنا أن نفعله دائما، كل ما هو مناسب. ولنواجه حقيقة أن الخير ليس لديه القوة، لا شىء، فكل الوعود بالانحطاط والانتهاك والانقلابات تحدث طوال الوقت، لقد حاولت أن تصف مشاعرها إلى رومان، ولكنه منشغل بمواضيع أخرى.

يريد هو أن يقضى شهر العسل فى ألبانيا لسبب واحد، أنه يصر على رأيه بشدة، لقد اشترى خريطة وتواصل مع أقربائه فى تيرانا، واكتشف انه حتى فى أفقر الأماكن بأوروبا توجد شبكة بريد إلكترونى قوية، وجدت أليسيا أن فكرة قضاء شهر العسل من الصعب التمتع بها، ناهيك عن العرس نفسه، فألبانيا بالنسبة لها

تبدو وكأنها عقاب، ومع ذلك فرومان يرهقها كثيرا، ولم يحدث أنهما جلسا وتناقشا بجدية حول مستقبلهما معا، ورومان لا يتفهم بعد أن الزفاف لن يتم، فأعصابه لا تتحمل هذا الواقع، أو أنها قاسية للغاية.

وعلاوة على ذلك، فقد تشاجر مع عازف المزمار فى سيمفونية ويشوود، وكان مركز عازف المزمار متاحا أمام رومان، واشتكت سيلفيا ودال أن الجرس الخاص بالترومبون الخاصة برومان تؤذى أذنها، وتشكو أيضا من أنها تبتل عندما يرطب آلته ببخاخ المياه، وأن شعرها أيضا يبتل وهو مجعد بطبيعته، وهو مجعد مثل شعر الساحرات مما يجعلها تفقد رباطة جأشها وإحساسها بالموسيقى، وهى تريده أن يحرك كرسيه بوصة أو اثنتين، ولكن رومان رفض وقال إنه لا يوجد مكان لتحريك كرسيه. ماذا يمكن أن يفعل؟ فقالت سيلفيا ودال، حسنا على الأقل يمكنك إعادة توجيه بخاخ المياه، فقال رومان أنه لا يستطيع أيضا، ويمكن اتهامه بسهولة أنه يمتلك حسا عاليا من الاستحقاق، هذا المستحيل.

إن العاشقين أليسيا ورومان وصلا إلى لا شىء، وقد اقترب موعد الزفاف، وأنا كمخرجة لتلك الرومانسية الساخرة وصلت إلى منتهاى فى التفكير، القصة الآن فى أوج نهايتها حسب ما يتسلل إلى خلسة، فإنى كثيرا ما قررت أن أتوقف أمام خلافات هذين العاشقين لاستخلاص النقاط المضيئة فيها التى تدمجهما سويا

ولكن كل ما أحصل عليه هو الغضب. أنا حقا مصابة بتوتر ما بعد عيد الميلاد، هل هناك مهمة أسخف من نزع زينة الكريسماس؟ نعم ولا. عادة ما أنتظر ذهاب الفتيات إلى المدرسة وتوم إلى العيادة، فهم لا يمكن الوثوق بهم فى نزع تلك الزينات الهشة وتغليفها، بالمناديل الورقية، ووضعها فى الصناديق المخصصة لها، ثم إنزال الشجرة وجرها خارج الباب الأمامى الكبير، ثم كنس الكميات المهولة من الإبر والتقاطها واحدة تلو الأخرى من القاعدة السفلية. نهار كامل أقضيه فى هذا العمل المنهجى غير المشجع .

ولكن الأمر قد تم، وأنا سعيدة بانتهائه، وقد رحبت بهذه المساحة التى استعدتها، والآن يمكننى التفكير بشكل أفضل.

أحاول إعادة تنظيم المكالمة الهاتفية مع آرثر سبرينجر، ولكن لم أتذكر إلا جزئيات قليلة، لقد قال شيئا عن الحج، وهو الأمر الذى لم يكن منطقيا على الإطلاق، أعتقد الآن أن كلماته كانت تحتوى على تلميح من نوع ما، كان المطبخ مليئا بشكل خاص صباح اليوم الذى اتصل فيه، فقد استيقظت كل من ناتالى وكريس متأخرتين فى عطلة عيد الميلاد وكانتا تصنعان فطائر فى الفرن، فى محاولة لكتابة الحروف الأولى من أسمائهما على الكيكة المقلية، وجعلتا صوت الراديو عاليا وخاصة على محطة روك صاخبة، وكانت غسالة الصحون تعمل وتوم ينزل على الدرج بتثاقل وقلبى يخفق، فلا عجب أنى لم أسمع أى شىء على الإطلاق.

أبدا

استكملت كل من ناتالى وكريس زيارات يوم السبت إلى باثورست وبلور، وقبل عيد الميلاد أخذنا لنورا حزمة عيد ميلاد ضخمة، وأشياء جميلة أخرى مغلفة بشكل جميل، وبدلة رياضية ذات بطانة حرارية وصابونا معطرا وفرشاة ومشطا وكيسا كاملا من الفاكهة والشوكولاته، تخميننا الجماعى أنها أعطت كل هذه الأشياء للغرباء على الفور، ولكن يمكننا أن نقبل ذلك، علينا أن نقبل به بما أنه لا يمكننا التوقف عن التفكير فى الأمر.

ما أريده هو عملية جراحية دقيقة ونظيفة، فالجزء العلوى من رأسى منشور بعناية ويجب إزالة بعض الأشياء، تخلصت من هذا الأسبوع فى الربيع الماضى، عندما لم نكن نعرف أين كانت نورا، واستخرجت الدم المتدفق من جبين ناتالى منذ سنوات فى نفس هذا التوقيت، عندما وقع كرسيها العالى فى الحديقة وارتطم بالسياج، كل جروح الجسد سوف تندمل، حتى الجروح التى رأيتها على رسغى

نورا الأسبوع الماضى، فنصف البوصة بين قفازاتها وكُم المعطف، بها دائرة من التقرحات الحمراء، وأزلت كل موسيقى My Fair Lady وذكرى والدتى وهى ترسم الصين، بعد أن توجب عليها أن تكون فى رعاية دار رعاية، لأنها لم تتمكن من التأقلم، حتى إنها لم تستطع أن تتذكر اسمها بعد وفاة والدى، وبعدها بدأت فى الحيض فى القطار فى طريقى إلى أوتاوا، كنت بطبيعة الحال أرتدى بنطلون بدلة أبيض جديدا، والتهاب المثانة الذى أصاب كريس عندما كنا فى فرنسا، حيث لم أتمكن من تذكر كلمة مثانة لخمس دقائق كاملة، وهذا الخلاف الذى نشب بينى وبين توم فى الذكرى السنوية الثالثة للقائنا فى ميدان ناثان فيليبس، لم أتمكن من تذكر سبب الخلاف، ولكن كل منا قال الكثير من الكلام وبقسوة، لا يجرؤ أى منا على العودة إلى تلك اللحظة عندما اقتربنا من الفتك ببعضنا، وبعدها لأيام ظللنا نرتجف ونهمس ونتعلق ببعضنا البعض طوال الليل.

ارتبك توم عندما وصفت التقرحات الموجودة على رسغى نورا، وخمن قائلا أنه ربما يكون تورما فى الأصابع وربما مرض ديكنسيان الذى يأتى بالتعرض للجو القاسى.

"ألا تظن أنها يمكن أن تكون قد أصيبت بموس و..."

فهز رأسه قائلا: "لا.. ما قلتِه مثل الطفح الجلدى"

ألقى نظرة عليها يوم الجمعة عندما كان فى تورنتو، والآن هو ليس متأكدا، ولكنه قد تردد من الاقتراب منها، لأنها كانت تروح

وتجئ فى ركنها، لم يرد أن تظن أنه يتلصص عليها، وحدثت له أكزيما شديدة، وترك جرة من كريم الكورتيزون بجانب مربع الورق المقوى الذى تجلس فيه، ومن Honest Ed's ترك زوجا من القفازات ذات جلد الغنم الذى يغطى المرفقين إذا أرادت أن ترتديهما.

ما لعبة التخمينات التى نلعبها مع ابنتنا هذه، لم تشعر بإحساس الأبوة منذ أن كانت طفلة، ولكن خلال كل هذه الأوقات كل مجهودتنا قائمة على الافتراضات.

وهناك علماء أنثروبولوجيا الرقص مثل أنيت هاريس والتى قالت لى عن هذه الظاهرة، وهى من حاولت استعادة باليه نيجينسكاى الذى انتهى عصره، معتمدة على بقايا الموسيقى والاستعراض وعنفوان بداية القرن العشرين، وكتبت على هامش يومياتها بالنقش نصف دزينة من الألحان الخاصة بالأنغام الموسيقية، إن هذا العمل مرهق للغاية ومحكوم عليه بالفشل، وهذا التدريب مثل ما نفعله أنا وتوم عندما كنا نتشاور حول نورا: صحتها وعقلها والطفح الجلدى على معصمها وتغذيتها والطبقة الملساء التى تغطى عينيها الباهتتين، وما قيل من أخواتها، وما تفكر فيه كلما مشت إلى ركنها كل صباح وبعد ذلك تعود إلى المأوى فى الليل. ولماذا؟

كان توم لديه شبه يقين انها تعانى من آثار ما بعد الصدمة، المشكلة، كما يقول، هى تحديد الصدمة وجعلها مرئية بصورة

وحشية، ولكن الأصالة تحول الحدث من تكرار الواقع إلى مجرد ذاكرة، والتى يمكن أن تستوعبها الدماغ، وقد توقف عن جميع فحوصاته عن التريلوبيت حول التوتر والصدمة، جلس منحنيا على جهاز الكمبيوتر الخاص به فى المساء، وبحث على الإنترنت كثيرا وبحث كثيرا عن علاج الصدمات النفسية، والصدمة من الإجهاد وتاريخ حالة الصدمة، ويوجد فى غرفة نومنا كومة من الكتب والمجلات عن هذا الموضوع.

حسنا، إنه طبيب، وفكرة التشخيص والعلاج تأتى إليه بشكل طبيعى، وهو قوس إيقاعى بين السبب والنتيجة، والتى تُحدث إرضاء داخليا لديه، وكيف لى أن أجسد هذه الحالة الذهنية، فهو بسيط جدا ونظيف جدا، وأتمنى الآن لو كنت جعلت رومان يعمل كطبيب بدلا من أن يكون عازف ترومبون، ولكن الوقت قد تأخر لمثل هذا التعديل، لا أستطيع أن أراه بدون ومضة هذه الآلة النحاسية فى يده وفمه ينفخ فيها، وإلى جانب ذلك فقد كان عازف ترومبون فى الرواية السابقة، ولا يمكن أن أرسله لكلية الطب لمدة أربع سنوات بشكل متعسف، ناهيك عما بعد الدراسة وبدايته كطبيب.

أعتقد بشكل حماسى أنه على الروائى أن يعطى شخصياته شيئا ما ليقوموا به، ويميل الرجال والنساء فى قصص الخيال، من وجهة نظرى، إلى الانهيار إلا إذا ما شوهدوا وهم يقومون بعملهم، وينهمكون فيه، فالمهندس المعمارى يُرى فى حالة من التركيز على

طاولة المسودات، والراقص يفكر فى كل خطوة يؤديها، ومبرمج الكمبيوتر يترنح ما بين المعلومات والوصول للبرنامج، وتؤمن إيما آلين بأن الفرحة الكبيرة للخيال الذى يدقق فى البحث، تأتى من رؤية البطل الذى يعمل وهو منشغل فى كل دقيقة بالعمل، والعمل فى روايات الجريمة دائما محل النظر، والعمل هو بيت القصيد.

لقد قرأت روايات عن أساتذة لم يدخلوا الفصول الدراسية نهائيا، فهم دائما فى إجازة مدفوعة الأجر، ويذهبون لحضور مؤتمر فى هاواى، والبطل الفنان الذين لم يمسك فرشاة رسم، وهو دائما مشغول فى المقهى المحلى، ومشغول بحياته العاطفية أو بالجسد أو الحزن، وهل قامت عالمة النبات الشابة الرائعة ذات الشعر الذهبى بتسلق أحد التلال ذات العشب، وهى هائمة على وجهها وملأت جيبها بالأنواع النادرة؟ لا فنحن نراها فقط بعد العمل أو فى عطلة نهاية الأسبوع، عندما تذهب إلى الحفلات وتقابل محامين روائيين شبابا ليس لديهم قضايا للعمل عليها ولا ملفات ولا مكاتب ولا قاعات محاكم يُظهِرون فيها مهاراتهم، فعامل البناء الأجش يقوم بممارسة الجنس بين فترات العمل مع رفيقة متخرجة من الجامعة ذات شعر أشقر من ماونت هوليوك، ماذا عن ذلك؟ أريد أن أراه مرة واحدة فقط بآلة حفر هوائية فى مقابل جسده تجعله يهتز كالغبى، ولكن ماذا لو كان الروائى متخرجا من كلية يال غراد وكذلك كان أبوه؟ ماذا يعرف عن كيفية عمل تلك الآلة وكيف تنقل

أعصابها إلى عظام وبطن الإنسان، وقد نرى الشاب الفقير يصل إلى فهم إنسانى، أو يكتشف شكسبير فى الحديقة أو سينما فرنسية، شىء من هذا القبيل، ولكن تقل فرص رؤيته وهو يعمل.

أنا أحب العمل، وعندما أقابل الناس أحب أن أسألهم دائما عما يفعلونه، ولكن أخبرتنى كيلى لين أن هذا الحديث لم يعد مسموحا به فى المحادثات، فهناك الكثير من الناس الذين يعانون من البطالة أو يخجلون من عملهم، فمنهم من يعمل فى التجميع بمصانع صنع الواقى الذكرى على سبيل المثال، أو إبادة الصراصير، فالعمل قد يكون قبيحا والعمل مسألة حساسة، وفى آخر مرة سألت امرأة عن عملها فى حفلة عيد الميلاد منذ بضعة أسابيع، ونظرت إلى قائلة أنها لا تفعل شيئا، ثم نظرت إلى بقوة وقالت إنها لا تعطى محاضرات أيضا (عندما يتعلق الأمر بعملية جراحية دقيقة أعتبر هذا الأمر واحدا من المواضيع التى أخطط أن أزيلها).

ولكن لماذا جعلت رومان عازف ترومبون فى المقام الأول، إذا لم أكن أعرف شيئا عن الترومبون؟ لأننى كنت أجلس فى غرفتى وأفكر فى فقرة فى الفصول الأولى، وكان بيدى مشبك أوراق فرنسى أحركه بين أصابعى، فعندما كنا فى فرنسا أحضرت صندوقا كبيرا من مشابك القصاصات الورقية، والتى لها نهاية مدببة فى أحد طرفيها وليست مستديرة، وهى تبدو مختلفة عن مثيلتها فى أمريكا الشمالية، فهى تبدو فرنسية وأنيقة، وهى معروفة للفرنسيين الذين

يحبون ضغط الأشياء، مثل الترومبون، وهكذا حصل رومان على عمله فى عالم النحاس الأصفر، من خلال حادث فى المجتمع، لأننى أنا الكاتبة المتوقفة للرواية الأولى، أمسكت فى أحد الأيام بعد الظهر بآلة ترومبون صغيرة وفكرت فى أن أجعل بطل روايتى يقوم بعمل حقيقى.

هورست راسيش هو بطل رومان ومعلمه، ويقول إن الترومبون يحتاج إلى مجهود لإصدار الصوت عكس التشيلو، والذى يخرج صوته فى شكل نبضات بطيئة طويلة، علمه راسيش كيف يتعامل مع النغمة بهدوء ولكن بوضوح، وكيفية الحفاظ على النغمة ثابتة. والهدف النهائى هو "الجمال النغمى"، ولكن رومان بدأ الدراسة الجادة فى سن الرابعة عشرة فى Weschke Modell Kruspe، والذى كانت أسرته بالكاد تتمكن من توفير مصاريفه؛ كان جده يحتفظ بالنقود المعدنية فى جرة من أجل شراء الآلة، وتم اختيار كونشيرتو ساش من أجل اختبار نصف الفصل الدراسى الأول، ولم يكن رومان يتذكر لماذا تم اختياره بالتحديد، ولكنه نجح بشكل ملفت للنظر. وقد أحب فكرة أنه متميز وبدأ فى التدرب أكثر وأكثر، حتى يصبح أكثر تميزا طوال الوقت، وقد تعلم فى نهاية المطاف كيف يؤدى مع الدقة،المقطوعة الثامنة والثلاثين والسادسة عشرة والثانية والثلاثين، وقد تطور بشكل رائع، وفى ساعات الراحة كان يستمع لموسيقى الجاز: "سليبى لاجون" و"ستاردست"، "عاطفتى تزداد

تجاهك"، ولكن كان عليه أن يخفى هذا الجانب من نفسه عن الأصوليين، لقد كان جيدا وأكثر من جيد كما أكد تعيينه فى سيمفونية ويشوود.

الترومبون من الآلات صعبة الإتقان، ونتيجة لكثرة الاحتكاك بين أجزائها الداخلية و الخارجية فإنها تحتاج للتزييت، المستمر، فى وقت من الأوقات تم استخدام كريم بوند المرطب للتزييت، ولكن مؤخرا أصبح هناك منتجات مخصصة لذلك كقطرات السيلكون وتستخدم أسبوعيا مع صابون سائل دهنى، أغلبية الأبواق تحتاج لرشها من الماء باستخدام بخاخة من وقت لآخر، لإبقائها رطبة وزلقة، الجزء الذى على شكل حرف f فى الانجليزية أحدث تغييرا كبيرا فى شكل السيمفونيات المعزوفة بهذه الآلة، لأنها تضيف بعض النغمات للمعزوفة الموسيقية ورومان يحب مثل تلك المعزوفات، وهو أيضا يدرك كم هو محظوظ كونه عضوا فى أوركسترا بارزة، أصبح رومان يعانى من حكة فى قدميه هذه الأيام، بالإضافة إلى أن خلافاته مع سيلفيا وودال عازفة المزمار قد وصلت إلى ذروتها فهو حقا يكرهها، ولديه أيضا رغبه عارمة لزيارة ألبانيا أرض أجداده.

كروائية، أحيانا أتفاجأ من التعقيد الموجود فى وظيفة رومان وحينها أسأل نفسى كل يوم كيف ورطت نفسى فى كل هذه التعقيدات.

جعلت أليسيا تعمل فى مجلة مغمورة للموضة، ما جعلنى أشعر بالندم، فكل معلوماتى عن أجواء العمل فى المجلات يأتى من التلفاز أو الأفلام، وليس لدى أدنى فكرة عن الأجواء فى مجلة للموضة أو عن كيفية التعامل مع العاملين فى المجلة، وأحب أن أميل فى اعتقادى إلى أن أليسيا ترى الأمر من خلال الاحتيال فى مجال الموضة، أو أنها ارتقت بالموضة لمستوى الأسلوب وبالأسلوب لمستوى القدرة على النشر، وكل ذلك مختف بعناية تحت عناوين أنيقة وعقلانية، فأنا أعتقد أنها حين تكتب عن القفازات والحقائب أو الأحذية أنها تبحث فى تاريخ أو فلسفة هذه الأشياء، هى تستمع بها من باب الاحترام فقط، وإلا كانت من فرط الاشمئزاز التحقت بجامعة ويشوود، وحصلت على درجة الدكتوراه فى شِعر المرأة الصينية فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر. ولكن تغيير العمل بهذه الطريقة شىء كارثى، وأشك فى قدرتى على أن أجعل هذا التغيير مقبولا لدى القارىء، والذى يسعد بأن يبقى فى غرف معطرة وممرات أنيقة مثل تلك التى فى مجلة إكس، هناك شىء يجب أن يؤدى لتلك الدَفعَة، شىء صادم يجعل أليسيا الصادقة والجادة والتى تعمل بكد، والمخلصة تترك عالم الموضة لتعمل فى المجال الأكاديمى، وحينها سيتوجب عليها أن تكتب الأطروحة، وسأصبح امرأة تكتب عن كتابات امرأة تكتب عن كتابات المرأة، وهذا من شأنه أن يؤدى مباشرة إلى غرفة الصدى، والتى بها تراجع

لا حصر له بصحبة فتاة هولندية صغيرة، وهى الفتاة التى تطهر الحمام، وقد تضاعف الرؤية ولكن من منظور به بعض الانحسار.

المشكلة هى أننى لست متأكدة من تأثير الصدمة، ويمر أمام عينى أشياء بديهية تلغى كل ما هو مغر وجميل فى نظرية الجمال المفرط، أليس جنسنا أذكى من ذلك؟ فى مكان ما فى أدمغتنا يجب أن تكون هناك كتلة عصبية على شكل حبة فول تسجل النسب النسبية للأحداث، وتفصل التجربة الاستثنائية التى يمكن ببساطة ألا نبالى بها لأنها استثناء عن التراكم البطىء والمضطرد للمعرفة المتزايدة، والتى تصل بنا فعليا إلى حافة الهاوية، فإصابة واحدة صغيرة تؤدى إلى أخرى حتى ينقلب النظام برمته.

لا أقول هذا فى الواقع بصوت عال لتوم حينما يستفيض فى موضوع الصدمات النفسية، آملا أن ينقذ نورا أو على الأقل يفهم ما بها بأن يتتبع الشئ الذى طرأ عليها فى الربيع الماضى، وتسبب فى خروجها من حياتها، لا أريد أن أثبط من سعيه حتى وإن أدى للاشىء، فإن ذلك يساهم فى إلهائه، فربما إيجاده لأمثلة مشابهة قد يجعله يصدق، ولكنه مثلا متأكد أن أمه قد تعرضت لصدمة حيال موقف نورا، ويشك أيضا فى أن دانيال ويسترمان ربما تعانى من صدمة نفسية من أيام الطفولة، وبالرغم من كونها فى الخامسة والثمانين فإن صدى الأزمة لايزال يتردد بداخلها مصحوبا بخزى أو خسارة أو حزن غير معروف ولكنه من نوع محدد للغاية .

ولأن توم رجل ولأنى حقا أحبه فلم أخبره أننى أعتقد أن العالم ينقسم إلى قسمين: بين أولئك الذين تسلموا السلطة قبل ميلادهم أو فى فترة الحمل، وكما يبدو أن الكروموسوم ليس رمزا عشوائيا، فهو يرمز لمن يقولون نعم دائما، والقسم الآخر مثل نورا ودانيال ويسترمان وأمى وحماتى وأنا ومثلنا جميعا الذين يشغلون خانة الذات الأنثوية الأخرى غير المشفرة، والتى تبرز فيها قدراتنا لإثبات أنفسنا، وادعاء أن حياتنا قد تم استبدالها بإجبارنا على غلق أجسادنا وكتم أفواهنا حتى نصبح لا شئ فى مواجهة الألعاب النارية والنجوم المشعة والضوء الذى يعمى الأبصار الناتج عن الانفجار الكبير، تلك هى المشكلة.

إن البكاء مُغَال فيه كثيرا، وفى النهاية فأنا محررة وأستطيع أن أتعرف على الحبر الأرجوانى عندما أراه، إن المشاعر مفرطة وغير مرتبة وفضفاضة وأنثوية، ولكنى أريد أن أفصح عنها جميعا ولو حتى لنفسى فقط، إن الإفصاح شىء من الشجاعة، ولكنى فقط أتمسك بالحقيقة، ودائما ما أصل متأخرة.

ولهذا

١٠ يناير ٢٠٠١

عزيزى بيتر (بيبى) هاردينج:

إذا! لقد توفيت، قرأت النعى الخاص بك صباح اليوم فى جلوب آند ميل بينما كنت أجلس فى ركن مشمس فى غرفة المعيشة الخاصة بى، إنك حتى لا تريد أن تعرف كيف هو الجو بالخارج، إنه سيئ للغاية، وتقرير الأحوال الجوية على الراديو بدا وكأنه شعر وأسموا ما نعانيه هذه الأيام "البرد القارس"، وهى جملة تبدو وكأنها من ملحمة أنجلوسكسونية قديمة، وهناك رياح عاصفة أيضا، أكثر دناوة من مخلفات الكلب، كما ذكر فى الأغنية القديمة.

منذ سنوات كنت أنتمى لمجموعة كتابة صغيرة، وكانت قائدة مجموعتنا امرأة تدعى جوين ريدمان، ونصحتنا بقراءة النعى لأنه يحمل لب السرد بتفاصيل صغيرة، مثل جينات معبأة بإحكام فى

الكروموسومات المنفصلة عن بعضها البعض، ودائما ما تشير جوين إلى هذه النشاطات الصغيرة على أنها متداخلة، ولكنها شخصية جدا وحقيقية وغريبة بشكل كبير وقادرة على أن تعزز النسيج الرقيق للخيال التنبؤى، وتحويله إلى أشكال غير متوقعة، قرأت مؤخرا على سبيل المثال نعيا عن امرأة عجوز كانت بطلة لاكروس مانيتوبا عام ١٩٣٧، وعندما فكرت فى الأمر كان كالتالى: امرأة حملت انتصارها خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، وفى أحداث شغب الستيينات خلال الحقبة الطويلة تحت قيادة بيير إليوت ترودو ورونالد ريغان ومارجريت تاتشر، وصولا إلى أواخر التسعينيات، عندما حصل أحفادها كما أخمن على جهاز كمبيوتر، يمكنهم من خلاله الدخول الى شبكة الإنترنت، حيث وجدوا بعد بضع دقائق من البحث عددا من صفحات الويب المخصصة لهذه اللعبة التى انقرضت تقريبا، ووجدوا ذكرا لاسم جدتهم، وكم كان الأمر مدهشا! ولا يزال هذا الاسم بارزا هنا بين فتات الزمن، إنه اسم بطلة.

حزنت بشدة عندما قرأت أنك ناضلت طويلا مع مرض السرطان، ولكن "بشجاعة" حتى النهاية، كما يقول التقرير، لقد عشت حياة مثيرة للغاية، وأنا متأكدة أنك لم تحلم بأن تنشأ فى مزرعة ساسكاتشوان الفقيرة، كى تحصل على منحة دوجلاس ماكجريجور، وينتهى بهك المطاف فى تورونتو، فأنت مدرس محبوب

فى كلية كندا العليا الخاصة بالنخبة، وأنت دائما ما تعطى طلابك أفضل ما لديك، ولذلك عندما تقاعدت فى عام ١٩٧٥ جاءوا جميعا وقاموا بعمل حفل شواء فى بيت هارت، وهو حدث ملئ بالدفء والتقدير، الذى يتحدثون عنه حتى يومنا هذا، ستفتقدك زوجتك كاى وكذلك أطفالك، جايل وإيان وأحفادك الثلاثة، وزملاؤك القدامى الذين زاروك فى المستشفى، وأنت جالس منتصب على تلك الكراسى القوية والصلبة الخاصة بالمستشفى.

لقد كنت مرتاحا فى أيامك الأخيرة، وهذا هو ملخص الإشعار الخاص بالنعى، وبكومة الكتب الموجودة على الطاولة جوارك، فأنت لن تفترق عنهم؛ مارك توين، جاك لندن، سنكلير لويس، فيتزجيرالد، همنغواى، فوكنر، جويس، بيكيت، وإليوت، ليونارد كوهين، فنصوص هؤلاء الكتاب شكلت لك "عالما بأسره"، ووصلك "عالم كامل" آخر من خلال سماعات الأذن التى قدمها لك النُزُل، والتى شكرتها عائلتك عليها: باخ، بيتهوفن، وموزارت، كلهم ودعوك عند موتك.

أنا أمر ببعض الأيام القاتمة يا سيد هاردينج، بيبى. (المراهقون صعاب المراس الذين تعرف عنهم بالتأكيد بعض الأشياء بحكم عملك بالتعليم لسنوات ومن عائلتك)، وأنا أيضا أتوق لراحة "العالم بأسره"، ولكن لا أعرف كيفية فعلها وكذلك أكبر بناتى. إننى أشعر بشىء غير مكتمل فى الأمر كله، مثل صب البرونز الذى يوجد به

فتحة، قطعة أثرية موجهة من قبل بعض الخلل غير المرئى كى تتحطم. وكذلك أخشى أنى أفتقد شيئا ما، وأن نورا تفتقد شيئا ما.

وداعا، ولترقد فى سلام ولتسر فى طريق جيدة، كما يقولون فى سوازيلاند، حيث أمضت صديقتى سالى باشيلى عاما، وهى تدرس لنساء القرية كيف يصنعن فساتين لأنفسهن، وكانوا يسمونها "أربع ساعات للفستان"، وهذه هى المدة التى تحتاجها لعمل الفستان بدون آلة الخياطة، وكان التصميم خاصا بسالى.

إنى حزينة من أجلك أيضا

ريتا هاى ورث

مدينة أورانج بلوسوم

على الفور

"ريتا!"

"آرثر"

"أخشى أنى لم أتأخر كثيرا، فالطرق كانت مزدحمة بشدة وبعدها ضل التاكسى طريقه وظن أننى أريد الذهاب لأورانج فيل وليس أورانج تاون، ويبدو أن هناك فرقا كبيرا بينهما"

"حوالى خمسين ميلا والأمر يضلل الكثيرين بشكل كبير، تفضل بالدخول لأن الجو بارد، دعنى آخذ معطفك، ظننت أنك ستكون أكبر سنا".

"سنى تسعة وثلاثون وأنت أربعة وأربعون، عرفت سنك من ملفك".

"أعتقد أننا تقريبا معاصران، ولكن ليس بشكل كبير"

"يـالـه من منـزل رائـع، دخـان الخـشـب ,أشـم رائـحـة دخـان خـشـب التدفئة ,وهنـاك نـار وربمـا هـى مصدر تلك الرائحة الرائعة "

"أعتقد أنه بإمكاننا أن نجلس.."

" لـيس هـنـاك مـثل نـار خـشـب الـتـدفـئـة وصـوت طـقـطـقـتـهـا، فـى نيويورك فقط قلة محظوظة لهم القدرة على امتلاكها والقدرة على تحمل تكلفتها، عشرة دولارات لكل أربع عصى صغيرة ,وبالتأكيد أجود أنواع خشب التدفئة هو خشب القار، يالها من غرفة رائعة يا ريتا، وهـذه النوافذ الجميلة، يا للروعة. إنها تُظلم الآن بالرغم من أن الساعة الرابعة والنصف وذلك بالطبع لأننا فى أقصى الشمال مما يجعل هناك فرق توقيت" .

"هل تريد بعض القهوة ؟ لقد قمت توا....."

"قهوة، نعم "

"أو ربمـا لأنك خرجت للتو من سيارة الأجرة فى مثل هـذا الجو، ربما تحتاج لبعض النبيذ الأحمر بالرغم من أن الوقت ما زال مبكرا"

"لا أريدك أن تفتحى زجاجة خصيصا لى"

"أنا متأكدة أن لدينا واحدة مفتوحة، أنا فقط سـ .."

" حسنا هل هذا مكان عملك؟"

" لا ليس فى هـذه الغرفة تحديدا، هـذه غرفة المعيشة. لدى مكان خاص بى فى الدور الثالث حيث...."

"يا للهول"

" آمل أنه ليس لديك حساسية من الكلاب"

"لا، ولكنى فقط تفاجأت"

"إنه غير مؤذ تماما، أليس كذلك يا بيت؟ إنه حيوان أليف ومطيع جدا بالرغم من إنه استغرق وقتا طويلا لتدريبه لذلك نطلق عليه "بيت".

"وعائلتك ؟ هل هم هنا الآن؟ "

"الفتيات سيكن فى المنزل فى غضون ساعة، فلديهن تدريب سباحة بعد المدرسة اليوم، وزوجى توم سيأتى قريبا وربما يكون لدينا فرصة لتناول العشاء سويا، عشاء بسيط "

"من دواعى سرورى أن ألقى مثل هذا الترحيب الحار، لا أود أن أكون مصدر إزعاج، ولكن هذا المنظر الجميل مع الضوء الخافت ورائحة الأزهار فى الجو القادمة من خلف الأشجار، وبالتأكيد هى مصدر الهدوء، فأنا أكره استخدام لفظة "موحٍ" فقد أصبحت كليشيها كَثُرَ استخدامه، لكن هذه المرة أعتقد أن هذا صحيح، فأنا أرى هذا بوضوح فى السلام الموجود هنا، وأشجار البلوط والقبقب، ومرور الأيام بهدوء لتؤكد وجودها، شكرا لك فالمواسم تمر سريعا، ممم، نبيذ أحمر رائع وخفيف، ليس الوقت مبكرا أبدا على مثل

هذا النبيذ فمازلنا بعد الظهر، اسمحى لى أن أقترح نخبا لروايتك الجديدة، نخب أليسيا وورومان، والآن أخبرينى كيف يسير الأمر؟"

"لقد قمت بطباعتها هذا الصباح، ها هى ذى، أو ربما معظمها"

"دعينى أرى، إن حجمها مثير للإعجاب، ثلاثمائة صفحة، لقد أضفتِ إليها قدرا لا بأس به منذ أن قرأتها فى ديسمبر، لا بأس به"

"مازال لدى المئات من الأشياء لإنهائها، بعد التصحيح والبحث والفصل الأخير"

"آها نعم، الفصل الأخير هو الأهم"

"الفصل الأكثر صعوبة"

أتفق معك تماما، فهو أمر مهم، وإلا ما هى وظيفة كاتب الرواية؟ هل عليه أن يضع نهاية للقارئ، أو أن يترك النهاية مفتوحة؟"

"هل تعنين....؟"

"ريتا، أظن أن الفصل الأخير فى الفرن، وقد قمت بإعداد الوعاء والفخار لا يزال غضا، ولكن النهاية هى ما ستقوى كلماتك لتصبح جميلة وقوية أو جميلة وبالغة الرقة".

"يالها من فكرة رائعة، فقد كنت أفكر بالأمس فى الطريقة التى يشكل بها الحداد قوالب البرونز بشكل غير متوقع فى الفرن، والآن أنت ذكرت الآنية الفخارية فى الفرن"

" لقد عنيتها بشكل استعارى"

" وأنا أيضا"

"كنت أعرف أن أرواحنا متشابهة يا ريتا، على الرغم من أنه يجب أن أقول لك أننى أؤيد عدم تحديد نهاية فى حالتك بالذات، فهناك خطر ما كما ترين، وهو أنك قد تتفهين من بحث رومان عن الهوية، والذى لا يزال مستمرا، وسيستمر للأبد".

"هل يمكننى أن أعطيك القليل من النبيذ؟"

"بكل سرور، إنه جميل وجاف، وهو أفضل شىء لأول لقاء لنا وجها لوجه، وهو من الاجتماعات التى تعد صعبة نوعا ما"

"أريدك أن تعرف سيد سبرينجر، أننى سأتقبل تماما أى اقتراحات فى تحرير الرواية".

"نادنى بآرثر من فضلك، من الرائع أن أعرف أنكِ لا تتدخلين فى التحرير، وأنا أفهم أن السيد سكريبانو لم يحرر رواية My Thyme Is Up، لقد كان المحرر بكل تأكيد ولكن اسميا، وأخبرتنى مصادرى أنه لم يتدخل إلا بشكل بسيط جدا، فى سبيل إعادة تشكيل العمل".

"ويطلب منى أن أقسم فقرة واحدة طويلة للغاية إلى قسمين، وأعتقد أنه كان اقتراحا ممتازا. وكنت سعيدة بـ..."

"أعتقد أننى أخبرتك على الهاتف أننى أحب أن اقترب أكثر من الكاتب، لصالحه ولصالح سكريبانو ولورانس، وما أريده أنا كمحرر وأنتِ ككاتبة هو أن يكون بين أيدينا أفضل كتاب ممكن، ألا توافقيننى يا ريتا؟ هل قرأتى Darling Buds، هذا الكتاب لى وقد سعدت بالعمل عليه، وهو مثال للرواية الكوميدية التى لم تفقد للحظة اهتمامها الأساسى بالصورة الرئيسية".

"ألا وهى ..؟"

"إنها السعى وراء الهوية.. الهوية".

"يمكن أن تكون الهوية.."

"الهوية هى السر المهيمن فى حياتنا، والمسألة المقدسة للذات، ولا يسعنى إلا الاستسلام لمصيرها الساخر، والذى هو: لا يمكن معرفة الذات أبدا، وهذه هى مشكلة حياتنا ببساطة، ولهذا فإن Darling Buds كتاب عميق عن الوجود، وأنا أعترف أنه ككتاب حقق un succès d''estime، وهذا تعبير فرنسى يعنى (نجاحا ساحقا).."

"نعم أعرف معناه".

"لم يحقق الكتاب أعلى مبيعات، فأمة تأخذ ثقافتها من التلفاز لن يهتموا بالفن ويأخذوه على محمل الجد، طالما أيضا أن الوجبات السريعة متاحة، ولكننى جاد يا ريتا، وأريدك أن تعرفى هذا، أنا

محررك، وأهتم بالأدب كثيرا وبأهميته، وأعتقد أنك كذلك أيضا، وأنا متأكد من هذا فعليا".

"ربما ستتركنى أملأ كأسك مرة أخرى".

"إنه نبيذ رائع كما ترين، دعينى أشرح الأمر لكِ، أنا وسكريبانو ولورانس سعداء للغاية بهذا العمل، ولا نحتاج لنشر كتب كبيرة الحجم".

"ولكن عليك بكل تأكيد أن تركز على مبيعات الكتب والقراء الذين.."

"أعتقد أننا فى موقف جيد للغاية الآن، هل سمعت عن جون لورد مورجان؟ وويلفيرد لارانزو؟

"ربما بشكل مبهم، ولكننى فعليا لم..."

"كلاهما يعمل معنا، فمورجان يكتب دراما عن المحاكم، ولارانزو يكتب قصص الخيال ونحن سعداء أنهما معنا. فهما يبيعان جيدا، بشكل يجعل باقى كتابنا على قيد الحياة، ولدينا كتاب الأدب الجاد وكتاب آخرين".

"أنت تقول هذا..."

"أنا أقول يا ريتا إننا موجودون فى السوق بسبب جودة أدبنا".

"عكس لـ..."

"عكس الأدب الشعبى".

"آها".

"نريد أن تنشر الرواية، روايتك، ونحن على استعداد لذلك، ولا أريد أن أحيرك بهذا الشأن".

"ولكن".

"ولكن يجب أن تعلمى أن Thyme in Bloom يمكن أن تصبح أحد الكتب المميزة فى عصرنا، وهناك إمكانية لهذا، فروايتك قد تصبح قطعة أثرية، وكل شىء فى مكانه الصحيح، ومجرد تغيرين أو ثلاثة فى وجهات النظر، يمكن أن تنتقلى من الرواية الشعبية لعمل فنى".

"على أعلى مستوى"

"صحيح، أنت امرأة ذكية وكنت أعرف أنك ستفهميننى، ولكن فى النهاية روايتك قريبة جدا من أن تصير عظيمة، ولدينا الفرصة لهذا يا ريتا ولهذا قطعت كل هذا الطريق وأتيت إلى الشمال لأخبرك أن روايتك الجديدة ليست مثل الرواية الأولى، فرواية My Thyme Is Up كانت مختلفة تماما".

"لقد فزت بجائزة أوفيندين"

"بالضبط"

"ولكن الكتاب الجديد تتمة لهذا الكتاب".

"هذا أول شئ يمكن أن نعمل عليه، ربما أرغب فى المزيد من النبيذ، جميل للغاية، هل تعرفين أنه فى المتوسط تحقق التتمة ثلثى مبلغ المال الذى تحققه الرواية الأصلية؟"

"ولكن أعتقد أنك قلت إن المال ليس القضية الأساسية.."

"ليست كذلك، وقد أبليت بلاء حسنا فى روايتك الأولى، ليس ملايين بالطبع ولكن حققت عائدا جيدا للغاية وكذلك الغلاف، ولكن عملك الحالى له قيمة مختلفة تماما، إن الصفحات التى أمامنا عن الوضع الأخلاقى الأساسى للعالم المعاصر، وأعتقد أنه من المهم للغاية ألا نقدمها بالعنوان الذى اقترحته والذى هو Thyme in Bloom وأنا شخصيا أفضل Bloom فقط".

"bloom فقط؟"

"يالها من كلمة، إنها موحية ولكنها لا تعبر عما أريد ويمكنك أن ترى كيف أنها تشير إلى Bloom of Ulysses و Leopold Bloom وإلى كل رجل عظيم"

"ولكن اسمى مرتبط بـ..."

"مرتبط بأدب الخيال الخفيف، وهذا هو السبب فى أننى خلال تفكيرى على مدى الأسبوعين الماضيين فضلت الاسم المستعار، المشكلة هى أن تجد الاسم الصحيح، ماذا كان اسمك قبل أن تتزوجى يا ريتا؟ وهل لديك اسم ثانٍ؟"

"ريتا روث سامرز"

"رائع أنا أحب سامرز، فهو يناسب Bloom تماما ,أليس كذلك؟ Blooms Day وما إلى ذلك، ونحن الآن فى شهر يونيو، هناك نوع من الفاصل الدموى الخارق للطبيعة، ليتنا فقط نستطيع التغلب عليه. نحن سكريبانو ولورانس نستطيع تقديمك ر.ر. سامرز. لقد أحببت هذا الاسم فهو يبدو قويا وجديدا. كاتبة جديدة، اكتشاف جديد ر. ر. سامرز.

"ولكن استخدام الحروف الأولى قد تجعلنى أبدو ككاتب ذكر"

"هل هذا يهم؟ أنت تتعاملين مع موضوعات عالمية، لقد ذهبت لما هو أبعد من التفرقة طبقا للجنس"

"ولكن فى هذا الكتاب.... حسنا.. أليسيا تفكر كثيرا فى موضوع الجنس، على الأقل بطريقتها الخاصة التى تبدو غريبة"

"غريبة ... مممم حسنا هذا صحيح ,صحيح جدا ولكن فى هذه المرحلة يمكننا إعطاء الكتاب دفعة نحو العالمية. لدى الكثير من الأفكار أود طرحها عليك يا ريتا، الأولى..."

"أنت تجعل الأمر يبدو وكأننا سنعيد كتابة الكتاب برمته"

"تغيير وتبديل فقط هذا، كل شىء، كل شىء هنا يا ريتا، كل شىء هنا جميل"

"كنت أعتقد أن الكتاب انتهى، وكنت سأعكف على كتابة المشهد الأخير بعد..."

"لا تفعلى ذلك أرجوكِ، لا تلمسيه حتى نناقش الأفكار التى سيتم تعديلها.. أتوسل إليكِ، بإمكاننا أن نجعل الكتاب أحد أعظم كتب القرن الجديد"

"ولكنى كنت أحاول أن..."

"كنت تحاولين كتابة رواية كوميدية خفيفة، ولكنك كتبتِ شيئا آخر، لقد قمت بكتابة عمل أدبى للأجيال القادمة من القراء، وسوف تكون كارثة إذا أنهيته الآن..."

"ما الذى علينا فعله؟"

" لقد وضعت قائمة بالأشياء التى عليك تعديلها، لنبدأ أولا بدور رومان، يجب أن يزيد دوره، مشاعره الدفينة، رغبته فى الحج الى أرض آبائه، أرى أن هذا يستحق أن يكون لب الرواية"

"ولكن أليسيا هى مركز الأحداث فى الرواية، وظننت أنك كنت معجبا بالخير الذى بداخلها، لقد أخبرتنى بذلك على الهاتف، هل تذكر؟"

"الخير وليس العظمة، من قال ذلك؟"

"دانيال ويسترمان"

"حقا؟ لم أقرأ عن الفتاة العجوز وأعرف أن السيد سكريبانو قد مد لها يد المساعدة يوما ما"

"إنها فى الخامسة والثمانين وهى كاتبة معروفة جدا، وهى حقا..."

"كنت أتسال أيضا عن ما إذا كنت ستمانعين فى جعل رومان عازف قيثارة بدلا من الترومبون، فالقيثارة تبدو أكثر جدية، أعنى كآلة موسيقية ولا أظن أن تغييرا صغيرا كهذا قد يؤثر على نصك الأصلى..."

"آها، أنا لا أعتقد أنه بإمكانى فعل ذلك..."

"كنتِ تظنين أنه عازف ترومبون فى الكتاب الأول، ولذلك يجب أن يظل عازف ترومبون، ولكن إذا وسعنا نطاق تفكيرنا خارج التفكير فى أن الكتاب تتمة لما سبقه، فيمكنه أن يعمل أى شىء آخر يا ريتا، ويمكنه حتى أن يكون قائد الأوركسترا أو ملحنا أو مؤديا".

"ومدينة ويشوود..."

"يمكن بسهولة أن يعاد اختيار المكان ليصبح فى نيويورك أو بوسطن أو شيكاغو؟ حسنا، ربما شيكاغو ستكون جيدة، وحتى تورنتو على الرغم من أنها قد تحد من جمهور القراء..."

"لا أعتقد ذلك، وليس بعد الآن".

"إنه وفجأة فى منتصف العمر أصبح يريد أكثر من ذلك، ويتوق لأكثر من ذلك".

"من؟"

"رومان".

"آها".

"أنا لا أعتقد أننا قد نحاول التقليل من بعض المشاهد الهزلية، على الرغم من أنها جيدة. كما قالها وودى آلين الذى طالما أستشهد به، دائما ما يُطلب من كتاب الكوميديا الجلوس فى مكان الأطفال ووضع أنفسهم مكانهم".

"ولكن لا يمكننى أن أرى رومان شخصية جادة كـ..."

"كان والداه من المهاجرين، قاموا بالتضحية بلغتهم وجذورهم الثقافية، فكرى فى ذلك، لقد تلقى قدرا لا بأس به من التعليم وأصبح موسيقارا، وتعتبره أيضا النساء شخصا جذابا بسبب شعره وبنيانه القوى وعقله النشيط دائما، لقد كان زواجه الأول فاشلا وبعد ذلك قابل أليسيا التى تعمل من بين جميع الأشياء فى مجال الموضة، هو يحتقر كل شئ، فيجب ألا يتم هذا الزواج".

"أوافق على هذا تماما، ويجب ألا تتم الزيجة، ولكن..."

"أنا سعيد أنك توافقنى الرأى فى هذا الأمر"

"ولكن فعليا أليسيا هى من ترى أن..."

"لم تستطع أن تفهم رغبته فى التواصل مع أسرته وتراثه، وحبه الحقيقى هى سيلفيا وودال عازفة المزمار، عرفت فورا ما أرادت أن تقول فور ظهورها، سيلفيا لديها روح عنيفة تستجيب لمطالب رومان، فالمطالب تنحدر مباشرة إلى روح الرجل، وأنا أتحدث عن أن رومان هو المركز الأخلاقى للأحداث فى الرواية، وبالرغم من جمال أليسيا الساحر فهى لا تصلح لهذا الدور، وبالطبع تستطيعين رؤية هذا، إنها تكتب فى مجلة للموضة وتكلم قطتها وتمارس اليوجا وتعد كسرولة الأرز "

"هذا لأنها امرأة"

"هذه ليست القضية إطلاقا، وبالتأكيد أنت ..."

"ولكن هذه هى القضية"

" إنها غير قادرة على أن تطلب ـ هى غير منضبطة ـ إنها لا تستطيع التركيز مثل رومان ـ هى تغيير رأيها فى ـ إنها تفتقر إلى ـ القارئ. إن القارئ الجاد الذى أضعه فى ذهنى لن يقبلها أبدا كنقطة ارتكاز لعمل فنى جاد يعتبر بمثابة نقد لمجتمعنا، وفى الوقت نفسه تنفتح مثل بساط من الحتمية، وهذا كلام سردى".

"لأنها امرأة"

"لا، على الإطلاق .. على الإطلاق"

"لأنها امرأة"

بما أن

قلت "لأنها امرأة"، وفى تلك اللحظة حدثت ثلاثة أشياء أكثر أو أقل فى وقت واحد. رفع آرثر سبرينجر ذراعه فى احتجاج مهذب، وطرق على الزجاجة فوق طاولة القهوة، وغمر الصحيفة الصباحية بالنبيذ الأحمر، ولكن لحسن الحظ لم يتبق الكثير وقد أخاف هذا بيت كثيرا حتى أنه تراجع وانزوى جانبا على الأرض الصلبة وهو يرقد فى ركن بجوار طاولة زجاجية صغيرة، حيث كان يرقد وكان يلهث ويفزع وهو يخبئ وجهه فى مخالبه.

فى تلك اللحظة دخلت كل من ناتالى وكريس من الباب الأمامى. كانتا تصدران ضجة وصوتهما عاليا، بدت أقدامهما أكبر من المعتاد، وخلعتا أحذيتهما ورميتا الكتب فى أرض الصالة، "مدينة لعينة" هكذا سمعت كريس تقول بصوت عال، وبعد ذلك وجدت الاثنتين تضحكان على شىء سيفعلانه مع جارنا، ويلو هاليداى، الذى أحضرهما للمنزل بسيارته عندما فاتهما أتوبيس المدرسة وعندما لم يذهب لهما توم.

كنت على وشك أن أعرفهما بسبرينجر آرثر عندما انشغلت برنين الهاتف، تركت آرثر كى أنظف النبيذ الواقع على الأرض بالمناديل، منديل كتان أبيض اللون، لاحظت بإحدى زوايا عينى أنك عادة لا تشاهد الناس بمناديل حقيقية. تبعنى بيت ومشى خلفى إلى المطبخ وضغط بجنبه المهتز على قدمى.

كان توم هو من يتصل على الهاتف وسألته "أين أنت؟"

فقال مسرعا "لا يوجد ما تقلقى بشأنه، كل شىء بخير" وحينها فهمت أن هناك مشكلة ما.

جلست فى الكرسى حتى غرقت فيه وقلت "ولكن...؟"

"إن نورا لديها التهاب رئوى ولكنها ستكون بخير، إنها نائمة الآن ولكن .."

فقلت وأنا أتنفس بصعوبة "أين هى؟"

"فى مستشفى تورنتو العام، إنهم يهتمون بها جيدا وهى تستجيب للعلاج بشكل ممتاز"

فقلت وأنا أفكر بتسرع "سآتى حالا، سآتى خلال ساعة"

"سأنتظرك فى الغرفة رقم ٤٣٤ فى الجناح الغربى، ولسوء الحظ لم تكن هناك غرف فردية متاحة" لا يهم.. لا يهم.

فقال لى بحدة "قودى السيارة بحرص"

فقلت للفتيات بحدة "ارتديا المعاطف، نورا فى المستشفى لديها التهاب رئوى وأبوكم معها الآن".

وقلت لآرثر سبرينجر شيئا بخصوص أن هناك أمرا طارئا ولكنى لا أتذكر ماذا قلت تحديدا، وقلت إنه يجب على الرحيل فورا (كنت قد ارتديت معطفى بالفعل وكنت أبحث عن حذائى، وهمست فى أذنه بكلمات سريعة، قلت كلمات مثل: فلتجلس لأى وقت تشاؤه واعتبر نفسك فى منزلك، يوجد طعام فى الثلاجة وباستا فى هذا الوعاء الأبيض المغطى بالبلاستيك وهو لا يحتاج إلا للتسخين فقط، وهناك المزيد من النبيذ فى الخزانة والكثير من الحطب، ولا أعرف متى سنعود.

لم أكن قلقة حياله بأى طريقة وبسرعة رهيبة كنا فى الطريق، كانت كريستين تجلس فى المقعد الخلفى وناتالى تجلس بجوارى، كنت أقود بسرعة شديدة على الطريق الجليدى المظلم، بداية فى أورانج تاون وحتى النهاية الأخرى ثم إلى الطريق السريع وصعوده المتفاوت باتجاه الجنوب. كانت مدينة تورنتو أمامنا عبارة عن ضباب وردى طوال المسافة، وكانت حركة المرور مزدحمة فى هذه الساعة، كنا صامتين تقريبا، ولم نفكر أبدا فى السيد سبرينجر، ولم نفكر إذا كان مرتاحا أو مقتنعا ولو لدقيقة واحدة، نسينا السيد سبرينجر تماما، ونسينا حماتى أيضا، وبعدها عرفنا ماذا حدث لهما.

لقد اعتبر نفسه فى منزله وفتح زجاجة نبيذ اخرى، وكنت قد تركت زجاجة مفتوحة فى مكان غير مألوف بغرفة الطعام وراء قطعة جميلة من الفخار، ومع ذلك وجدها، وبالتالى فلابد وأنه بحث عن التلفاز، كانت الساعة السادسة وهو وقت الأخبار، وها هو قد وجد التلفاز فى حجرة صغيرة، وكان هناك الريموت فى مكانه الطبيعى بجوار الطاولة الصغيرة، وغالبا جلس على الكرسى القطن ذى الذراعين وهو يمسك بكأسه ويفكر قائلا: يا إلهى لماذا أنا هنا؟ وكيف جئت إلى هنا؟

وبالتدريج بدأ يشعر بشىء ما ينقر بإصرار على الباب الخلفى، لم يكن يعرف المنزل جيدا، ولذلك استغرق بعض الوقت ليعرف من أين يأتى النقر، كان بيت لا شك لا يزال فى المطبخ ليتعافى مما حدث له من زجاجة النبيذ وإحساسه أن هناك شخصا غريبا فى المنزل.

كانت لويس من تنقر الباب وبيدها طبق حلوى من الخبز، وكانت تحمله فى أحد أوعيتها المقاومة للحرارة على شكل مستطيل، وهو معها منذ خمسين عاما مضت.

أفسحت لنفسها طريقا داخل البيت الدافئ، وشرحت من تكون وأنها انتظرت الإشارة المعتادة على أن العشاء جاهز، ألا وهى غلق الستائر الحمراء، ولكنها قلقت وفكرت فى أن تأتى لتتفقدنا، كان بإمكانها أن ترى وميض التلفزيون، وفهمت أن هناك شخصا ما فى

المنزل، واتصلت لكن لم يرد عليها أحد، بالطبع لقد فهمت أن هناك ضيفا منتظرا على العشاء، ولذلك صنعت حلوى أكبر من المعتاد وتمنت أن يحب الضيف الخبز المحلى.

أوضح السيد سبرينجر أنه رفع الصوت، وأوضح أيضا من هو ولماذا هو موجود بالمنزل وأين ذهب بقيتنا، وظل يعتذر، لم يسمع رنين الهاتف وكان آسفا للغاية، وقال إنه سعيد للغاية لمقابلة والدة ريتا.

فأوضحت له قائلة إنها حماتى وإن ريتا هى زوجة ابنها توم، يمكن أن نقول أنهما متزوجان نوعا ما.

آها

قالت لويس بصوت عال، نورا والالتهاب الرئوى، حسنا لقد كان الالتهاب الرئوى مرضا خطيرا فى يوم من ذات الأيام، ولكن الآن يمكن علاجه بالمضاد الحيوى ويأتى للناس ويتعافون منه سريعا، ولكنه لايزال مقلقا بشدة.

كان السيد سبرينجر متأكدا أن نورا ستكون بخير.

وتمتمت لويس بشىء معناه أن نورا لن تكون بخير، وأنها ليست بخير منذ فترة، وأنها الابنة الأولى وأقربهن لقلبها، ثم ألقت نظرة على بيت، هذا المخلوق الفقير، هل تناول طعامه؟

كان السيد سبرينجر قلقا لأنه لم يفكر فى الكلب لم يكن يعرف تحديدا ما عليه فعله، لم يكن جيدا فى التعامل مع الحيوانات، ويبدو أن الحيوانات تخاف منه، ولقد نسى بكل صراحة أن الكلب فى المنزل.

بيت حاله كحال جميع فصيلة الجولدين يتصف بالطمع، فهو يتناول عشاءه بشراهة وسعادة وبعد ذلك يتجشأ بقوة، وقالت لويس بينما كانت تعلق معطفها وتتولى الأمر "أنا سأهتم به"، اعتاد بيت على أن يتم إطعامه الساعة السادسة والنصف، وكنا أيضا نترك له الفرصة للخروج قليلا ولكنه لم يكن يبتعد عن المنزل، فلديه شعور قوى بالانتماء لبيته الأصلى.

لديه هذا الشعور أقوى من معظمنا، قالها السيد سبرينجر بطريقته الفلسفية.

فوافقت لويس على ما قال، ثم اقترحت أن يخرجا لتناول الطعام. لم يتحدثا عن الوقت الذى ستستغرقه ريتا والبنات حتى عودتهن.

تذكر السيد سبرينجر شيئا ما عن الباستا التى فى الثلاجة، ولكنه لم يركز فى التفاصيل، فكل شىء حدث بسرعة.

انهمكت لويس فى تسخين الباستا فى الميكروويف، ودعت السيد سبرينجر للعودة لمشاهدة التلفاز وقالت إن الطعام سيكون جاهزا خلال دقيقتين.

تمنى لو كان يستطيع مساعدتها. كان يشاهد نشرة الأخبار ولم يكن هناك شىء مثير للاهتمام. الآن أو بعد ذلك، سيأتى اليوم الذى لا يحدث فيه شئ.

فاتفقت معه لويس على هذا الموضوع أيضا.

قال السيد سبرينجر "يبدو أن مشيئة الله أرادات أن تمنحنا يوما أجازة، أو شيئا من هذا القبيل.

كانت لويس مستغرقة فى وجهه السلس القوى، بينما كانت تشرح كيف تستطيع أن تفهم الموضوع من بدايته. إذا ما كانت عن معايير السلامة الجديدة لخوذات الهوكى، فإن هذا مؤشر عن أن شيئا فظيعا قد حدث، لا توجد قنابل أو قتل أو أعمال شغب أو حرائق.

قال السيد سبرينجرز "أحب تلك الأيام الخوالى"

"وأنا أيضا"

"إنها نادرة جدا"

اقترحت لويس تحضير المائدة فى المطبخ حيث إنه لا يوجد سواهما.

يالها من فكرة رائعة، وأصر السيد سبرينجر على مساعدتها إذا ما أرشدته لويس عن مكان السكاكين والشوك.

جعلت الإضاءة خافتة إلى حد ما، وبينما كانت تحضر المكرونة فى طبقين لتبقى ساخنة - كانت عبقرية فى تسخين الأطباق -

قالت إن ريتا أعدت طبق الخرشوف المعتاد مع الزيتون الأسود وقطع الطماطم وجبن أسياجو، وكانت تحضره فقط عندما لم تكن متأكدة ما إذا كان الضيوف نباتيين أم لا. فكانت هذه الوجبة تجعلها فى أمان، إلا إذا كانوا ممن لا يأكلون الجبن، الذين يسمون أنفسهم نباتيين، ولكن لم يكن هناك الكثير منهم ,الحمد لله.

صب السيد سبرينجر لنفسه كأسا أخرى من النبيذ، ولكنه صب للويس أولا وسألها وهو يرفع حاجبه إذا ما كانت تريد القليل، فأومأت برأسها ثم جلس الاثنان فى نفس اللحظة، وكأن ناقوسا قد أصدر صوتا.

وبعد أن ترك السيد سبرينجر طبق الباستا الساخن الخاص به، طلب من لويس أن تخبره كل شىء عن نفسها.

البداية

قالت له أنها ستبدأ بلعبة رأتها منذ سنوات مضت، ولكنها لا تتذكر اسمها حاليا، ولا تتذكر إذا كانت قد استمتعت بها أم لا. أمامها مباشرة مكان الجمهور يجلس شاب وفتاة، الفتاة ضئيلة وجميلة للغاية وصوتها منخفض، وكانت تميل رأسها بابتسامة ناحية رجلها صغير السن، كان بالكاد يبعد عينيه عنها، وأمسك يديها خلال المسرحية وضغط عليهما بنهم عدة مرات، حتى صرخ الممثلون واندفعوا حول خشبة المسرح، أخذ يدها ووضع شفتيه عليها وأبقاها كذلك، لم تر لويس مثل هذا الحنان بين رجل وامرأة، وبالكاد استطاعت أن تنام، وكانت تمسك يدها وتضعها على شفتيها عدة مرات وتضغط بشفتيها عليها، كانت فى سن الأربعين آنذاك، وزوجة وأما.

أصبحت أرملة منذ اثنى عشر عاما ولكنها لم تستخدم كلمة أرملة أبدا، وبدلا من ذلك كانت تقول: "مات زوجى عام ١٩٨٨، ومنذ ذلك الحين وأنا وحيدة" وكانت تعرف كم أن هذا محزن".

فى أيام الشتاء، كثيرا ما تجد نفسها فى المطبخ تنظر من النافذة على أشجار السنديان الخالية من الأوراق، العتيقة الكبيرة، ولكنها ليست خالية تماما من الأوراق، فقد بقيت ورقة واحدة بنية اللون على الغصن. هبت الرياح بشدة ولكن تلك الورقة بالتحديد أبت أن تتطاير مع الرياح، من ثم هناك طريقتان لمعرفة سر تلك الورقة، إما أنها صحيحة وقوية بشكل استثنائى، أو أنها مشوهة وغير قادرة على أن تتفهم آلية السقوط على الأرض حيث وقعت باقى الأوراق ودفنت تحت الثلج. تلك الورقة التى لم تقع كانت حالة شاذة، شىء ما تسبب فى إزعاجها. كان بيت مثله مثل أى كلب صيد جولدين، وهو أقصر من أى كلب ذكر عادى ببوصتين، وإنش واحد فقط هو ما كان سيسمح له بالتزاوج، ولكن لويس لم تكن تهتم لذلك.

أعربت عن أملها أن يكون الخبز المحلى قد أعجب السيد سبرينجر. لقد كان لديها قائمة بمائة صنف من الحلوى مرتبة أبجديا فى صندوق للوصفات، بدءا بالتفاح باللوز مرورا بالحلوى الحالية والتمر، مرورا بموس الجوز الهش (المجمد) وانتهاء بعجينة فطيرة جبن زيوباك، لقد قامت بمراجعة تلك القائمة على مدار السنة، فلم يكن من السهل إيجاد بسكويت زيوباك، ولكن يمكن استبداله ببسكويت جراهام. وغنى عن القول إن كون بعض المكونات موسمية يعنى أنها ليست مرتبة أبجديا، وقد سمعت حفيدتها كريستين تسخر من قائمة الحلوى ذات مرة، بالرغم من أنها تتفهم ذلك إلا إنه بالنسبة لها شىء وضيع.

داهمتها آلام المخاض لمدة أربع وعشرين ساعة حتى ولد توم، ومنذ بدأ شعورها بالألم، طلبت من زوجها اصطحابها إلى المستشفى على الفور. قالت الموظفة ببرود "على بُعد عشر دقائق؟ ألم يخبروك ألا تأتى حتى تصبح آلام المخاض على بُعد خمس دقائق؟". فى تلك اللحظة سُمع صوت امرأة تصرخ من طابق آخر . سألت لويس موظفة الاستقبال التى أخذت تنظر حولها "هل هذه المرأة على وشك الإنجاب؟" فأجابتها "إنها امرأة إيطالية تلد طفلها".

اسم حفيدتها الأولى كان نورا شارلوت وينترز وهى طفلة جميلة، اسمتها شارلوت تيمنا باسم إحدى صديقات ريتا التى توفيت فى سن مبكرة فى حادث سيارة، لم تقابل لويس شارلوت صديقة ريتا قط، هى نفسها تعرضت لحادث سيارة من قبل، وحدث خطأ ما وتحطم الموتور وكانت صدمة حقيقية، وهذا جعلها تتوقف عن قيادة السيارة، فما حدث فاق طاقتها.

كانت هناك امرأة تدعى كريستال ماكجين تعيش بالجوار مع عائلتها الكبيرة المكونة من أربعة أطفال مراهقين وشباب أهوج، فى إحدى المرات دعت كريستال لويس لتناول قدح من القهوة، وسألتها إذا كانت قد ارتادت جامعة، لم تقصد إذا كانت درست فى الجامعة ولكن أية جامعة ارتادت. ارتادت السيدة ماكجين جامعة كوين ودرست الاقتصاد، ولم تخبر لويس ماكجين أنها ارتادت كلية السكرتارية لمدة ستة شهور فى تورنتو، وتزوجت من زوجها الطبيب

الشاب وانتقلا إلى أورانج تاون. شعرت أن كريستال ماكجين قد تجاوزت بسؤالها عن الجامعة. لم تريا الكثير من بعضهما إلا من حين لآخر، لا شئ سوى تحيات عابرة. إنها نادمة على ذلك الآن، وهى تدرك أن سؤال السيدة ماكجين لم يكن مقصودا بقسوة، ولكن ربما تنقصه اللباقة.

خاصة إذا اعتبرنا أن لويس كانت زوجة طبيب، فيمكن القول إن هذا أعطاها وضعا خاصا فى الأيام الأولى على الأقل، وأصبح من عادتها أن تذكر نفسها بهذه الحقيقة، وهى تقف أمام المرآة التى فى الصالة، وهى تشفط بطنها وتقول بصوت موسيقى: أنا زوجة طبيب.

حصلت على جائزة مهرجان أورانج تاون لعملها كعكة ألمانية بالعسل، عندما سجلت فى المسابقة نُصحت بأن تسميها كعكة سويسرية بالعسل، وقد امتثلت للأمر، ولكن ماذا سيهم هذا الأمر؟ لقد فازت فى كل الأحوال، وأخذت شريطا أزرق، والذى رماه زوجها منذ سنوات مضت بالخطأ عندما كان ينظف الغرفة العليا، وقد شعر بشعور سيئ حيال ذلك.

هى تحب أوبرا، وكانت ترتب يومها حسب مواعيد أوبرا، ونتيجة لمشاهدة أوبرا قد شعرت أنها تمتلك شجاعة ذاتية بعد ذلك.

نورا هى حفيدتها المفضلة والمقربة إلى قلبها، وقد مرت بوقت عصيب، هى نفسها تدرك الأوقات العصيبة، فعندما كانت فى الخمسينيات من عمرها توقفت عن الخبز، وأوت إلى الفراش

لأسبوعين. أراد زوجها أن يأخذها إلى عيادة مايو، وهذا كل ما تكلم عنه، عيادة مايو. استيقظت يوما ما وقامت بتنظيف المرحاض كما لم تنظفه من قبل. على ما يبدو إن استغراقها فى النظافة ساعد الأمور أن تعود إلى نصابها، وذلك جعلها أكثر قدرة على التعايش بعد ذلك.

ما عدا فى الآونة الأخيرة، لم تكن تتكلم كثيرا فلم تكن تثق بنفسها، وكأن الضفادع ستخرج من فمها المفتوح، وظنت أنها ستجرح مشاعر الناس، وكان لديها رأى حول ما حدث لنورا، لم تكن تريد أن يعرف أى شخص آخر بهذا، ربما سيظنون أنها مجنونة، ويفترض أن تكون النساء قويات، ولكن فى الحقيقة لم يكنّ كذلك، ولم يكن يسمح لهن بهذا، وقد أعاقهن بيأس شديد الألياف والأغشية والأنسجة المرنة، فمن السهل أن تتجرح المرأة، وأن تصاب بجروح بالغة، هذا ما سيحدث إذا ما فتحت فمك.

وعلى النقيض، كانت تعلم أن نورا ستكون بخير فى نهاية الأمر، وأنه موضوع وقت فقط، بالرغم من أن الالتهاب الرئوى كان مقلقا، كان تتمنى لو اتصلت ريتا، وكانت سعيدة بأن تكون معها صحبة جيدة فى ليلة شتوية بالإضافة إلى الخبز المحلى وصوص الليمون وكوب الشاى، لقد تحدثت لويس كثيرا حتى أرهقته، ولم يكن هذا من عادتها، ولم تكن تعرف كيف بدأت أصلا كل هذا.

وبشكل عام فقد اعتقدت أن كل شىء كان على ما يرام، ألا يوافقها السيد سبرينجر؟

بالفعل

قالت توم هو يشير إلى يد نورا ورسغها: "هناك حروق"، كانت نورا نائمة وعلى وجهها أنبوب الأكسوجين متصلة بأنفها، كانت مثل سنو وايت فى الصندوق الزجاجى، وتجمعت أنا والبنات حول السرير مثل الأقزام السبعة الفضولية، كان جلد وجهها أبيض ومنتفخا، أحدهم سرح شعرها فتجده مفرودا ونظيفا على الوسادة، وعلى أكتاف ثوب المستشفى الأزرق، وكان مربوطا خلف رقبتها، حبيبتى نورا. إنه شعور رائع أن تجلس على كرسى من البلاستيك بالقرب منها، ناهيك عن أن رئتيها كانتا مليئتين بالسوائل بشكل جزئى.

كانت نائمة منذ وصولنا، وكان الالتهاب الرئوى لا يزال موجودا ولكنه تحت السيطرة، وكان هذا مريحا جدا بالنسبة لنا، ولكنى كنت قلقة بسبب يدها المحمرة والمخيفة، والتى كانت ملقاة على البطانية القطنية بيضاء اللون، شعرت أنى أتلصص عليها وأنى معتد دخل

الغرفة، وأنه فى أى لحظة ستفتح ابنتى عينيها ستتهمنى بشىء ما، ما هو يا ترى؟

تابع توم بصوته الذى أستطيع تمييزه عن بعد "مزيج من حروق الدرجة الثانية " وكانت نبرات صوته ترتفع وتنخفض بشكل منظم، وذكرنى بمرة تمشينا فيها فى الغابة خلف منزلنا، وكانت الأشجار مزدهرة فى فصل الصيف، والأرض فاتحة ذراعيها تحت أقدامنا، عندما أخبرنى أن إصابة أمى بالسرطان تفاقمت، وأنه قد تمكن من رئتيها وأن الوقت الباقى لها قليل جدا، وأنه لم يتبق لها سوى أسبوع أو ما شابه.

قال بهدوء "يمكنك أن ترى أنها تعانى من عدوى على ظهر كلتا يديها، وهناك عدد لا بأس به من الندوب، وبعضها كان يمكن تجنبه لو أن هناك من اعتنى بها جيدا".

متى حدثت تلك الحروق؟ لماذا لم نرَ حالة يديها من قبل؟ هذه بعض الأسئلة التى طرحها السيد دى فيتا، والذى حضر حالتها، وبعضها من فرانسيس كوين من فندق بروميس، والتى اكتشفت فى وقت متأخر من مساء أمس أن نورا كانت تسعل لعدة أيام، وربما تحتاج أن تُعرض على طبيب، تذكرت أنا وتوم ومضات عما ظننا أنه طفح جلدى أو تقرح فى اليدين من البرد.

وذكرتنا ناتالى قائلة "نورا دائما ما كانت ترتدى قفازات حتى عندما كان الجو حارا للغاية فى الصيف الماضى وفى شهر يوليو تحديدا، كانت ترتدى قفازات العمل فى الحدائق".

فقالت كريس "نعم، وكنا نظن أن هذا تصرف غريب".

فقلت "حسنا هذا جيد"، كانت ترتدى قفازات الحدائق عندما وجدناها فى أبريل الماضى فى باثورست وبلور، كان هذا فى الثلاثاء يوم الحادى عشر من أبريل، وهو يوم لا يمكن أن أنساه قط، أعتقد أنها ارتدتهما كى تحمى يديها من الرصيف وقسوته، يا له من ألم عانت منه فى صمت.

قالت فرانسيس كوين لتوم فى وقت مبكر من هذا اليوم إنها كانت تنام وهى ترتدى تلك القفازات فى كل ليلة فى النُزُل، ظن فريق العمل أن هذا تصرف غريب، ولكن ما لبث أن أظهر الكثير من عملاء الفندق تصرفات غريبة.

ماذا عن تصرفاتها عندما كانت تأكل فى قاعة الطعام؟

كانت تخلع قفازها عندما تأكل.

وماذا كانت حالة يدها؟

كانت حمراء، وكان يبدو كطفح جلدى، حسنا لقد كان تدميرا فى خلايا الجسم، وهى خطوة فى عملية الشفاء، ويتذكر أحد المتطوعين أنه رأى يدها مضمدة عندما وصلت للمرة الأولى فى الأسابيع الأولى.

ومتى كان هذا بالضبط؟

كل شىء موثق فى ملفها، أتت لفندق بروميس للمرة الأولى فى الثانى عشر من أبريل، كنت أنا وتوم نعلم هذا، وأكملت قائلة إنه كان يسمح للأشخاص العاديين أن يبقوا لمدة ثلاثة أشهر فقط، وهذه هى القاعدة. ولكن نورا كانت هادئة للغاية ولطيفة جدا، لقد تجاهلت فقط إقامتها الطويلة هنا، ولم يثر أى شخص الموضوع.

وقال الدكتور دى فيتا من قسم الحرائق "يمكننى القول إن هذه الحروق منذ ستة أشهر على الأقل"

ستة أشهر، إن هذه المدة تعود بنا لأوائل الصيف أو الربيع.

فقلت "أتساءل إن كان بين أبوت يعرف أى شىء عن الحرق" وقد استشهد باسم صديقها السابق بصعوبة شديدة، وقد علق الاسم فى حلقى وكان من الأسهل ألا أفكر فيه.

وقال توم "لقد اتصلت به بالفعل فى وقت مبكر من ظهر اليوم، ولم يكن لديه أدنى فكرة كيف يمكن أن تكون قد حرقت نفسها، وكان متأكدا من هذا تماما وعلى أن أصدقه".

"هل ما زالت يدها تتألم؟"

"ربما لا، ولكن لم يكن هناك من اهتم بهذه الحروق، يمكن أن ترى أين توجد الحبيبات الحمراء".

كان الوقت قد اقترب من منتصف الليل، وامتلأت الغرفة بالكثير من الأسطح الصلبة، وكانت الظلال تقع على أركان السقف، ولم

يكن سوى نور ضئيل فوق سرير نورا، وعلى سرير آخر خلف غطاء من القماش يوجد أحد الغرباء يئن بجوار سريرها، ويبدو أنه يعانى من كوابيس وكان يتحدث بشكل غير واضح وبلغة غير مفهومة.

هذا ما حدث لى، وحدثت بعدها حماتى، وأخبرتها أننا لن نعود للمنزل الليلة، وأن نورا جيدة ولكننا سنظل معها فى المستشفى. وجدنا غرفة عائلية لنا فى نهاية الممر، وكانت البنات على وشك النوم.

كان صوت لويس مبتهجا لبعض الأسباب، على الرغم من أنى أيقظتها من نوم عميق، وقالت "لا تقلقى حيال بيت، فقط أطعمته وتركته يخرج قليلا"، ووعدتها بأن اتصل بها فى الصباح، وبعد أن أغلقت تذكرت أننى لم أسألها عن آرثر سبرينجر، فقد تناسيت وجوده تماما.

وقال توم "عليك أن تخلدى للنوم الآن" ولمس جانب وجهى بيديه برفق.

"لا لن أستطيع، سأجلس هنا فقط فى حالة أنها استيقظت"

تركنى هناك وكان لديه عدة مكالمات عليه أن يجريها، وكان يتحدث حول البحث عن شىء ما على الإنترنت.

كانت هناك ممرضة تمر كل ساعة كى تتأكد من نبض نورا، كانت تأتى وترحل فى صمت وهى ترتدى حذائها البلاستيكى، وأومأت إلى قائلة إنها بخير.

ربما أكون قد غفوت فى مقعدى قليلا ولكنى أشك فى هذا، كانت الساعة الثانية ثم أصبحت الثالثة، وبدا أن ناتالى وكريس نائمتان فى الغرفة العائلية وكذلك توم، جلست على مقعدى وأبقيت عينى على وجه نورا، انحرفت أفكارى قليلا لأليسيا ورومان وحفل زفافهما فى مدينة ويشوود، أدركت أننى لم أهتم بما حدث لهما، فقد كانت حياتهما عابرة، ويمكن نقلها بسهولة مثل الزئبق، لم أعد احتاجهما أكثر من ذلك، ولم يستحقا اهتمام أى شخص، على الأقل منى.

فتحت نورا عينها قبل الساعة الثالثة والنصف.

وضعت شفتى على خديها وناديتها: "نورا"

ابتسمت بوهن تجاهى ثم وضعت يدها الخشنة على رسغى.

فقلت بسرعة مرة ثانية "نورا، لقد استيقظت".

كان فمها يقول "نعم"

حتى هذه اللحظة

الأول من فبراير ٢٠١١

عزيزتى روسيل ساندور:

لقد قرأت مؤخرا أحدث قصصك القصيرة فى واحدة من المجلات الشهرية التى قمنا بالاشتراك فيها، القصة التى تدور حول أستاذ الفلسفة التشيكى الذى انتقل إلى لوس أنجلوس؛ وكيف يرى أن الثقافة الأمريكية بدائية وضعيفة وصعبة الفهم، الوجبات السريعة البشعة والإنجليزية المتآكلة، وخاصة الإهانة البشعة للمارة بالمعروضات فى واجهات محلات لوس انجلوس للأدوات الطبية، مثل صدرية استئصال الثدى التى كانت معروضة بكل وقاحة. مما يعتبر اعتداء على القيم بتعليقها بكل وقاحة، والإشارة إليها بلافتة كبيرة فى حال لم يتعرف أحد على ماهيتها "صدرية استئصال الثدى، إنها معلقة هناك لاستثارة غضبه وحساسيته الزائدة فى الواجهة مباشرة أمام وجهه، حينئذ شعر بالاشمئزاز ثم بالغثيان.

تفهم الأمر يا سيدساندور.

صدرية استئد.اا. "الثدى هى صدرية مثلها مثل أى صدرية أخرى. هى نظيفة ومخاطة جيدا، وعادة ما تكون مصنوعة من القطن. الشخصية هنا لأستاذ جامعى عاش فى أوروبا كما ذكرت مرات عدة، حيث تعلق صدريات السيدات فى كل مكان فى الشارع على حبال الغسيل، وتعلق الصدرية لتجف على الحبل فى منطقة البحر المتوسط أشبه بعلم ايطاليا أو فرنسا أو حتى البرتغال. هذه الصدرية تختلف فقط فى وجود جيبين صغيرين حيث توضع أداة لتحل محل الثدى الحقيقى، عند استئصاله نتيجة سرطان الثدى. بعض النساء مثل إيما ألين تم استئصال ثدييها، ومن هنا، كلا الجيبين سيتم ملؤهما بمادة صناعية مكونة من الهلام مصبوب فى طبقة رقيقة من الجلد البلاستيكى. فقدت إيما زوجها صعقا من البرق وابنها منتحرا والآن تفقد أعضاء جسدها. أصبح لديها الآن تلك الحشوة المعنوية كما تسميها. لقد ذهبت معها حين كانت تشترى صدريتها الجديدة، واحدة سوداء وأخرى لونها أصفر مطعم بالرمادى، المحل كان مكانا صغيرا فى الطرف الشمالى من تورنتو، حيث يمكنك أيضا إذا أردت شراء أشياء مثل شعر الصدر المستعار للرجال.

يتساءل الأستاذ التشيكى فى قصتك لماذا تقع عيناه دائما على تلك الصدريات. أنا أعتقد أنه يكره النساء، وتمتد كراهيته لهن إلى

كراهيته لكل ما يتعلق بأجسادهن، حتى وإن كانت الكراسى التى تجلسن عليها والملابس التى تلبسنها، وخاصة الأمور التى تتعلق بكتابات المرأة وشعورهن بالشفقة تجاه ذاتهن، وافتقارهن لروح الدعابة وإلحاحهن وخوفهن من الأماكن المغلقة ولهثهن.

لقد شعرت بإهانة بالغة وصادمة، وحتى إن أستاذك يقول إنه يخشى أن يهين إحداهن، لقد أرسلت عدة خطابات هذا العام لمن أغضبونى بشكل أو بآخر هذا العام، ولكن لم يسبق لى أن أرسلت إيميل لأحدهم أو حتى وقعت له كتابا، وهذا لأننى لا أريد أن يتم قتلى، لأن أستاذك فى الغالب يقتل زوجته، وهو يمسك مطواة موجهة لجسدها وهى نائمة. ولكن الآن لا أمانع إذا قتلتنى، فقد عانيت فترة من القطيعة من جانب ابنتى، هى الآن فى المنزل وآمنة وكانت فترة انفصالنا مثل سكين بارد استقر فى صدرى.

حدث أن حياتها تزامنت مع حدث أليم، وشك والدها أن هذا هو سبب محنتها، وفى الغالب كان على حق. كانت حالة من الإجبار على اتخاذ قرارات، واقترن الحادث مع يوم مفقود من حياة ابنتنا. كان يوما ربيعيا مثل أى يوم آخر، ولكنه لم يكن مثل غيره. كانت لحظة تاريخية وكتب عنها فى الصحف، على الرغم من أننا لم نقرأ عنها بشكل جيد لسبب ما، لقد تم تسجيلها على شريط فيديو، وبذلك يمكننا مشاهدة المأساة تتكرر، ويمكننا فهم كيف أن قوتها اغتصبت حياة امرأة شابة، وجعلتها تعيش أياما مليئة بالحزن.

كانت نظريتى الخاصة قبل أن نعرف الحدث المروع هى أن نورا أصبحت مدركة لكل هذا التراكم من الإحباط، والتى أيقظته بداخلها فى عامها العشرين، ودمجته مع حالتها الانفرادية من عدم الانتماء، وفهمت فى النهاية أنه لم يكن مسموحا لها سوى أن تقول القليل. كانت هناك علامات وكانت لا تهدأ وتنغلق على ذاتها، وترتد كما نفعل جميعا مما نعرفه، وتكتشف الواقع ثم تتبرأ منه، ولكنه من الممكن أيضا أنى كنت من أحبطها بمخاوفى، وبحيرتى المتنامية فيما يتعلق بالعالم وترتيباته، والتى وجدت نفسى بداخلها فى منتصف حياتى وفى وسط القارة، وعلى الجانب مما لا أحبه، وقد يكون الأمر أننى على حق فى جزء، ومخطئة فى جزء، أو أن توم مخطئ فى جزء ومصيب فى جزء، فيما يخص نظريته عما بعد الصدمة العصبية، أو أن دانيال تعرف من البداية، ولن نعرف أبدا لماذا حدث هذا، عامة كانت نورا تمسك لوحة الخير وليس العظمة، ربما لأنه لم يكن هناك وسيلة أخرى كى تعبر عن وجودها، وفى المسافة المعتمة تذوب فى غروب الشمس والمبانى المصنوعة من الحجر الجيرى، وأسفلت الشوارع وإشارات المرور وصوت الخير الذى نكاد نسمعه، ولا يهم هل شعرنا به أم لا. لم يكن لنورا مكان تقف فيه بعد "الحدث"، كانت تقف فى موضع عال عنا جميعا، هى ولسانها الصامت ويدها المحروقة.

لا يمكن الاعتماد على هذا المخلوق الطيع، وهذا ما اكتشفته، ومع ذلك فقد أقحمت نفسى فى محيطها، إن الخير هو الاحترام

الذى يعلو ويحتل مكانا عاليا، لقد أفرغ نفسه من الانتقام الذى لا صوت له على الإطلاق، أخشى أنى لا أستطيع صياغة ذلك بوضوح، ما زلت أفرز التفاصيل، ولكنى أحاول أن أصبح واحدة من المخلصات، ولذلك سوف أوقع باسمى على هذا الخطاب ولكن ليس بصدق، ولكن كما يظهر تماما فى دليل الهاتف المحلى.

ريتا وينترز

طريق سيكس كورنرز، RR4

أورانج تاون

ليس بعد

إن الحياة مليئة بالأحداث المعزولة، ولكن هذه الأحداث تتطلب أنماطا غريبة من اللغة كى تضمها معا، إذا كانت ستشكل سردا متماسكا، مع بعض قواعد النحو (فى الأغلب تكون أحوالا وحروف جر) يصعب تعريفها؛ حيث إنها بدون موقع أو لها مواقع قريبة، كلمات مثل: لذلك، وإلا، غيرها، أيضا، من ذلك، حتى ذلك الوقت، بدلا من ذلك، خلاف ذلك، على الرغم من، بالفعل، وليس الآن.

أخبرتنى صديقتى القديمة جيما والش ـ التى عينت مؤخرا رئيسة لقسم اللاهوت ـ أن العقيدة المسيحية متوازنة على كلمتين: "بالفعل" و "ليس بعد". فالمسيح جاءت بالفعل، ولكنها لم يأت بعد، إذا استطعت أن تجمع الصورتين المتضادين معا كما يمكنك أن تفعل فى المشاهد المجسمة، وكمسيحى تقليدى يجمع معا الثالوث الأب والابن وروح القدس، فربما تفهم شيئا ما عن القوة وما وراء الطبيعة لهذه الكلمات ذات الصلة وغير المصنفة.

إن تصريف الأفعال و (بعض الأحيان) الظرف "إلا إذا" بنغمته الرثائية، هو مصطلح يستخدم فى المنطق، وكلمة ينطقها من لديهم أمل أو كتاب الخيال، الذين لديهم الرغبة فى اختراق العالم والكشف عن خطة أخرى للوجود، والتى تشبه فى خواصها الجغرافية ويسكنها هؤلاء الذين يشبهون أنفسنا. إذا لم تكن الحويصلات الرئوية لنورا قد امتلأت بالسوائل، وإذا لم يقل أحد المتطوعين فى فندق بروميس لفرانسيس كوين إن نورا تعانى من السعال طوال الليل، ولو لم تتصل فرانسيس بالإسعاف، لم نكن لنجد نورا أبدا فى مستشفى تورنتو العام.

كان هذا اليوم بالصدفة هو يوم الجمعة، وهو اليوم الذى يذهب فيه توم إلى باثورست وبلور ليلقى نظرة عليها، ولم تكن نورا هناك حينما ذهب، وهذه هى المرة الأولى التى لم تكن هناك منذ أبريل.

إلا إذا.. إلا إذا. رن الجرس فى النُزُل وأخبرونى أنها نقلت إلى المستشفى منذ الصباح الباكر، ولكن لأن نورا فوق سن ١٨، لم يكن لدى فرانسيس كوين الحرية كى تقول اسم المستشفى، وأصر توم على أن يتصل بجميع المستشفيات، هل لديكم فتاة فى التاسعة عشرة من عمرها ولديها طفح جلدى ثقيل على معصميها؟ نعم، لقد كان محظوظا أن يجدها فى ثالث مكالمة، وقد فحصوها فى هذا اليوم.

إلا إذا. الروائيون دائما وأبدا موضع اتهام بإقحامهم للصدفة فى الأحداث، ومن هنا كان لابد أن أسال نفسى ما إذا كان وقوف نورا فى

الزاوية حيث تقع أونست إيد من قبيل المصادفة أم لا، وهذا يتصادف مع حادثة امرأة شابة مسلمة (أو كما يبدو من زيها) فى شهر أبريل من عام ٢٠٠٠ وقد تقدمت نحو الرصيف وسكبت البنزين على حجابها وثوبها وأشعلت النار فى نفسها، ومن المؤكد أن ذلك ليس من قبيل المصادفة، فقد كانت نورا تعيش فى شقة فى الطابق السفلى على مقربة مع صديقها بين أبوت. كانت ذاهبة إلى أونست يونج لشراء رف بلاستيكى للأطباق، والذى كانت تحمله فى يدها حينما بدأت العملية الانتحارية (لماذا رف بلاستيكى للأطباق؟ - إنه منتج ردئ - لا يمكن شراء مثل هذه الخردة إلا من باب تشجيع الإنتاج المحلى) وبدون تفكير وفور وصول فريق الأخبار للتغطية الإعلامية، هرعت نورا محاولة إخماد النيران واشتعلت النيران فى رف الأطباق والكيس البلاستيكى الذى كان مغلفا به مما أشعل النيران فى جسد نورا. تراجعت هى للخلف ثم توقفت وصرخت، أو شيئا كهذا، وبعد ذلك غرست أصابعها فى جلد المرأة المحترق والتى كان من الصعب التعرف عليها، فذراعاها ورئتاها وبطنها كانت متفحمة وكانت الرائحة فظيعة. جاء رجلا إطفاء وجذبا نورا بعيدا ورفعا جسدها على شكل قوس ووضعاها على سرير الطوارئ لتقييدها ودفعا بها إلى عربة الطوارئ، حيث تلقت الإسعافات الأولية. بعد دقائق معدودة اختفت دون أن تسجل اسمها.

إذا لم يسحب رجل الإطفاء نورا فى الوقت المناسب، وإذا لم تلتقط كاميرات مراقبة أونست إيد صورة نورا وتسجلها، ولو حتى من ظهرها وذراعيها المتفحمين، لما سهل لأفراد عائلتها التعرف

عليها وهى تحترق فى اللهب وإذا لم يسلموا الشريط إلى الشرطة .
إذا لم وإذا لم ,كان كل هذا الضياع، ولكن هذا لم يحدث يا نورا .
تستطيعين الآن نسيان كل هذا ويمكن أن تتناسيه وستتذكريه
كذكرى لذكرى وسنفعل هذا بسعادة.

إلا إذا طرحنا أسئلة.

إذا لم أسال دانيال ويسترمان الأسبوع الماضى عن نقطه واضحة
تسببت فى إزعاجها فى طفولتها: هل كان والدها أم والدتها؟ لقد
سألتها بجرأة وهى أجابت أن والدتها كانت فى الثامنة عشرة من
عمرها وقد عاشت معظم حياتها فى خوف. فى إحدى المرات
حاولت أمها خنقها حينما تأخرت بالخارج ليلا، فغادرت المنزل بعد
ذلك فورا، وفى اليوم التالى سافرت إلى فرنسا وليس معها سوى
مائة فرنك فى جيبها وتذكرة قطار لباريس.

لماذا صمتت كل هذه الشهور؟. لقد سألت حماتى لويس لماذا لم
تخبرنا عما حدث؟.

فقالت لأن أحدا لم يسألها

لكن هل سألك آرثر سبرينجر؟

نعم ,مال ناحية طاولة المطبخ وسحب كرسيه على الأرض بشكل
متعمد وغريب وحميم وقال "حدثينى أكثر عن حياتك يا لويس" .

"هل أخبرته أى شئ؟"

نعم، لقد فعلت، ياله من رجل، المسكين لقد أخبرته بكل شئ قلته لك.

لم يفعلها أحد من قبل، وسألنى وطلب منى أن أخبره عن حياتى ولا حتى توم، لم يقل أحد هذه الجملة الملحة لأنيت أو سالى أو لين، فقد أقسمن على ذلك.

اتصلت بارثر سبرينجر وسألته مباشرة كيف تجرأ وسأل حماتى مثل هذا السؤال الغريب والحميمى؟

"حسنا" قالها بخجل وهو سعيد لقول ذلك. لقد تعلم التقنية مؤخرا فى ورشة عمل للنشر عن العلاقات الشخصية، والتى أرسلته إليها سكريبانو ولورانس، وكان ذلك بعد أن ذهب كاتب "darling buds" إلى كنوف. يبدو وكأنه قال شيئا تنقصه اللياقة ومن ثم أثيرت ضجة كبيرة على لا شئ. ولكن طُلب منه الالتحاق بورشة فى نهاية الأسبوع ليستطيع الانغماس فى العلاقات الاجتماعية القوية. فيرمونت، حيث يوجد كوخ الصيد القديم ونصف درزينة من العاملين البسطاء. المفتاح كما تعلمه من مدير الورشة كان بسيطا فهو عليه أن يسأل الناس، وخاصة الكُتاب، عن مسار حياتهم وتجدهم ينخرطون فى الحديث، وهى طريقة غير مؤذية وفعالة. لقد قام بتجريتها مرات قليلة، ولكنها كانت دائما ما تحقق نجاحا هائلا.

قلت "لم تقل ذلك لى، لم تسألنى أن أخبرك عن حياتى"

"حسنا، أستطيع أن أفعل هذا، هل أفعل؟"

"لا، لقد فات الأوان"

"أنا آسف يا ريتا. أنا أريد حقا أن اعرف المزيد عن ريتا وينترز الحقيقية، يوما ما عندما يكون لدينا الوقت".

فى هذه الأثناء، كلمة أخرى لها دلالة، "فى هذه الأثناء" توصلت إلى خاتمة "Thyme in Bloom"، انتصرت أليسيا ولكن بطريقتها المتفردة. سيتم نشر الكتاب فى بداية الخريف، وكل شىء تم بعناية حتى النهاية. وحيث أن النهاية الجيدة هى نتيجة للخيال الهزلى، كما نعلم جميعا، فقد قمت بتجميع كل الأجزاء النثرية ولكن ماذا يعنى هذا التعنت؟ لا يعنى أن كل شىء سيصبح جيدا للأبد، وإنما يعنى انه لمدة خمس دقائق تم تحقيق التوازن على هامش نص الرواية، وذلك سيستغرق خمس ثوان ثم المليون جزء فى جزء من الثانية ولكن ذلك مبدأ غير يقينى، هل هناك من سيصدق غير ذلك؟

توقع سكريبانو ولورانس نجاحا معقولا، لقد تراجع السيد سبرينجر عن تحفظاته التحريرية عندما تمت كتابة مقالة نقدية عن My Thyme Is Up فى مجلة ييل للدكتور تشارلز سيزى عميد الجامعة المخضرم فى العلوم الإنسانية. صدرت المقالة فى فبراير كمفاجأة لإعادة التقييم والتقدير للرواية، واهتمت بها الصحافة

الشعبية وحدثت ضجة، حتى مجلة "Entertainment Weekly". لم يتم استيعاب الأفكار الهدامة فى الرواية كما يبدو من قبل مراجعيها الأصليين منذ عامين مضيا. تم التصحيح فى محله وما كان ينظر إليه كشئ بسيط أصبح الآن شيئا بارعا. رحلة بارعة غاية فى القوة، هكذا قال الدكتور سيزى وهذا الاقتباس سيظهر بالطبع فى مقدمة تتمة الرواية، وبالطبع ستتم طباعة اسم دكتور سيزى على غلاف الرواية وسيكون بنفس حجم اسم ريتا وينترز، ولكنى لا أحاول أن أفكر فى معنى هذا. ولاحظت شيئا آخر، وهو أن منظور دكتور سيزى الذكى تسبب فى جعل عقلى يفكر خارج النطاق الطبيعى، ومنذ ذلك الحين عقلى ينظر إلى باحتقار وسخرية.

فقدت دانيال ويسترمان الثقة فىّ، وقررت أن تترجم كتابها بنفسها، والأجزاء التى جعلتنى أراها دقيقة وساحرة، نعم إنها ساحرة، وأعتقد أن بسبب هذا المفهوم لم تعد تثق بى، ولكن الآن يمكننى أن رؤية أن السحر يمكن أن يكون لفتة تجاه الأصالة، عندما يسمح لنفسه أن يدخل فى التيار الصاعد، وعندما ينطلق فى طريقه الى نوع مختلف من الجو الثقافى. كانت تترجم حوالى صفحة فى اليوم، وكانت ترسلها إلى من أجل التغيير والتبديل، وكنت أرسلها لها خلال ساعة وكنت أفكر فى كل مرة وأنا أضغط على زر البدء: يا له من جهاز أنيق، تجلس فى زاوية خاصة بها فى منتهى الحكمة والاحترام عندما تقارنها برسالة بريدية بشعة. إنها

تضيف إلى مذكراتها، فهى تكتب عن والدتها وتعترف أخيرا، وفى النهاية يجب أن تحتوى المذكرات على كلام يخص الأم. والآن تجمع بين الهويتين اللتين لم توفق أبدا بينهما؛ الابنة والكاتبة. إن الترجمة تحافظ على حدة عقلها كما تقول هى، وكأنها تحل الكلمات المتقاطعة، والترجمة لها مهمة يومية ستبدأها وتستكملها، لقد بلغت لتوها عامها السادس والثمانين.

أنا بالفعل أفكر فى الكتاب الثالث من هذه الثلاثية :"Autumn Thyme"، سيفتح ذلك الباب لمزيد من التعبيرات الرسمية. أريد أن يكون الكتاب ذا نغمة رقيقة كأوركسترا التورمبون، ومن ثم يتحرك تصاعديا نحو الاكتمال إلى حد ما، الطبيعة التى لم يتم التوصل إليها بعد. أريد لهذا الكتاب أن يكون على استعداد للعيش مع القارئ فى غرفة واحدة إذا لزم الأمر، أريده أن يبقى متماسكا كلوحة زيتية، لوحة بعنوان: السيدة الجالسة أو المرأة فى وقت الراحة. نصف عملى سيكون قد انتهى بالنسبة لى، أو على الأقل لمن قرأوا أول كتابين. هؤلاء القراء سيتقبلون أن أليسيا ذكية وخلاقة وقادرة على اتخاذ قرارات أخلاقية، نفس الأخلاقيات التى نؤمن بها أو نتوقع أن نراها فى بطل ذَكَر بدون إثبات حتى. سيكون كتابا أكثر كآبة من سابقيه وأقصر. كلمة الخريف ستذكرنا بالهمس الحزين والإيجاز وهى حالة أعرف عنها القليل. هناك قدر قليل من الاستسلام أيضا سيرتبط بأحداث الرواية الثالثة، كهدية من دانيال

ويسترمان وأيضا هناك القدرة على تحمل المصاعب. الآن عندك الصمود والقوة والحزن والاستسلام والتناقض واللاعقلانية، يمكنك أن تقول أنه كل ما يمكن أن تراه فى كتاب جاد.

يوما بعد يوم تستعيد نورا صحتها فى المنزل وتفيق تدريجيا وتخطط بخجل خريطة افتراضية لحياتها. انه لشئ رائع أن نرى هذا بالرغم من أننى وتوم لم تتح لنا الفرصة لإقامة حفلات صاخبة. كنا نراقبها عن كثب، ولكننا تظاهرنا بأننا لا نفعل. يمكنها دراسة العلوم فى الخريف القادم بجامعة ماكجيل أو حتى اللغويات، لازالت تفكر فى الأمر. الآن هى نائمة وكلهم نائمون حتى بيت مستلق على أرضية المطبخ ويشعر بالدفء فى معطفه الجميل من الفراء، الآن تجاوز الوقت منتصف الليل فى وقت متأخر من شهر مارس.

المؤلفة فى سطور:

كارول شيلدز

ولدت فى الثانى من يونيو عام ١٩٣٥ فى أوك بارك بإلينوى.

قامت بتأليف ثمانى روايات ومجموعتين من القصص القصيرة. حصلت روايتها "The Stone Diaries" على جائزة بولتيزر وقد تم ترشيحها لجائزة البوكر، وفازت "Larry"s Party"بجائزة البرتقالة. ولدت و ترعرعت فى شيكاجو وعاشت فى كندا منذ ١٩٥٧.

أعمال كارول شيلدس:

القصائد الشعرية:

الآخرون

الخطوط المتقاطعة

المجىء إلى كندا

الروايات:

حفلة لارى

يوميات حجر

جمهورية الحب

موسم عازب (مع بلانش هاورد)

سوان

امرأة تقليدية نوعا ما

المصادفة

كشك الحديقة

احتفالات صغيرة

مجموعات قصصية:

معجزات عديدة

السمكة البرتقالية

التحضير للمهرجان

المسرحيات:

المغادرون والعائدون

الأيدى الثلاثين

الموضة، القوة، الشعور بالذنب، إحسان العائلات (مع كاثرين شيلدس)

الذكرى (مع دايفيد ويليامسون)

النقد:

سوزانا مودى: الصوت والرؤية.

جاين أوستن.

مختارات أدبية:

الخيوط المتساقطة (تم التصحيح مع مارزوين أندرسون)

المترجم فى سطور:

كريم هشام

تخرج من قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة القاهرة، وهو يعمل مترجمًا منذ أربع سنوات، وقد تدرب فى عدة أماكن للترجمة خلال سنوات الدراسة. وبجانب عمله بالترجمة فهو أيضا شاعر وله ديوان تحت الطبع بعنوان "فـ قلب الزحمة".

التصحيح اللغوى: خالد العنانى
الإشراف الفنى: حسن كامل

تساعدنا الرواية في أن نخفض صوت "خطابنا" الداخلي، إلا إذا كان يمكنها تقديم البديل، خطاب به تفاؤل وأمل، إنها مجرد سرد متفتت؛ إلا إذا.. إلا إذا.

إن كلمة إلا إذا هي كلمة القلق في اللغة الإنجليزية، فهي تطير مثل الفراشة حول الأذن؛ فبالكاد يمكنك سماعها، ومع ذلك يعتمد كل شيء على وجودها. إلا إذا هي الكلمة الشرطية التي تحملينها بين تجاعيدك، فهي دائمًا موجودة أو غير موجودة.

إلا إذا كنت محظوظة، إلا إذا كنت سليمة وخصبة، إلا إذا أحببت وتغذيت، إلا إذا كنت واضحة تجاه اتجاهاتك الجنسية، إلا إذا عُرِضَ عليك ما عُرِض على الآخرين، أنت تذهبين إلى الأسفل في الظلام، إلى اليأس. كلمة إلا إذا توفر لك بابًا مسحورًا، نفقًا في الضوء.. إلا إذا هي معجزة اللغة والإدراك، إنها تجعلنا قلقين، وماكرين مثل الذئاب التي تنشأ في معظم الحكايات الخيالية المثيرة، ولكنها تعطينا أملاً.

صدرت الرواية عام 2002، ورشحت لجوائز متعددة، أهمها البوكر وسكوتيانبك جيلر وأورانج.

تصميم الغلاف: نادية كتان